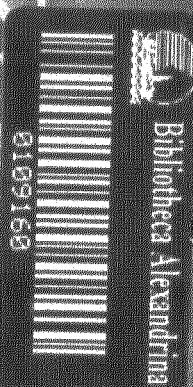


اشیعیج بن میکائیل خوییدری

الاستخفاف امان أهل الأرض



مُؤْكَدَة
كتاب العزى
المكتبة والنشر والتوزيع

الستغفلة
أمان أهل الأرض



الشَّيْخُ جَرَسْ مَكِّيُّ الْخَوَلِيدِيُّ

الْأَسْتَخْفَلُ
أَمَانٌ أَهْلُ الْأَرْضِ

مُؤْسَسَةُ
جَلَالُ الدِّينِ الرَّحْمَنِيُّ
الطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٢ - ١٩٩٥ م



حارة حربيك / خلف شنك بروت والسلام العربية . بناية سبتي ط ٣.
من.ب: ٩٧ - ٢٥/٥٧٨٩ - ١١٣/٥٧٨٩ . تلفون: ٨٢٢٥٥٧ - ٨٢١١٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *﴾

صدق الله العظيم

إهدا

إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس ونزعهم عن الدنس ، إلى المبلغين
عن الله والداعين إلى سبيله ، إلى أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

إلى صاحب القلب الكبير ، إلى الذي تحمل العناء تلو العناء من أجل
سعادتي ، إلى الذي جاع لأشبع وسهر لأنام ، إلى الذي فتح صدره لاستقبال
أقصى أنواع المصاعب والمتابع من أجلي ، إلى والدي العزيز .

وإلى من أسكنتني قلبها ، إلى من فدنتي بروحها ، إلى التي أعطتني كل
شيء ولم أعطها شيئاً ، إلى والدتي الحنون .

وإلى سكни وأم ولدي ، إلى التي شاركتني مرّ الحياة وحلوها ، إلى التي
خففت عنني أعباء الحياة ، إلى زوجتي الموقرة ، أقدم هذا المجهود
المتواضع .

تقديم

لقد تكرم فضيلة الشيخ علي المرهون حفظه الله بهذا التقديم فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

إليك أيها القارئ الكريم أقدم كتاب (الاستغفار أمان أهل الأرض) الذي سد فراغاً من المكتبة الإسلامية الذي كانت تنتظره من قرون لما فيه وفيه من تنبيه الغافل وبغية الأمل وملجاً المذنب كيف لا؟ وهو الوسيلة العظمى لغفران الذنوب وستر العيوب ويكفي أنه أمان لأهل الأرض والنعمة الكبرى التي أنعم الله بها على عباده فلا ذنب مع الإستغفار إذا سلم من الإصرار . أما كيف يؤثر أثره وينفذ مفعوله فما عليك إلا أن تقرأ كتابه لتعرف مدى مفعوله وعظيم فائدته ، ومن وراء ذلك تعرف مدى ذلك المجهود الذي قام به مؤلفه مما خدم به الدين الإسلامي والمجموعة البشرية جمعاء فجزاه الله خير الجزاء لا وهو صديقنا الشاب النبيل الشيخ حسن الحاج مكي الخويلدي الذي بز أقرانه فيما أوتي من مواهب يعرفها كل من عرف الفضل لأهله ، ولا أدل على ذلك من هذا الكتاب الجليل الذي لم يسبق بمثله فيذكر ويشكر .

فيحياه الله وحيا جهوده سائلاً ربي الكريم أن يوسعه لما يحب ويرضى
والسلام عليه ورحمة الله وبركاته
١٤١٢/١٠/٩ هـ

علي المرهون

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مجير المؤمنين ، وراحم المستغفرين ،
والصلوة والسلام على خير خلقه وصفوة بريته الذين امتدحهم الله في كتابه ،
وجعلهم قادة إلى سبيله محمد وعلى آلته الطاهرين وبعد :

فالدنيا بحر عميق غرق فيه عالم كثير ، والإنسان في هذه الدنيا كراكب
هذا البحر ، فلربما تعرض لعاصفة شديدة فأغرقه ، أو ربما تعرض لأمواج
طاغية فابتلعته أو ربما تعرض لحوت مفترس من النجمة ، فهو بحاجة إلى ما
يصد العاصفة الشديدة عند نفسه ، ويكسر الأمواج الطاغية عن قاربه ، ويدفع
الحوت المفترس عند افتراسه بل بحاجة إلى ما يدفع عنه أي لون من ألوان
المكاره التي قد يتعرض لها في رحلته الطويلة ، ولكن ما ذلك الشيء الذي
يحتاجه لدفع كل ذلك عنه ؟

إنه الاستغفار . نعم الاستغفار الذي يضمن لك الأمان من كل ما تتعرض
له من المكاره والمصائب والنقمات في فترة حياتك ، بل وبعد مماتك ، بل
إلى الأبد لكن كل ذلك بشرط الإستغفار وشروطه ، أما ما هو السبيل للتعرف
على شرطه وشروطه فإن الكتاب كفيل بأن يدللك على ذلك بإذنه تعالى .

كما أنني لا أخفي على القارئ الكريم سروري لما وجدته من إقبال جيد

على هذا الكتاب حيث أنه ما مرت سوى أيام قلائل على ظهور الطبعة الأولى حتى نفذت جميع النسخ من الأسواق . ونظراً لكثره طلب الأخوة والأخوات عليه بادرت إلى اخراج هذه الطبعة إلى الوجود . وإنني إذأشكر جميع الأخوة والأخوات القراء على اقبالهم هذا الذي يكشف عن ثقتهم وحسن ظنهم أدعوهم مبتدئاً بنفسي أولاً أن يتخدوا هذا الكتاب محطة إقلاع لهم للعروج إلى السعادة الأبدية لا أن يقرأوه قراءة من همة آخر السورة . . بل المطلوب قراءته بتفكير وتدبر عميقين .

وأخيراً :

أسأله سبحانه أن يختتم لنا وإياكم بالسعادة إنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين الميامين ؟

حسن مكي الخوييلي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الميمين وبعد :

الحديث عن الإستغفار حديث عن الأمان ، فكما أنه لا قيمة للحياة بدون أمان ، كذلك لا قيمة لها بدون استغفار .

فالإستغفار أمان أهل الأرض من كل نقم استوجبتها أعمالهم ، بحيث يمكنني أن أقول جازماً : لو أن الناس تمسكوا بهذا الأمان لما رأيت بلاء على وجه الأرض .

فالأمراض والمصائب والنكبات ، والهموم ، والغموم ، وسوء المعيشة ، وانتشار الفقر ، وشروع الفتنة ، وبر الأعمار ، وموت الفجأة ، وغلاء الأسعار ، وحبس الأمطار ، وغير ذلك سببها الذنوب التي لم يعقبها استغفار ، وستعرف إذا ما تلوت هذه الصفحات حقيقة ما بينت بمشيتي سبحانه .

فلقد جاء في الحديث الشريف «لقد كان في الأرض أمانان ، رفع أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسکوا به ، أما الأمان الأول فهو الرسول (ص) وقد رفعه الله إليه ، وأما الأمان الآخر : فهو الإستغفار ، فدونكم فتمسکوا به» ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يستغفرون ﴿١﴾ .

كما أن أهم الأسباب التي دعتني لأن أبحث هذا الموضوع أمور :

- ١ - أهمية الاستغفار وكونهأماناً لأهل الأرض .
- ٢ - عزوف الناس عنه ، اللهم إلا .

٣ - قسم كبير من استثنينا أخطأوا الطريق الصحيح للإستغفار فأصبح استغفارهم وعدهم على حد سواء ، بل ربما كان عدمه أولى من فعله .

فانطلاقاً من الواجب الديني ، حاولت بعونه تعالى بحث هذا الموضوع بطريقة يفهمها الجميع من حملة الشهادات العليا وغيرهم من هم دونهم ليكون أعم للفنفة ، وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول :

ففي الفصل الأول : تطرقت إلى إيضاح معنى الإستغفار ومن ماذا يكون ، ثم سلطت الضوء على آثار الذنوب الدنيوية والأخروية ، حيث أن الإستغفار يكون منها .

وفي الفصل الثاني : وبعد الإجابة على سؤال : لماذا الإستغفار ؟ تحدثت عن فوائد الإستغفار التي لا غنى لنا عنها .

وفي الفصل الثالث : إستعرضت الكيفية الخاطئة التي يستخدمها الكثير من الناس في طريقة استغفارهم ، ثم أوضحت الكيفية الصحيحة للإستغفار دعائمه وأدابه وشروطه .

وفي الفصل الرابع : أشرت إلى الأوقات والأماكن المفضلة للإستغفار بعد أن أوضحت أن الإستغفار مطلوب في كل وقت وفي كل مكان .

أما بالنسبة للفصل الخامس والأخير : فقد بحثت فيه ثلاثة أمور :

- ١ - هل نحن عقلاً أم مجانيين ؟
- ٢ - أسباب ترك الإستغفار .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٣ .

٣ - سبل العودة إلى الإستغفار .

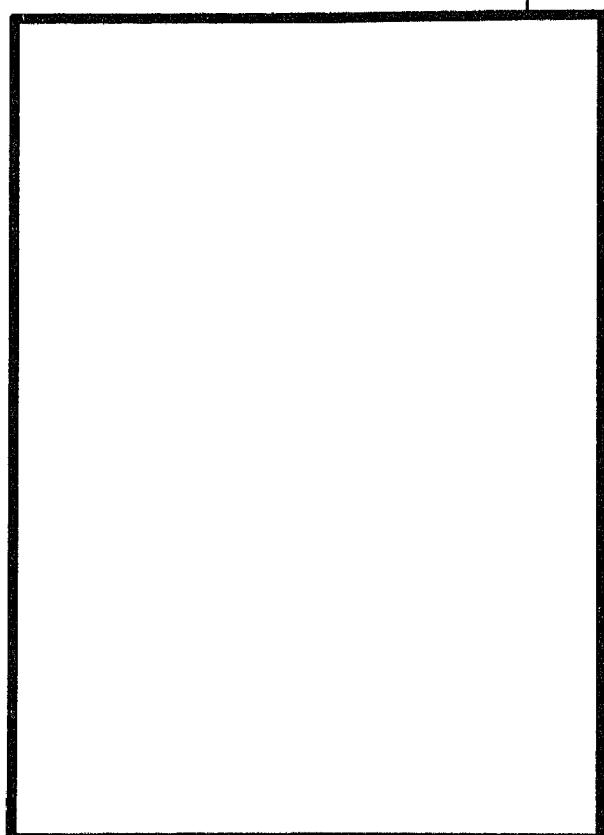
وهذه الفصول الخمسة وإن كانت حسب رأينا كلها مهمة غير أن الفصل الثالث هو الأهم من حيث أنه قلب الكتاب وروحه .

لذا يرجى من الأخوة القراء التركيز في فهمه وفي تحويله إلى واقع عملي ، وأن يعيدوا قراءته بين الفينة والأخرى ، لأنه يقودهم بإذن الله إلى سعادة الدنيا والآخرة .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع ، وأن يجعله خالصاً لوجهه إنه قريب مجيب .

حسن مكي الخوبيلي

الفصل الأول



معنى الإستغفار :

الإستغفار مأخذ من مادة (غَفَرَ) أي ستر وغطى وأصل (الغَفْر) التغطية والستر ، وكل شيء ستره فقد غفرته ومنه قيل للذى يلبسه المحارب على رأسه (يغُفر) يقال «غفر زيد المتع» : يعني جعله في الوعاء وستره فيه و (غَفَرَ الله الذنب) : أي ستره وغطاه وبالتالي يكون معنى الإستغفار : هو طلب الستر والتغطية والعفو من الله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن المستغفر يطلب من المولى عز شأنه أن يستر قبائمه وذنبه ، ويعطيها إلى الأبد فلا يسأله عنها ولا يعاقبه عليها ، وليس كل من طلب شيئاً وجده ، وليس كل من أراد ستر ذنبه وتغطيتها يلبي طلبه .

نعم إذا استطاع أن يوجد في نفسه الشروط التي يجب أن تكون موجودة عند المستغفر فإنه لا يرد طلبه ، وسوف تعرف على هذه الشروط في خضم هذا البحث المتواضع إنشاء الله .

الإستغفار من مَاذا؟ :

لا شك أن الإستغفار يكون من الذنوب والخطايا والمعاصي والتجاوزات والقبائح وكل ما من شأنه إبعاد الإنسان عن جادة الحق كظلم الناس ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والزنا ، وشرب الخمر ، واللعب بالقمار ، والعناء ، والقذف ، والخيانة ، والسرقة ، وأكل السحت ، والغيبة ،

والنميمة ، والإستهزاء بالمؤمنين ، وسوء الظن بالناس مع ترتيب الأثر عليه ، والحسد مع ترتيب الأثر عليه أيضاً ، والكذب ، والتطفيف في المكيال والميزان ، وعدم طاعة الزوجة زوجها فيما يجب عليها طاعته ، وظلم الزوج لزوجته ، وإشاعة الفاحشة ، وترك الواجبات ، وتسويف الحجج وتأخيره عن سنة الإستطاعة ، وسفور النساء ، وتأخير التوبية ، وشهاده الزور ، وما شابه ذلك من الرذائل والمحرمات التي نهانا الشارع المقدس عنها ولا يسعنا الآن أن نتطرق إلى حصرها .

آثار الذنوب :

إن للذنوب آثاراً سيئة وخطيرة على الصعيدين الفردي والإجتماعي ، فهناك من الذنوب ما يؤدي إلى بتر عمر الإنسان ، ومنها ما يؤدي إلى إدلاله وإفقاره ، ومنها ما يؤدي إلى نزول النقمـة الفورية عليه .

والحديث عن أضرار هذه الذنوب يحتاج إلى تفصيل واسع غير أننا نكتفي بذكر أهم الآثار الناتجة عن الذنوب إجمالاً :

١ - قسوة القلب :

القلب هو إمام الجوارح وهو دليلها ، ومرشدـها إذا ما ضلت طريقـها ، أو شكت في أمرـها لـذا يكون لـزاماً على المرء أن يحافظ على هذا الإمامـكيـ لا يتعرض لأـي اعتداء يـعطـل دورـه ، ولا يـكون ذلك إـلا بالإـبعـاد عنـ الذنـوبـ والـمعـاصـيـ فإذاـ ما اـقـرـفـ الإـنـسـانـ شـيـئـاًـ منـ هـذـهـ الذـنـوبـ حدـثـ فيـ القـلـبـ قـسـوةـ وـظـلـمـةـ .

إـذاـ قـسـىـ القـلـبـ ، وـعـيـتـ بـصـيرـتـهـ ، بدـأـتـ الـجـوـارـحـ تـخـبـطـ خـبـطـ عـشـوـاءـ وـبـدـأـ الإـنـسـانـ يـرـتكـبـ أـبـشـعـ الـجـرـائـمـ وـأـفـضـعـهـاـ دونـ أـنـ يـجـدـ مـنـ نـفـسـهـ زـاجـرـاًـ عـنـهـاـ .

قال تعالى ﴿ كـلـاـ بـلـ رـانـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ مـاـ كـانـواـ يـكـسـبـونـ ﴾^(١) .

(١) سورة المطففين ، الآية(١٤) .

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسْتَ قُلُوبَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحَجَارَةِ أَوْ أَشَدُ
قَسْوَةً ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿ وَقُولُهُمْ قُلُوبُنَا غَلَفَ بِلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَكْفَرَهُمْ فَلَا يَؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣).

وروي عن الإمام الباقر أنه قال : (ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا
أذنب ذنبًا خرج من النكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادي في
الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا تَغَطَّى البياض لم يرجع صاحبه
إلى خير أبداً وهو قوله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : « ما من شيء أفسد للقلب من
خطيئته ، إن القلب لي الواقع الخطيئة مما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه
أسفله ». .

٢ - الذنوب تغير النعم :

نعمتان سرعان ما تتبدلان وهما (الغني) و(الصحة) وبينما نرى الإنسان
غنياً وإذا به قد افتقر ، وبينما هو صحيح وإذا به قد مرض ، يصبح الإنسان غنياً
لا يدرى في أي بنك يضع أمواله ويمسي وقد مدد يد الاحتياج إلى الناس !!
وكل واحد منا معرض لهذه الحالة !!! كيف ذلك ؟

الأسباب كثيرة فلربما اشتعل في بيت هذا الإنسان حريق لا سمع الله

(١) سورة البقرة ، الآية(٧٤) .

(٢) سورة الصاف ، الآية(٥) .

(٣) سورة النساء ، الآية(١٥٥) .

وأحرقت أمواله ، أو ربما اعتدى لص عليها فسرقها أو ربما خرج الإنسان إلى عمله مستقلًا سيارته فتصطدم عن طريق الخطأ بسيارة مليئة بالركاب فيموت منهم عدد معين ، ويكون هو المخطيء فيطالب بالدية وتكون أمواله لا تستوعب كل الديات وهكذا يصبح الإنسان غنياً ويمسي فقيراً . أليس كذلك !! .

أو يصبح صحيحاً ويسري سقيناً ، وكم سمعنا ونسمع بأشخاص أصحاب
يصبحون وبمقدورهم مصارعة الفيلة ، ويسرون في غرفة العناية المركزة في المستشفيات بسبب جلطة دم أو عثرة أو شرقة أو ما شابه ذلك ، وهكذا تتغير النعم الأخرى أيضاً .

ولا شك أن السبب الأساسي لتبدل هذه النعم في الغالب هو (الذنوب)
نعم ، إنها الذنوب وما أدرك ما تصنعه الذنوب .

قال تعالى ﴿ كَدَّابُ آلِ فَرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْذَهُمْ اللَّهُ بِذَنْبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) ، فَالآلية الكريمة صريحة في أن ذنوب آل فرعون والذين من قبلهم هي التي غيرت النعم التي كانوا يرفلون بها .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إيه حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب »^(٢) .

وروي عنه أيضاً أنه قال : « الذنب يحرم العبد الرزق »^(٣) .

وروي عن الإمام الباقر أنه قال : « إن الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد نعمة فيسلبها إيه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمـة »^(٤) .

وروي عنه أيضاً أنه قال : « إن الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق وتلا

(١) سورة الأنفال، الآيتين: ٥٢، ٥٣.

(٢) الكافي : ج ٢ ، ص ٢٧٤ باب الذنوب ، ح ٢٤ .

(٣) الكافي : ج ٢ ، ص ٢٧١ باب الذنوب ، ح ١١ .

(٤) الكافي : ج ٢ ، ص ٢٧٣ باب الذنوب ، ح ٢٢ .

هذه الآية ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمُنَا مَصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَشْفُونَ ، فَطَافُ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(١) حيث أن هذه الآيات تشير إلى قصة أصحاب الجنة أي البستان الذي كان باليمن في قرية لها (صروان) بينها وبين صنعاء قرابة اثنى عشر ميلاً ، وكان ذلك البستان لشيخ يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله ، ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن أحق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم كما قص الله تعالى في كتابه .

وروي عن الإمام أمير المؤمنين أنه قال : « وأيم الله ما كان قوم قط في حفظ عيش فزال عنهم إلا بذنب اقترفوها لأن الله ليس بظلم للعيبد »^(٢) وحفظ العيش يعني : سعة العيش .

فهذه الأحاديث تدلنا دلالة واضحة على أن الذنوب تبدل النعم وتغيرها وبالتالي ترك الإنسان أسيراً بين أنبياء الفقر والهم ، يقول الشاعر :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وخطها بطاعة رب العباد رب العباد سريع النقم

يقول-أمير المؤمنين في الدعاء الذي علمه كميل بن زياد التخعي :
« اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم » .

ويقول الإمام الصادق : « الذنوب التي تغير النعم هي : ترك شكر النعم والإفشاء على الله والرسول وقطع صلة الرحم ، وتأخير الصلاة عن أوقاتها ، والدياثة^(٣) ، وترك إغاثة الملهوفين المستغيثين ، وترك إعانة المظلومين » .

وعوداً إلى بدء تذكر بأصل الفكرة بقوله تعالى : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ

(١) الكافي : ج ٢ ، ص ٢٧١ باب الذنوب ، ج ١٢ .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٨ .

(٣) الدياثة: القيادة ، والديوث من الرجال: القزاد على أهله .

لأزيدنكم ، ولشن كفرتم إن عذابي لشديد ﴿١﴾ ، فقوله سبحانه ﴿ولشن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ صريح في أن عدم الشكر موجب لتبدل النعم ونزول النقم وحقيقة الشكر تتجسد في طاعة الله فمن عصى ربه لم يشكروه وإن قال شكرًا لله كل يوم ألف مرة .

٣ - الذنب آفة العلم :

لا شك أن العلم نور ، يقدّمه الله في قلب كل من أراد هدايته فطلب العلم لا يكون بالتعلم فقط بل لا يكون إلا عبر الخطوات التالية :

أولاً : أن يتحقق طالب العلم صدق العبودية لله وحده .

ثانياً : أن يكون عاملاً بما علم وعازماً على أن يعمل بما يعلم .

ثالثاً : أن يتعلم العلم النافع بعد ذلك . فإنه إذا حقق الشرطين الأولين وفقة الله وأعانه على طلب العلم ، وتحقيق الشرط الثالث يقول الإمام أمير المؤمنين لولده الحسن في وصيته له : «... فإن أبىت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلب ذلك بفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات ، وعُلّق الخصومات ، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة ، أو أسلمتك إلى الضلاله» ^(٢) .

فالإمام يشير إلى أن التفهم والتعلم لا يتم إلا بالإستعانة بالله ، وطلب توفيقه وترك الذنوب والمعاصي والإبعاد عن الشبهات والضلالات .

ويقول أيضاً في دعاء الصباح المنسوب إليه : «إلهي إن لم تبتديئي الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي إليك في واضح الطريق» .

إذا أذنب الإنسان وخالف أوامر ربه ، والمتفضل عليه ، سلبه التوفيق والعون ، وحيث أن ثبوت العلم في القلوب لا يكون إلا بتوفيق الله وعونه ، لذا

(١) سورة إبراهيم ، الآية: ٧ .

(٢) نهج البلاغة: الوصية ٣١ .

تكون الذنوب ممحقة وآفة للعلم .

قال رسول الله (ص) : « اتقوا الذنوب ، فإنها ممحقة للخيرات ، وإن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه » .

لذا ينبغي لطالب العلم أن يحسن نيته ، ويظهر قلبه ، من كل دنس كي يكون مهياً لقبول العلم وحفظه ومراقباته فإن رواة العلم كثير ولكن رعااته قليل .

قصة :

أحد طلاب العلوم الدينية وإسمه (علي بن حشرون) إشت肯ى يوماً من الأيام ضعف ذاكرته لأستاذه واسمعه (وكيع) وطلب منه أن يرشده إلى دواء يعالج به مرضه . . . وكان الأستاذ روحانياً ، ورعاً فقال له : (إستعن على الحفظ بقلة الذنوب) ، وروي (بترك الذنوب) فنظم الإمام الشافعي رحمة الله القصة في بيتين قال فيهما :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
 وقال أعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

٤ - الذنوب تمنع استجابة الدعاء :

إن الله سبحانه قد أخذ على نفسه عهداً أن لا يخيب من دعاه ، ولا يرد سؤال من سأله ، وكيف لا ؟ وهو القائل : « ادعوني أستجب لكم »^(١) . وكل ذلك تلطف منه سبحانه وتعالى بعباده . . . « ومن أصدق من الله قيلاً »^(٢) !!

غير أن الأمر محير في الواقع ، فما دام الله سبحانه وعدنا باستجابة الدعاء إذا دعونا فلماذا لا تستجاب دعواتنا ؟ ! ! ! ما هو السر يا ترى ؟ لو تدبّرنا الأمر ملياً لرأينا أن السر يكمن في الذنوب التي تحجب دعاءنا عن الاستجابة ، ولا شيء

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٢٢ .

غير الذنب لأننا نقرأ ونسمع عن الكثير من أولياء الله الذين طهرت نفوسهم وصار بينهم وبين الذنب بعد المشرقيين ، كيف أن الواحد منهم يدعو الله في يوم شديد الحر وليس في السماء قطعة واحدة من الغيوم ، يسأل الله سبحانه أن ينزل الغيث ، ولا يقول أكثر من (رب إني وفيت بعهلك ففي عهدي) فلا يتم كلامه حتى تجتمع السحب ، وينزل الغيث !

فبماذا نستطيع أن نفسر هذا الأمر وأشباهه من جهة ، وعدم استجابة دعائنا من جهة أخرى !؟

إنها الذنب التي إذا عملها العبد حبس دعاءه ، وإذا تركها أو استغفر منها فتحت أبواب السماء لدعائه .

يقول الإمام الباقر : « إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء ، فيذنب العبد ذنبًا فيقول الله تعالى للملك لا تقضي حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني » (١) .

ومن الذنب أن يظلم الإنسان غيره فإنه إذا دعا لا يستجاب له دعاؤه ، وإن كان مظلوماً وذلك لأنه ظالم لغيره في نفس الوقت يقول الإمام الصادق : « إن الله عز وجل يقول : (وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمة) » .

ومما يدلنا على ذات الفكرة قول الإمام أمير المؤمنين في دعائه الذي علمه كميل بن زياد : (اللهم اغفر لي الذنب التي تحبس الدعاء) حيث أشار إلى أن هناك ذنوباً من شأنها أن تحبس الدعاء .

٥ - الذنب تنزل النقم وتورث البلاء :

المتأمل لكتاب الله المحكم ، وللسنة النبوية المطهرة ، ولاحديث أهل بيته الطاهرين ، يرى أن جميع المآسي والمصائب والمشاكل والنكسات والبلایا

(١) الكافي : ج ٢ ، ص ٢٧١ باب الذنب ح ١٤ .

وبتر الأعمار وما أشبه ، كل ذلك من الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الناس .

فشيوع المعصية ، وكفران النعمة ، والتتمادي في البغي والعدوان ، ومنع الحقوق والتطفيق في المكيال والميزان ، والظلم ، والغدر ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنع الزكاة ، والحكم بغير ما أنزل الله ، ونحو ذلك من المعاصي التي تمزق الأستان وتغضب الجبار . . . هو السبب الرئيسي والباعث الكلي في حلول النقم وإبادة الأمم ، بل وفي حلول كل المصائب والنكبات .

قال تعالى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنبهم والله شديد العقاب »^(١) .

وقال سبحانه « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنبهم وأغرقتنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين »^(٢) .

وقال تعالى أيضاً « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »^(٣) .

وقال سبحانه أيضاً « ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين »^(٤) .

فهذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن كل ما يصيب الإنسان من بلاء إنما جاء نتيجة الذنوب التي اقترفتها يداه .

وفي تراث الرسول (ص) وأهل بيته الشيء الكثير من الروايات الدالة على هذا المعنى ، والتي تضع النقاط على الحروف .

قال أمير المؤمنين : « توقوا الذنوب ، فما من بلية ولا نقص رزق إلا

(١) سورة آل عمران ، الآية: (١١) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية: (٥٤) .

(٣) سورة الشورى ، الآية: (٣٠) .

(٤) سورة القصص ، الآية: (٤٧) .

بذنب حتى المخدش ، والكبوة والمصيبة » ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مَصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ .

وقال الإمام الرضا : « كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون »^(١) .

وقال الإمام الصادق : « أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب »^(٢) .

وقال أيضاً : « كان أمير المؤمنين يقول : لا تبدين عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة ، ولا يأمن البيات من عمل السيئات » .

والإباء : هو الإظهار وتعديته بـ(عن) لتضمين معنى الكشف ، والواضحة : الأسنان التي تبدو واضحة عند الضحك ومعنى الحديث : لا تضحك ضحكاً تبدو به أسنانك ويكشف عن سرور قلبك ، ما دمت قد عملت عملاً فاضحة وكاشفة للعيوب والمساويء ، فإن من عمل السيئات لا يأمن أن تنزل عليه الحوادث والطوارق والنعم في البيات أي في الليل . وقال أبوأسامة : سمعت أبا عبد الله الصادق يقول : « تعوذوا بالله من سطواته بالليل والنهار قال : قلت له : وما سطوات الله ؟ قال : الأخذ على المعاشي ». وروي عن الإمام الصادق أيضاً قوله : « من يموت بالذنوب أكثر من يموت بالأجال ، ومن يعيش بالإحسان أكثر من يعيش بالأعمال »^(٣) . وروي عنه أيضاً أنه قال : « يقول الله عز وجل : إذا عصاني من عرفني ، سلطت عليه من لا يعرفني ». هذا مع لاحظ أن لطف الله سبحانه لم يرفع عنا ، وما هذه المصائب التي تصيبنا جراء ذنبنا إلا أجراس إنذار لا أكثر ، علنا نتوب أو نزور إلى رشدنا .

قال تعالى : « لِيذْيَقُهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمَلُوا لَعْلَهُمْ يَرْجِعُونَ »^(٤) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥ باب الذنوب ح ٢٩ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٦٩ باب الذنوب ح ٣ .

(٣) أمالى الشيخ الطوسى ص ٧١٠ .

(٤) سورة الروم ، الآية: (٤١) .

وقال سبحانه : « ولذينهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون »^(١).

وقال تعالى أيضاً : « وما نرinya من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون »^(٢).

وبالطبع لو كان الله يؤاخذنا على كل ذنب نقترفه ويعاقبنا عليه لما رأيت إنساناً يدب على وجه الأرض .

قال تعالى : « ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة »^(٣).

وقال تعالى أيضاً : « ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة »^(٤).

وروي عن الإمام أبي الحسن أنه قال : « إن الله عز وجل في كل يوم وليلة مناديًّا مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله ، فلولا بهائم رتع ^(٥) وصبية رضع وشيوخ ركع لصب عليكم العذاب صباً ترضون به رضاً »^(٦) نستجير بالله من عذابه ونقتمه .

والآن بقى سؤالان لا بد من الإجابة عليهما .

السؤال الأول : ما هي مظاهر الإلهية؟

السؤال الثاني : ما هي تلك الذنوب التي تورث البلاء وتنزل النقم؟ .

فبالنسبة لجواب السؤال الأول نقول : مظاهر النعمة الإلهية كثيرة : منها

(١) سورة السجدة ، الآية : (٢١) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : (٤٨) .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٦١) .

(٤) سورة فاطر ، الآية : (٤٥) .

(٥) رتع : جمع راتع ، أي أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٧٦ باب الذنوب ح ٣١ .

احتباس الأمطار ، وغور الأنهار ، وظهور الغلاء والجدب ، وكساد التجارة ، وبتر الأعمار ، وانتشار الأمراض التي لم تكن في أسلافنا الذين مضوا كالأيذز ، وموموت الفجأة ، ورفع البركة من كل شيء وزوال النعمة إلى غير ذلك .

قال تعالى : « وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُتْ بِأَنَّمَعَ اللَّهَ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »^(١) .

وقال الرسول (ص) : « إِذَا غَضِبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أُمَّةٍ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا عَذَابٌ - أَيُّ عَذَابٍ إِلَّا سَبَقَهُ أَذَى - غَلَتْ أَسْعَارُهَا وَقَصَرَتْ أَعْمَارُهَا ، وَلَمْ تُرِبِّ تِجَارَتَهَا ، وَلَمْ تَزَكِ ثَمَارَهَا ، وَلَمْ تَغْزِرْ أَنْهَارَهَا ، وَحَبَسَ عَنْهَا أَمَطَارَهَا ، وَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا شَرَارَهَا » .

وقال (ص) أيضًا : « لَمْ تَظْهُرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطْ حَتَّى يَعْلَمُنَا بِهَا إِلَّا فَشَاءَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا »^(٢) .

وحول السؤال الثاني :

فَإِنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي تُورِثُ الْبَلَاءَ فَهِيَ :

كما قال الإمام زين العابدين : « تَرَكَ إِغَاثَةَ الْمَلْهُوْفِينَ ، وَتَرَكَ مَعَاوِنَةَ الْمُظْلُومِ ، وَتَضَيِّعَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَىَ عَنِ الْمُنْكَرِ »^(٣) .

وفي بعض الروايات : أنها سبع :

« الشُّرُكَ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النُّفُسِ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتَمِ ظَلْمًا ، وَالْزِنَا ، وَالْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ ، وَالسُّرْقَةِ » .

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٧٣ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح ١ .

(٣) الوسائل : ج ١١ ص ٥٢٠ باب ٤١ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما ح ٨ .

وأما الدنوب التي تنزل النقم فهي :

كما قال الإمام الصادق: « نقض العهد ، وظهور الفاحشة ، وشيوخ الكذب ، والحكم بغير ما أنزل الله ، ومنع الزكاة ، وتطفيف الكيل » .

قال رسول الله : « خمس بخمس قالوا : يا رسول الله ما خمس بخمس ؟ قال (صلى الله عليه وآلـه) : « ما نقض قوم العهد إلا وسلط الله عليهم عدوهم ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا وقد فشا فيهم الموت ، وما شاع فيهم الكذب والحكم بغير ما أنزل الله إلا وقد فشا فيهم الفقر ، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر ، وما طفوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذلوا بالسنن » .

قال تعالى : ﴿فَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قُولًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾^(١) .

والأعظم من كل هذا أن الله سبحانه ربما دمر أمة بكاملها بذنب بعضها ، وذلك لأن البلاء إذا نزل عمّ .

قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فَتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢) .

روي حينما هاج طوفان نوح كانت هناك امرأة تحمل طفلها ، أمرها نوح أن تؤمن وتركب في السفينة فأبالت ! وقالت : سأصعد إلى الجبل لأنجو من الغرق صعدت إلى ثلث الجبل فوصل إليها الماء ، صعدت إلى الثلث الثاني وصل إليها الماء ، صعدت إلى الثلث الثالث ووقفت عند قمة الجبل فوصل إليها الماء . . . ثم ارتفع إلى حقوقها ، ثم إلى صدرها ، ثم إلى رقبتها رفت طفلها بيديها كأنها تستغيث ، ثم غرقت وغرق طفلها ، يقول الرسول (ص) : « لورحم الله أحداً ذلك اليوم لرحم ذلك الطفل » .

وكذلك لما نزل العذاب على (عاد) و(ثمود) و(قوم نَّجَّ) وغيرهم ما رحم

(١) سورة البقرة ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٢٥ .

طفلاً صغيراً ولا شيخاً طاعناً في السن ، ولا امرأة تعاني من ألم المخاض ، ولا مريضاً على فراش مرضه ، إنها النعمة إذا نزلت عمت .

ولا يكن بعد الزمان بيننا وبين أولئك سبباً لأن نشكك في الأمر أو نتباطأ فيأخذ العبرة والعظة .

فرويد لا تذهبن بنا المذاهب ، فهذا تاريخ أوروبا الحديث مفعم بآلاف العبر ، ولا يشك باحث في أثر الذنوب والجرائم في سقوط المجتمعات الغربية .

فالإحصائيات التي يقدمها الغرب عن الجرائم والمأساة وارتكاب الموبقات يقشعر لها الجسم ، وتُنبئ عن تحول الإنسان هناك إلى وحش كاسر ، مجهز بأحدث الوسائل لارتكاب أبغض الجرائم .

فانظر إلى آثار طاعون العصر (الأيدز) وخذ منه العبرة وكفى بالتفكير في أمره درساً .

وليت شعرى لماذا رضي المسلمين لأنفسهم بأن يسيراوا على ما سار عليه أولئك الغربيون حتى أصبحوا يقلدونهم حتى في طريقة الأكل والشرب واللبس والحلقة!!! .

لهذا السبب ولأمثاله أصبح المسلمون وللأسف سلعة يسامون عليها سماسمة السياسة العالمية! .

٦ - الذنوب تسلب لذة المناجاة :

كم هناك من اللذائذ لا يعرف قيمتها إلا أهلها .

إن من تلك اللذائذ لذة المناجاة التي تذوق حلاوتها الأبرار واهتدى إلى طيب نكهتها المتقون ، فهم أهلها وأعرف الناس بها وقد انها بالنسبة لهم يعني فقدان الشيء الكثير ، ولذة المناجاة هذه لا يذوقها من قيادته ذنوبيه ، وأسرته معاصيه .

جاء في الحديث الشريف عن الرسول (ص) : « إن العبد ليذنب الذنب فيمنع به من قيام الليل وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به الرزق وقد كان هنيئاً له » .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : « يقول الله تعالى : إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيد مناجاتي » .

وروي عنه أيضاً : « إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق » .

قصة قصيرة :

وهنا قصة مختصرة جميلة تحمل بين جنباتها درساً بليغاً .

جاء رجل إلى أمير المؤمنين وقال له : إني قد حرمت الصلاة بالليل ، ولا أدرى ما السبب ؟ فكلما أردت أن أصلِّي أصابني النعاس أو الكسل أو عرض لي عارض .

فقال له الإمام أمير المؤمنين : « أنت رجل قد قيدتك ذنوبك » .

تأمل الرجل في نفسه قليلاً ثم قال : « صدقت يا أبا الحسن » . وهكذا تحرم الذنوب صاحبها لذيد المناجاة وحلوة العبادة .

٧ - الذنوب تهتك العَصْمَ :

من لطف الله سبحانه وبتعاده أنه أودع فيهم المتعاتين المعنوية والجسمية ، فكما أن البدن الصحيح قد جهزه المولى عز إسمه بكريات الدم البيضاء التي تقاوم أي اعتداء على هذا البدن فإذا حافظ الإنسان على التعاليم والإرشادات الصحية كانت مناعته الجسمية كافية لصد أي نوع من أنواع الأمراض .

وإذا أهمل صحته فإن مناعة الجسم تضعف وبالتالي لا يستطيع الجسم مواجهة الأمراض التي تعتمد عليه ، فكذلك أودع الله في الإنسان المناعة من الوقوع في الموبقات والرذائل وذلك بمنحة العقل الذي لا يضل طريقة ، وفطره

على الفطرة الهدية غير أن ارتكاب الذنوب والمعاصي من قبل الناس هو الذي أضعف عندهم هذه المناعة .

يقول أمير المؤمنين في دعائه الذي علمه كميل بن زياد : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصمة » والعصمة : جمع عصمة وهي (المنعة) .

أقول : اعتصمت بالله : أي امتنعت بطريقه والمعنى : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تكون سبباً في زوال المناعة من الورق في الجرائر والموبيقات عندي » .

فكمما أن مرض (الأيدز) قد أفقد الإنسان المصايب المناعة فأصبح جسمه فريسة لأضعف فيروس ، قد يدخل بدنـه ، فكذلك الذنوب تدمر جـذر المناعة من الورق في المحرمات والمهلكات من الجرائم . وبالتالي يصبح الإنسان فريسة للذنوب فكلما خرج من ذنب دخل في آخر ، حيث لا مناعة من الورق في الذنوب عنده ، ومن ثم يصعب عليه مفارقـتها ، والخروج منها .

يقول بعض السلف : (إن من عقوبة السيئة بعدها) .

فزوـال المناعة يجعل القلب لا يستريح المعصية فتصير له عادة فلا يستريح من نفسه رؤـية الناس له ولا كلامـهم فيه وهذا لعـمر الله غـاية التهـتك ، حتى يفتـخر أحـدهـم بالمعصـية ويـجـاهـرـ بها وـقـلـمـا يـوـقـنـ أـمـثـالـ هـؤـلـاءـ لـلـتـوـبـةـ .

يقول النبي (ص) : « كل أمتـي معـافـى إـلاـ المجـاهـرونـ » .

ويـقولـ (صـ)ـ فيـ وـصـيـتـهـ لـبـعـدـ اللهـ بـنـ مـسـعـودـ : « ياـ بـنـ مـسـعـودـ إـحـذـرـ سـكـرـ الخطـيـئـةـ فـإـنـ لـلـخـطـيـئـةـ سـكـرـاـ كـسـكـرـ الشـرابـ ، بلـ هيـ أـشـدـ سـكـرـاـ مـنـهـ »ـ يقولـ اللهـ تعالىـ : « صـمـ بـكـمـ عـمـيـ فـهـمـ لـاـ يـرـجـعـونـ »ـ⁽¹⁾ـ .
وقـبـلـ الـإـنـتـقـالـ إـلـىـ نـقـطـةـ أـخـرـىـ لـعـلـكـ تـسـأـلـ :

(1) سورة البقرة ، الآية : (١٨) .

ما هي الذنوب التي تهتك العِصْمَ؟

والجواب : هي كما قال الإمام الصادق : « شرب الخمر ، واللعب ، والقامار ، وفعل ما يضحك الناس من المزاح ، واللهو ، وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب »^(١) .

وفي رواية أخرى مشابهة بدل عبارة (اللعب والقامار) اللعب بالقامار .

٨ - الذنوب تقطع الرجاء :

الرجاء : هو الأمل ، ويقصد بالأمل هنا : الأمل بالله ورجاء ما عند الله لا الأمل في مخلوق ما أو رجاء ما عنده ، ولا شك أن العاقل لا يرجو أحداً غير الله ولا غنى للإنسان عن ربه وعن رجاء ما عنده ، غير أن الذنوب بطبيعتها تجعل الإنسان بعيداً عن ربه ونحالقه وبالتالي ينقطع حبل الرجاء المتصل بين العبد وربه ، فيبقى العبد أسير الهموم والغموم لا يجد منها مخلصاً ولا عليها معيناً .

والذنوب التي تقطع الرجاء كما جاء في الروايات : « اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتکذیب بوعيد الله » .

٩ - الذنوب تعجل الفناء :

يطلق على المدة المضروبة لحياة الإنسان أجل ويقال للموت « أجل » أيضاً فإذا قلنا (دنا أجله) كان المعنى (دنا موته) لكن الأصل من عبارة (دنا أجله) هو استيفاء الأجل وهو مدة الحياة والأجل أجيالان : أجل مسمى ، وأجل غير مسمى ، فالأجل المسمى هو الذي لا يقع فيه تغيير وذلك لتقييده بقوله (عنه) حيث قال تعالى « وأجل مسمى عنده »^(٢) .

فتعند جمع هذه الآية مع قوله تعالى : « وما عند الله باق »^(٣) . يتبيّن أن

(١) الوسائل: ج ١١ ص ٥٢٠ باب ٤١ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما حديث ٨.

(٢) سورة الأنعام ، الآية: (٢) .

(٣) سورة النحل ، الآية: (٩٦) .

الأجل المسمى باق لا يتبدل ولا يتغير ولا يزيد ولا ينقص وذلك معنى قوله تعالى : «إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»^(١).

والأجل غير المسمى : هو المعلم المشروط الذي يزيد وينقص بسبب الأعمال التي يقوم بها الإنسان حسنة كانت أو سيئة ، وبالتالي فالأجل غير المسمى هو المكتوب في لوح المحظ والإنثبات فمحظ الله وإنثباته هو إظهار الأمر بعد إخفائه عن هذا الإنسان حيث أخفاه عنه لحكمة أرادها ، وليس ظهوره بعد خفائه لأن هذا والعياذ بالله يوجب نسبة الجهل عليه سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا الأجل (أي غير المسمى) هو المعروف بالأجل الإخترامي .

يقول ابن القيم الجوزية في كتابه الداء والدواء تحت عنوان من آثار المعاصي طول العمر وقصره (المعاصي تقصير العمر وتحقق بركته ولا بد ، فإن البر كما يزيد في العمر فالفسر يقصر العمر) كما استعرض آراء بعض العلماء فقال :

«قالوا : - أي بعض العلماء - ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب ، فالرزق والأجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقير وإن كانت بقضاء رب عز وجل فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها لمسبياتها مقتضية لها ، وقالت طائفة : نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره وتحققه عليه وهذا حق ، وقالت طائفة : بل تقصصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسباباً كثيرة تكره وتزيده وللبركة في العمر أسباباً تكره وتزيده » .

ولقد روي عن إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق أنه قال : «كان أبي يقول نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الأجال وتخلّي الديار»^(٢) .

(١) سورة يونس ، الآية : (٤٩) .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٤٨ باب تفسير الذنوب ح ٢ .

والذنوب التي تعجل الفناء كثيرة نشير إلى بعضها :

أ- قطيعة الرحمة :

يقول أبو حمزة الثمالي : قال أمير المؤمنين في إحدى خطبه : «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، فقام إليه عبد الله اليشكري بن الكواه فقال : يا أمير المؤمنين أو تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ قال : نعم ، تلك قطيعة الرحمة » ^(١).

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : «إياكم والحالقة فاتقوها فإنها تميت الرجال : قيل وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحمة » ^(٢).

ب- عقوبة الوالدين والإساءة إليهما :

يقول أمير المؤمنين : «إن في بر الوالدين النماء والزيادة وفي عقوبتهما البوار والإستئصال » .

ج- رد السائل المستحق :

فلقد جاء في الحديث الشريف : «لو صدق السائل لهلك المسوؤل».

د- اليمين الغموس :

أي اليمين الكاذبة : وسميت غموساً لأنها تغمض صاحبها في الإثم ، قال أمير المؤمنين : «إن اليمين الكاذبة ، وقطيعة الرحمة لتدran الديار بلاقع » ^(٣) ومعنى بلاقع : أي خالية من أهلها وهو كناية عن إبادة أهلها .

هـ- الظلم بكل أنواعه :

سئل أمير المؤمنين : «أي ذنب أعدل عقوبة لصاحبه ؟ قال : من ظلم من لا ناصر له إلا الله ، وجازى النعمة بالقصیر واستطال بالبغى على الفقير » .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٨ باب قطيعة الرحمة ح ٧ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٦ باب قطيعة الرحمة ح ٢ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٧ باب قطيعة الرحمة ح ٤ .

وقال أيضاً : « من سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر بثراً لأخيه وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انهتك عوارت بيته ». .

و - الزنا :

قال الرسول (ص) : « إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة »^(١) .

وقال أيضاً : « إن في الزنا ست خصال ثلات في الدنيا ، وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار ». .

وقال نبي الله يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لابنه يوسف : « يا بني لا تزبن فإن الطير لوزنى لتناثر ريشه ». .

ز - الشذوذ الجنسي :

قال تعالى : مشيراً إلى قوم لوط حيث سلط عليهم العذاب نتيجة شذوذهم الجنسي :

﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾^(٢) .

ومعنى ذيل الآية ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ أن هذه النقطة ليست بعيدة عن كل من يعمل عمل قوم لوط من الأجيال اللاحقة حيث تمطر السماء على أحدهم حجارة من نار فتهلكه ويظن الناس أنه مات حتف أنه لأنهم لا يرون تلك الحجارة والله أعلم بكيفية هلاكه كما أشارت إلى هذا المعنى كوكبة من الأحاديث الشريفة .

١٠ - الذنوب تجلب الوحشة :

يجد المذنب في قلبه وحشة تجعله يفقد طعم الحياة ولذيد عيشها ، فتراه

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح ٢ .

(٢) سورة هود ، الآيتين : (٨٢ ، ٨٣) .

يستوحش من أهل الخير ، ويبتعد عن مجالسهم ويقترب من حزب الشيطان وتبقى الوحشة تقوى وتكبر حتى تقع بينه وبين زوجته وأولاده وأقاربه ، بل ربما استوحش من نفسه .

يقول بعض الذاكرين : (إني لاعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وأمرأتي) .

ولقد شكى رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له : (إذا كنت قد أوحشت الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس) .

١١ - الذنوب تورث الذل :

العز كل العز في طاعة الله ومن أراد العز فليطلب من الله وبطاعة الله لأن العز كله الله .

قال تعالى : « من كان يريد العزة فللها العزة جمِيعاً » ^(١) .

وجاء في الحديث الشريف : « من أراد عزًا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته » .

فما دام العز في طاعة الله فإن الذل في معصيته ، فال العاصي ذليل وإن تظاهر بالعز والإستعلاء ، لأن الذنوب تعمل على تحثير النفس وتصغيرها قال تعالى : « وقد خاب من دسّها » ^(٢) .

وأصل التدسيمة : الإخفاء ومنه قوله تعالى : « أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ » ^(٣) .

فال العاصي يدس نفسه في المعصية ، ويخفى مكانها فتراه ذليلاً عند نفسه ، حقيراً عند ربها ، منقعاً عند الناس .

(١) سورة فاطر ، الآية : (١٠) .

(٢) سورة الشمس ، الآية : (١٠) .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٥٩) .

نعم إن الذنوب لتراث الصغار والذل ، خاصة إذا أدمى الإنسان على تلك الذنوب ، قال عبد الله بن المبارك :

رأيت الذنوب تميّث القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب

١٢ - الذنوب تمحق البركة :

لماذا أرزاقيا ليس فيها بركة ؟ ولماذا أعمالنا وأعمارنا ليس فيها بركة ؟
ولماذا حياتنا عديمة البركة ؟

ان الجواب الصحيح على هذه التساؤلات هو أن ذنوب العباد قد محققت
بركات الأرض وبركات السماء ، فما أبقيت لها بقية .

وبالتأكيد ما رفعت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق .

قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والأرض » (١) .

فالآية صريحة في أن عدم الإيمان والتقوى هو المانع من نزول بركات
السماء وظهور بركات الأرض .

يقول الرسول (ص) : « إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا
طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت
الأرض بركاتها من الرزق والثمار والمعادن كلها » (٢) .

ويقول أمير المؤمنين : « ألا وإن الأرض التي تكلم والسماء التي تظلكم
مطیعتان لربکم وما أصبحتا تجودان لكم ببرکاتهما توجعاً لكم ولا زلفة إليکم ولا
الخير ترجوانه منکم ، ولكن أمرتا بمنافعکم فأطاعتكم وأقيمتا على حدود
مصالحکم فقامتا ، إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الشمرات ،

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح ٢ .

وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ، ويقلع مقلع ، ويذكر متذكر ، ويزدجر مزدجر»^(١) .

١٣ - الذنوب وعذاب القبر :

لا يدخل مع المرء قبره سوى عمله ، فإن كان عمله حسناً أضاء له القبر ، وتحول إلى روضة من رياض الجنة ، وإن كان عمله سيئاً ضاق عليه القبر وانتشرت منه الروائح النتنة ، وتجسدت أعماله السيئة إلى حيات عقارب تلدغه ، فيجد حممة لدغتها أربعين خريفاً بل وتجسد إلى نار يتقلب فيها في عالم البرزخ وإلى يوم يبعثون .

قال تعالى : « ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون »^(٢) .

قصبة :

نقل الخضراوي : أن رجلاً تُوفي على عهد عبد الله بن عبد المطلب ، فلما حفروا له القبر رأوا تينين^(٣) ضخماً قد رفع رأسه وفتح عينيه نحوهم وكأنه يتضرر موعداً أو عد به فخافوا من شره والتعرض له ، وطمموا ذلك القبر ، وحفروا آخر ظهر لهم ذلك التينين بنفسه ، فطموا القبر الثاني وحفروا قبراً آخر ظهر لهم ذلك التينين بعينيه أيضاً للمرة الثالثة ، فخافوا وأخبروا بذلك ابن عباس ، فقال لهم : لو حفرتم هذه القبور^(٤) كلها لم يغب عنكم هذا التينين فأنزلوا الميت معه فإنه ليس تينينا وإنما عمل الميت ، وما قدم من الخطايا والذنوب فسألوا زوجته عن فعله فقالت : إنه كان يرفع غداءنا من الحنطة ويوضع فيها بقدر ما أخذ شيئاً وقشوراً فيمزجه بذلك وبيشه على الناس وهكذا يجد العصابة ما عملوه حاضراً ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٣ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : (١٠٠) .

(٣) حيوان أسطوري يجمع بين الزواحف والطير ، يقال: له مخالب أسد وأجنحة نسر ، وذنب أفعى ، له رجل فيها أربعة أظفار على نسق ، و الخامسة في الكف ، وفي رأسه جمة شعر .

(٤) هكذا وردت العبارة في مصدرها ، ويبدو أن هناك تسامحاً في التعبير، إلا مع التدقير لا تخلو العبارة من نظر.

وحضور أعمالهم يعني تجسدها إلى ألوان العذاب على رأي بعضهم .
قصة أخرى :

حدثنا التاريخ أن سعد بن معاذ لما مات قام رسول الله (ص) وأمر بتغسله وهو قائم على عضادة الباب ، ولما حنط وকفن وحمل على سريره تبعه (ص) بلا حذاء ولا رداء .

فقال بعض المشيعين يا رسول الله نحن نكفيك قال (ص) : أما لو كشف لكم الغطاء لرأيتم الملائكة زرافات يشيرون جثمان سعد ، فلما انتهى به (ص) إلى القبر لحده (ص) بيده وسوى اللبن عليه ، وجعل يقول : ناولوني حجراً ، ناولوني ترباً رطباً ، يسد به ما بين اللبن ، فلما أن فرغ وحش التراب عليه .

قالت أم سعد : « يا سعد هنيئاً لك الجنة » .

فقال رسول الله (ص) : « يا أم سعد لا تجزمي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة » .

قالت : لماذا يا رسول الله (ص) : « لأنك كان في خلقه مع أهله سوء » ، « وإن ضغطة القبر للمؤمن كفاره لذنبه » كما جاء في حديث آخر .

إذا كان هذا حال من شيعته الملائكة وشيعه رسول الله (ص) ما سلم من ضغطة القبر نتيجة ذنب بسيط فهل نسلم نحن إذا ما فاجأنا الحمام ونحن محملون بالخطايا والذنوب ؟ !! .

نعم نسلم منها إذا وفانا الحمام وقد طهرنا أنفسنا من كل ذنب بالإستغفار ، بمعنى ما خرجنا من الدنيا ونحن ملوثون بشيء من تلك الذنوب وما أروع هذه الآية التي تعتبر أرجى آية في القرآن كما قال رسول الله (ص) وهي : « ... إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ^(١) .

(١) سورة هود ، الآية : (١١٤) .

نعم مرة أخرى نسلم من ضغطة القبر إذا محت حسناتنا سيناتنا .

١٤ - الذنوب تقود إلى جهنم :

إن كل البلايا وكل ألوان العقاب لا تساوي شيئاً أمام عذاب جهنم فلو لم يكن من جهنم إلا الرائحة التئنة التي لو شمها أهل العجنة لنسوا ما هم فيه من النعيم لكتفي .

لقد روي عن الإمام الصادق : « إن أهون الناس عذاباً يوم القيمة لرجل في ضحضاح من نار عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل (القدر) ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه ، وما في النار أحد أهون عذاباً منه » .

وروي أيضاً : « إن الشمس صخرة واحدة من صخور جهنم » .

رويداً لتأمل هذا الحديث معًا :

إن درجة حرارة الشمس تقدر على سطح الشمس بنحو : ستة آلاف درجة مئوية (٦٠٠٠ درجة) ، وتقدر درجة حرارتها في باطن الشمس بـ

عشرين مليون درجة مئوية (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درجة) .

والحديد كما هو ثابت في الفيزياء ينهر ويذوب عند درجة (١٥٠٠ درجة) ألف وخمسائة درجة مئوية ، فإذا كان الحديد يذوب عند درجة ألف وخمسائة درجة مئوية وحرارة الشمس في باطنها تقدر بعشرين مليون درجة (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درجة) وهذه الشمس الملتهبة صخرة واحدة من صخور جهنم .

إذن ما حال جهنم ذاتها ؟

(اللهم أجرنا من عذاب جهنم يا مجير الصالحين) .

وروي عن الرسول (ص) : « لو أن دلواً من غساق جهنم ألقى في الدنيا

لأنهن أهل الأرض فهذا شراب أهل النار إذا استغاثوا من العطش » .

« وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بشس الشراب وساعات مرتفقاً »^(١) .

وقال أيضاً (ص) : « لو أن دلواً صُبِتْ من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جمامج من مغربها » .

وقال أيضاً (ص) : « لو أن رجلاً أخرج من نار جهنم ، ووضع في نار الدنيا لاستطاع أن ينام من الراحة » .

إنه لحربي بنا أن نقف طويلاً متذكرين أمام هذه الأحاديث وأمام الآيات التي تصف جهنم وعذابها حتى نصل إلى درجة نكون فيها وكأن شهيق جهنم وزفيرها في أصول آذاننا كما هو حال الأتقياء الذين وصفهم أمير المؤمنين بقوله : « وإذا مروا بأية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم » .

يقول الشاعر واصفاً حال سكن جهنم :

فأين الذي في النار كان مقامه فذاك مقام لا كريم وبارد مقامه فيها حديد وشربه صديد وأما جاره فالأساود^(٢) ويأكل فيها من ضريح وقطعت من النار أثواب له ومجاسد

ويقول أمير المؤمنين في صفة النار وأهلها : « وألبسهم سراويل القطران ومقطوعات النيران في عذاب قد اشتد حرّه وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب^(٣) ولجب^(٤) ولhib ساطع وقصيف^(٥) هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .

(٢) الأسود : الحيات السوداء التي تشبه البغال .

(٣) عبر بالكلب (محركاً) عن هيجانها .

(٤) اللجب : الصوت المرتفع .

(٥) القصيف : أشد الصوت .

أسيرها ولا تفصم^(١) كبولها^(٢) ، لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى^(٣) .

ويقول أيضاً في صفة جهنم : « فاحذروا ناراً قعرها بعيد ، وحرها شديد ، - وشرابها صديد - وعذابها جديد ، - ومقامعها حديد ، لا يُفتر عذابها ولا يموت ساكنها -، دار ليس فيها رحمة ، ولا تسمع لأهلهما دعوة »^(٤) .

وقال الإمام الباقر : « إن أهل النار يتعاونون كما يتعاون الكلاب والذئاب مما يلقون أليم العذاب ، ما ظنك بقوم لا يُقضى عليهم فيموتوا ؟ ، ولا يخفف عنهم من عذابها ؟ عطاشى فيها ، جياع كليلة أبصارهم ، صم بكم عمى ، مسودة وجوههم ، خاسئين فيها نادمين ، مغضوب عليهم ، فلا يرحمون ، ومن العذاب لا يخفف عنهم وفي النار يسجرون ، ومن الحميم يشربون ، ومن الزقوم يأكلون ، وبكلاليب النار يحطمون وبال مقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون ، فهم في النار يسحبون على وجوههم ، ومع الشياطين يقرنون ، وفي الأنكال والأغلال يصفدون ، إن دعوا لم يستجب لهم ، وإن سألوا حاجة لم تُقضَ لهم هذه حال من دخل النار » .

والسؤال الآن : لمن تكون هذه النار يا ترى ؟
أتكون لغير العصاة المذنبين ؟
بالطبع ، كلا .

قال عيسى ابن مريم : « كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح
غداً بين أطباق النار يصبح » .

وقال أمير المؤمنين : « إن في جهنم طواحن يطحن بها أفلأ تسألوني ما طحنها فقيل له : وما طحنها يا أمير المؤمنين ؟ قال : العلماء الفجرة ، والقراء الفسقة ، والجبارية الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكاذبة ، وإن في النار

(١) تفصم : تقطيع .

(٢) الكبول : جمع كبل وهو القيد .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ .

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٢٧ .

للمدينة . يقال لها الحصينة ، أفلأ تسألوني ما فيها ؟ فقيل : وما فيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : أيدي الناكثين » .

والقرآن الكريم غني بالآيات التي تتحدث عن صفات الناس " الذين هم وقود جهنم فلا بأس بتلاوة القرآن والتوقف عن تلك الآيات للتفكير والتأمل .

فلولا عناد المعاندين وإصرار المجرمين وجحود الكافرين لما خلق الله النار ، لقد خلقها للذين أصرروا على الإجرام ، وماتوا عليه ، . بعد أن جاءتهم البينات ولم يجدوا سبيلاً لإنكارها وإن تظاهروا بذلك لأن نفوسهم ستفضّلهم يومئذ وتقول لقد استيقنا تلك الأمور ، لكن اتباعكم لشهواتكم هو الذي جعلكم تكذبون وتقولون بأنكم في شك منها .

نعم إنها للذين أشركوا وفسقوا وكذبوا وعصوا وعتوا عن أمر ربهم عتواً كبيراً ، إنها للذين حادوا ، ومالوا عن جادة الحق ، وسلكوا درب الباطل بعد علمهم وبعد انكشف الشبهات عنهم ، وبعد أن جاءتهم الرسل والنذر ، وبعد أن عُمرُوا مدةً يستطيعون فيها أن يراجعوا أنفسهم ويؤوبوا إلى رشدهم .

يقول أمير المؤمنين : « قد عُمِّرُوا مَهَلَّ الْمُسْتَعْتَبِ وَكُشِّفَتْ عَنْهُمْ سُدَّفَ الْرِّيبِ » يعني عاشوا مدة تكفيهم لمعاتبة أنفسهم وهدايتها لو أرادوا ، وأزيحت عنهم ظُلْمُ الشكوك .

وهذا الحديث يشير إلى الآية الكريمة وهي قوله تعالى : « وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبُّنَا أَخْرَجَنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كَنَا نَعْمَلُ ، أَوْ لَمْ نَعْمَلْ كُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجاءَكُمُ النذير فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ »^(١) .

هذه بعض العقوبات التي تسبّبها الذنوب والخطايا ، ذكرتها بشكل إجمالي وسريع كي يعرف القارئ الكريم بأن داء الإنسان منه ودواوته فيه أيضاً وإن الأمر راجع إليه في إصلاح نفسه .

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : (٣٧) .

جعلنا الله وإياكم ممن سمع الموعظة فعقلها ، وعرف خطر الجريرة
فتجنبها ، إنه سميع مجيب ، ﴿وَإِنِّي لِغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
اهتَدَ﴾^(١) .

(١) سورة طه ، الآية : (٨٢) .

الفصل الثاني

- ١- لماذا الإستغفار ؟
- ٢- ما هي فوائد الإستغفار ؟
 - ١ الإستغفار يطيل الأعمار .
 - ٢ الإستغفار يفتح أبواب الرزق .
 - ٣ الإستغفار واستجابة الدعاء .
 - ٤ الإستغفار ونعمة البنين .
 - ٥ الإستغفار والقوة البدنية والإيمانية .
 - ٦ الإستغفار يكشف الهموم والغموم والبلايا .
 - ٧ الإستغفار يقطع وتين الشيطان .
 - ٨ الإستغفار يستر القبائح .
 - ٩ الإستغفار يبدل السيئة حسنة .
 - ١٠ الإستغفار يجلورين القلوب .
 - ١١ الإستغفار يساقط الذنوب .
 - ١٢ الإستغفار ينجي من النار .

لماذا الاستغفار

ماذا تقول لو سألك شخص لماذا يصلح الملاح سفيته ، ويحتاط كل الحيطة كي لا يكون فيها ثقب واحد ؟ !

وماذا تقول لو سألك آخر لماذا إذا أراد الغواصون وأصحاب التجارب النزول في أعماق بحر يعيش فيه سمك القرش المفترس ينزلون في أقفاص حديدية ؟

وماذا تقول لو سألك ثالث لماذا يسرع الناس إلى المستشفيات لأخذ العلاج الواقي إذا ما سمعوا بانتشار وباء خطير ومعده مثلاً في قطتهم أو مديتها ؟

إن الجواب البديهي والطبيعي هو أن الخوف على الحياة هو الذي دفعهم للحفاظ على أرواحهم ، وتأمين حياتهم ، فهم يبحثون عن الأمان إذ لا خير في الحياة بدون أمان .

ولكن الأمان الأهم والأكبر هو الإستغفار لأنه يؤمن حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، والحرص عليه والتمسك به أحرى وأولى .

قال رسول الله (ص) : « عليك بالإستغفار فإنه المنجاة » .

وقال أمير المؤمنين : « كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع

أحدهما فدونكم الآخر فتمسكون به ، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما الأمان الباقى فالإستغفار ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(١) .

وقال أيضاً : « العجب من يهلك ومعه النجاة قيل وما هو ؟ قال : الإستغفار » .

وقال أيضاً : « مَا أَلَّهُمُ اللَّهُ عَبْدًا إِلَّا سَغَفَرَ لَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُ » .

وعن أبي جعفر قال : « كان رسول الله (ص) يقول : مقامي فيكم والإستغفار حصن حصين من العذاب فمضى أكبر الحصينين وبقي الإستغفار فأكثروا منه فإنه ممحة للذنب » ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

إذا لم يبادر الإنسان إلى التخلص من الذنب بالإستغفار فإنها تعمل على تدميره في الدنيا والآخرة فتجعل حياته الدنيوية جحيناً لا طاق من الكوارث والبلايا والمصائب ، وفي الآخرة يكون مصيره نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير ، لا فترة مريحة ولا دعة مريحة ، ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ، ولا سُنَّة مسلية بين أطوار الموتات ، وعذاب الساعات ، إنما بالله عائذون .

من هنا يكون الأحرى أن يقال لماذا التباعد عن الإستغفار لماذا الإستغفار ؟ لأن الذي يثير الدهشة ويعث على القلق والخوف من طوارق الليل وحوادث النهار ، هو التباعد عن الإستغفار ، لذا على العاقل أن يكرر دائمًا :

لماذا أنا متبعض عن الإستغفار ؟
ولماذا الأمان من مكر العزيز الجبار ؟
﴿ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنفال ، الآية : (٣٣) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٩٩) .

فوائد الاستغفار

إن من أهم الفوائد التي يجنيها المستغفرون من الإستغفار مسألة (الأمان من النومة) حيث أنه لا خير في حياة بلا أمان وإذا كانت النومة من السماء فإن ذلك أن الإنسان قد خسر الدنيا والآخرة وذلك الخسارة المبين . وقد أشرنا إلى هذا الأمر في الفقرة السابقة من هذا الفصل غير أن هناك فوائد كثيرة أخرى نذكر أهمها :

١- الإستغفار يطيل الأعمار:

كما إن أكثر الناس يموتون بالذنوب حيث تبت أعمارهم كقوم لوط ، وقوم صالح ، وقوم هود ، وآل فرعون ، وأمثالهم ، حيث جعلتهم ذنوبهم عرضة لنومة الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذَنْبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآءَ آخَرِينَ﴾^(١) .

كذلك فإن كثيراً من الناس يكشف عنهم العذاب والبلاء ويعطون الزيادة في أعمارهم وذلك بالإستغفار من ذنوبهم وفعل الطاعات في دنياهم وخير مثال على ذلك قوم يونس حيث كشف الله عنهم العذاب ، وذلك بعد أن خرجوا إلى

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٦) .

الصحراء مصطحبين أطفالهم وأغنانهم ومواسיהם حيث فرقوا بين النساء والرجال وبين الأمهات وأولادها وبين المواشي وصغارها ، بعد أن رأوا علامات العذاب ، وبكوا وضجوا وندموا على ذنوبهم وعاهدوا الله على أن يكونوا مخلصين في عبادته إن كشف عنهم العذاب وأكثروا من الإستغفار فكشف الله عنهم العذاب ومدّ في أعمالهم التي كادت أن تبت وفرق الله العذاب على الجبال المحيطة بمدينتهم - كما روي - فذابت تلك الجبال من شدة حرارة العذاب .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ لَمْ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَزِيرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمُثْعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾^(١) .

فإيمان قوم يونس ورجوعهم إلى الله واستغفارهم من ذنوبهم كان السبب الأساسي في كشف العذاب عنهم وإطالة أعمارهم ، ولقد أشار القرآن بصرامة في مواضيع أخرى إلى أن الإستغفار يطيل الأعمار كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يَمْتَعُوكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلٍ مُسْمَىٰ وَيُؤْتَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِنْ تُولُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾^(٢) .

فالآية الكريمة تدلنا على المعنى المزبور من جهتين :

الجهة الأولى :

قوله تعالى : ﴿ يَمْتَعُوكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلٍ مُسْمَىٰ ﴾ حيث أن جزم الفعل ﴿ يَمْتَعُوكُمْ ﴾ بفعل الطلب ﴿ اسْتَغْفِرُوا ﴾ يدلنا على أن هناك أداة شرط محنونة والمعنى ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يَمْتَعُوكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلٍ مُسْمَىٰ ﴾ أي يطيل أعماركم بمحو الأجل غير المسمى أما الأجل المسمى فلا سبيل إلى محوه . لذلك قال : ﴿ إِلَى أَجْلٍ مُسْمَىٰ ﴾ .

والجهة الثانية :

﴿ وَإِنْ تُولُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ فإن المعنى الذي

(١) سورة يونس ، الآية : (٩٨) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٣) .

يتلاؤ من الآية الكريمة التأكيد على الأمر السابق نفسه ولكن عن طريق الضد والأمور تعرف بآضدادها فقوله تعالى : « وإن توّلوا » بعد أن قال : « وأن استغفروا » دليل على أن المعنى وإن توّلوا وأعرضوا عن الإستغفار الذي يطيل أعمارهم فإن أعمارهم ستبتدر وإذا بتت فإن عذاب النار بانتظارهم لأنهم ماتوا وهم عصاة ولم يستغفروا ربهم من ذنوبهم .

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : « أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى »^(١) .

ولقد دعا الله عباده إلى الإستغفار كما هو واضح في الآية السابقة « وأن استغفروا » وعبارة « يؤخركم إلى أجل مسمى » دليل على إطالة الأعمار :

٢- الإستغفار يفتح أبواب الرزق :

إن من المسلمات أن الذي يتکفل بأرزاق الخلائق هو المنان الرحيم الذي لا توجد دابة على وجه الأرض إلا وعليه رزقها ، قال تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها »^(٢) .

حتى وإن كانت تلك الدابة نملة صغيرة فإن (المنان) لا ينساها ولا يغفلها ، يقول أمير المؤمنين : « انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تقاد تناول بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها وصُبّت على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتُعدّها في مستقرها ، تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها^(٣) ، مكفول برزقها ، ممزوجة بوفيقها^(٤) لا يغفلها

(١) سورة إبراهيم ، الآية : (١٠) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٦) .

(٣) الصدر ، بفتحتين : الرجوع بعد الورود .

(٤) وفقها ، بكسر الواو : أي ما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .

المنان ولا يُحرِّمها الديان ولو في الصفا^(١) اليابس والحجر الجامس^(٢) »^(٣) .

نعم إن العقل والوجدان والحقائق الواضحة للعيان كل ذلك يدلنا على أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ولا رازق سواه .

﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾^(٤) .

بل هو الذي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء من عباده في الرزق لحكمة هو يريدها قال تعالى : ﴿الله يُبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء علِيم﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يُبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٦) .

ولقد تكررت هذه الآية كثيراً في القرآن وفي عدة سور ، بل إنها في بعض السور جاءت بأسلوب التوبیخ لكل من يزعم أن الرزق ليس بيد الله ويرافق التوبیخ نزول العذاب أيضاً وإليك مثلاً على ذلك . قال تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانُ ضَرَ دُعَانًا ثُمَّ إِذَا خَوَانَاهُ نِعْمَةً مَنَا قَالَ إِنَّمَا أَوْتَيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكُنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُؤُلَاءِ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمَعْجِزِينَ ، أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتِ لِقَوْمٍ يَؤْمِنُونَ﴾^(٧)

إن هذه الآية من سورة الزمر تشرح لنا أمراً طالما حاول الكثير من الناس

(١) الصفا: الحجر الأملس لا شقوق فيه .

(٢) الجامس: الجامد .

(٣) انهج البلاغة ، خطبة: (١٨٥) .

(٤) سورة الذاريات ، الآية: (٥٨) .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية: (٦٢) .

(٦) سورة سباء ، الآية: (٣٩) .

(٧) سورة الزمر ، الآيات: (٤٩ - ٥٢) .

المراء فيه تعنتاً وغروراً فأصابهم سيئات ما كسبوا وما قارون ومن هلك معه عنا بعيد . ثم تشير الآية إلى أن من يسلك مسلكهم من الأمم والأجيال اللاحقة سيكون مصيرهم كمصيرهم من سباقهم .

ذلك الأمر هو ادعاؤهم أن الرزق الذي عندهم والنعمـة التي يتمتعون بها وكل ما عندـهم من الخـيرات إنما جاء ذلك نـتيجة عنـائهم وكـدحـهم وـتفـكـيرـهم وـتـخـطـيطـهم ، ولو فـكـروا هـنـيـة لـعـلـمـوا أـن لا يـدـ لهم في ذـلـكـ كـلـهـ إـلا بـإـذـنـ اللهـ حيثـ أـن اللهـ سـبـحـانـهـ هوـ الـذـيـ رـزـقـهـمـ نـعـمـةـ الـوـجـودـ وـرـزـقـهـمـ نـعـمـةـ الـبقاءـ وـنـعـمـةـ التـخـطـيطـ وـنـعـمـةـ الـقـوـةـ لـاـكـتسـابـ الـرـزـقـ وـنـعـمـةـ التـوفـيقـ وـنـعـمـةـ الـعـافـيـةـ وـجـعـلـهـمـ أـيـدـ يـبـطـشـونـ بـهـاـ وـأـرـجـالـاـ يـمـشـونـ بـهـاـ وـأـعـيـنـاـ يـبـصـرـونـ بـهـاـ وـآذـانـاـ يـسـمـعـونـ بـهـاـ وـمـيـرـةـ^(١) يـتـقـوـونـ بـهـاـ وـلـوـ ذـلـكـ كـلـهـ لـمـ اـسـتـطـاعـواـ اـكـتسـابـ ماـ حـصـلـواـ عـلـيـهـ وـلـوـ شـاءـ اللهـ لـجـعـلـهـمـ صـمـاـ بـكـمـاـ عـمـيـاـ ضـعـفـاءـ مـرـضـىـ لـاـ يـقـدـرـونـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ أـبـدـاـ لـذـاـ كـانـ مـنـ الـمـنـاسـبـ جـداـ أـنـ يـقـولـ فـيـ آخـرـ هـذـهـ الـآيـةـ^(٢) أـوـ لـمـ يـعـلـمـواـ أـنـ اللهـ يـبـسـطـ الـرـزـقـ لـمـ يـشـاءـ وـيـقـدـرـ^(٣) لـتـبـيـانـ أـنـ الـرـزـقـ يـرـتـبـطـ اـرـتـبـاطـاـ تـامـاـ بـمـسـأـلةـ الـطـاعـةـ وـالـعـصـيـانـ لـأـوـامـرـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـكـماـ أـنـ الذـنـوبـ تـمـحـقـ الـرـزـقـ وـالـبـرـكـةـ فـاـلـإـسـتـغـفارـ مـنـ تـلـكـ الذـنـوبـ مـجـلـبةـ لـلـخـيـرـاتـ وـمـورـثـةـ لـلـبـرـكـاتـ .

ولقد دلت الآيات الواضحـاتـ والـرـوـاـيـاتـ الـمـتـوـازـاتـ عـلـىـ ذـلـكـ ، قالـ تعالىـ عـلـىـ لـسـانـ نـبـيـهـ نـوـحـ :^(٤) فـقـلـتـ آسـتـغـفـرـواـ رـبـكـمـ إـنـهـ كـانـ غـفـارـاـ يـرـسـلـ السـمـاءـ عـلـيـكـمـ مـدـرـارـاـ وـيـمـدـكـمـ بـأـمـوـالـ وـبـنـيـنـ وـيـجـعـلـ لـكـمـ جـنـاتـ وـيـجـعـلـ لـكـمـ أـنـهـارـاـ^(٥) .

والـآيـةـ الـكـرـيمـةـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ إـرـسـالـ السـمـاءـ مـعـلـقـ عـلـىـ إـتـيـانـ الـإـسـتـغـفارـ وـالـمـعـنـىـ إـنـ تـسـتـغـفـرـواـ رـبـكـمـ يـرـسـلـ السـمـاءـ وـيـرـسـلـ مـجـزـومـ غـيرـ أـنـ التـقـاءـ إـلـسـاكـنـينـ مـنـعـ مـنـ ظـهـورـ السـكـونـ عـلـىـ الـلـامـ فـكـسـرـتـ وـالـمـرـادـ بـالـسـمـاءـ : السـحـابـ فـإـنـ كـلـ مـا

(١) المـيـرـةـ : المـؤـونـةـ وـالـزـادـ .

(٢) سـوـرـةـ الزـمـرـ ، الـآيـةـ : (٥٢) .

(٣) سـوـرـةـ نـوـحـ ، الـآيـاتـ : (١٠ - ١٢) .

علا وأظل فهو سماء . وقيل الغيث وهو شائع في الإستعمال . والمدار مبالغة من الدّر وأصل الدّر للبن ثم استعير للغيث ولكل فائدة ونفع . بإرسال السماء مدراراً إرسال سحب تمطر أمطاراً متتابعة نافعة تحيي بها الأرض وينبت الزرع والعشب وتحلى الأشجار بكثرة الشمار وترخص الأسعار وتسطي البركة جناحيها على الناس فتكثر أموالهم وأرزاقهم وخیراتهم وكل ذلك بسبب الإستغفار .

وقال تعالى على لسان نبيه هود: ﴿ وِيَا قَوْمًا أَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يَرْسُلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴾^(١)

وقال الرسول (ص): « من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فليحمد الله ومن استبط الرزق فليستغفر الله ، ومن أحزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقال إمامنا أمير المؤمنين: « وقد جعل الله سبحانه والإستغفار سبباً للدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه: ﴿ اسْتَغْفِرُوكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا يَرْسُلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴾ فرحم الله عبداً استقبل توبيته واستقال خططيته وبادر منيته »^(٢) .

وقال في وصيته لكميل بن زياد التخعي: « إذا أبطأت الأرزاق عليك فأستغفر الله يوسع عليك فيها » .

وقال أيضاً: « الإستغفار يزيد في الرزق » .

وقال أيضاً: « أكثروا الإستغفار تجلبوا الرزق » .

وقال أيضاً: « إستغفر ترزق » .

وقال الإمام الصادق: « إذا استبطأت الرزق فأكثر من الإستغفار فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿ أَسْتَغْفِرُوكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ، يَرْسُلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

(١) سورة هود ، الآية: ٥٢ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة: ١٤٣ .

مداراً ويمددكم بأموال وبنين ﴿ يعني في الدنيا .

غير أن الناس يطردون الرزق عنهم بأعمالهم ويضعون أنفسهم بين أنياب الفقر بذنباتهم . قال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾^(٢) .

٣- استجابة الدعاء :

كما أن الذنوب تمنع استجابة الدعاء فإن الاستغفار منها يجعله عرضة للإستجابة وذلك لأن المانع قد ارتفع وهو الذنوب وحيث أن الله سبحانه قد أخذ على نفسه أن يجيب دعوة من دعاه فإنه إذا تحققت شروط الإستجابة والتي تدرج تحت قائمة رفع الحجب المانعة من المعاصي والذنوب إذا تحققت تلك الشروط حصلت الإستجابة لعدم جواز نسبة الكذب أو خلف الوعد إليه سبحانه . مع لحظ أن المستغفر من ذنبه كمن لا ذنب له . ولقد دل القرآن على ذلك صراحة حيث قال : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم عبدوا الله مالكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجتب ﴾^(٣)

لو تأملنا عبارة ﴿ فأستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجتب ﴾ ، وتتأملنا قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني ﴾^(٤) . لوجدنا أن الآية الأولى تقول ﴿ إن ربى قريب مجتب ﴾ والآية الثانية تقول : ﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداع ﴾ ، والمعنى الجوهرى واحد ولوجدنا أن الرابط بين عبارتي ﴿ فأستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ وعبارة ﴿ إن ربى قريب مجتب ﴾ في الآية الأولى هو تبيان أن الاستغفار طريق لاستجابة الدعاء

(١) سورة الأنفال ، الآية : (٥٣) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (١١٨) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٦١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (١٨٦) .

وكان المعنى « فَاسْتغفِرُوهُ تُجَبُ دُعَواتُكُمْ »

٤- الإستغفار ونعمة البنين :

لا تحلو الحياة إلا بزيتها والتي منها نعمة الأولاد قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا »^(١) . وكم ضاقت الدنيا بما راحت على كثير من الناس لا لقلة المال عندهم ، ولا لمرض خطير أقعدهم ، ولا لقلق أو أرق أو اضطراب قض مضاجعهم ، ولا لشيء سوى أنهم حرموا نعمة الأولاد فتراهم يجوبون الأرض برأً وبحراً وينزلون أغلى ما لديهم وربما صرفوا من المبالغ ما يصعب على الخيال تصوره بحثاً عن علاج أو دليل يرشدهم إلى من يفرج همومهم ويصل بهم إلى مناهم . غافلين عن أن الأمر كله راجع إلى الله سبحانه حيث يقول : « يهب لمن يشاء إنساناً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهما ذكراناً وإناثاً و يجعل من يشاء عقيماً إنه عظيم قادر »^(٢) .

نعم الأمر كله راجع إليه سبحانه فهو الذي برحمته جعل زوجة نبيه إبراهيم تحمل وتلد ، وقد تجاوزت سن اليأس بل تجاوزت التسعين من عمرها يقول صاحب المجمع : وهي إبنة ثمان وتسعين سنة أو تسع وتسعين سنة وكان شاخت زوجها وكان ابن تسع وتسعين سنة أو مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما . قال تعالى : « وامرأته قائمة فضحتك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت يا ولدي أللّه وأنا عجوز وهذا بعلي شيئاً إن هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد »^(٣) .

وهو الذي رزق نبيه زكريا ولداً مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصيراً ونبياً من الصالحين »^(٤) .

(١) سورة الكهف ، الآية : (٤٦) .

(٢) سورة الشورى ، الآية : (٤٩ - ٥٠)

(٣) سورة هود ، الآيات : (٧٣ - ٧١) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (٣٩) .

هذا وقد كان وقت ذاك ابن مائة وعشرين سنة وأمرأته بنت ثمان وتسعين سنة كما قال ابن عباس (في مجمع البيان ج ٢ ، ص ٧٤) قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ أُنِي يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكَبُرُ وَأَمْرَأِي عَافَرَ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ﴾^(١) .

وهو الذي خلق عيسى من دون أب وهو مسبب الأسباب وخالق الأسباب ومدير الأمور وياudit من في القبور . ومن ذا يقدر على ذلك سواه ؟ ومن ذا يسعه فعل شيء من ذلك بدون إذنه ؟

نعم إن الأخذ بالإسباب ضرورة والأمور لا تجري إلا بأسبابها . غير أنه لا بد أن نعلم أن هناك الكثير من الناس توجد عندهم قابلية الإنجاب صحياً لكنهم لا ينجذبون ! وعندما تعمق لمعرفة الأسباب الرئيسية نرى أنه بعضهم عاق لأبيه وقد دعا عليه أبوه فحرم من الأولاد وبعضهم ظالم لأمه وقد شقت الأم جيئها وهي في محرب صلاتها داعية عليه بأن يحرمه الله هذه النعمة فحرم منها وبعضهم احتال على فقير فسلبه قوت عياله فانتقم الله منه وهكذا وأنتقام الله سبحانه من البعض وترك البعض الآخر لا يدل على أنه سبحانه لا يأخذ بالذنب ، بل إن الله يأخذ من يشاء بذنبه لمصلحة ارتضاها ، ويترك من يشاء متمناً في غيّة لحكمة اقتضاها . قال تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾^(٢) .

وحيث أن الأمر كله لله فإن المستغفر من ذنبه أهل لأن يوجد الله عليه بهذه النعمة لأنه حبيبه (حبيب الله) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٣) .

هذا إن لم يعد الله سبحانه المتستغفرين بهذه النعمة أما مع وعده سبحانه بذلك فإن الشك فيه يعتبر ضرباً من ضروب الكفر . وعلّك تسأل : أين وعد الله

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٤٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٢٢) .

بذلك ؟ والجواب قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتَ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ، يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ، وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١)

قوله : ﴿ وَبَنِينَ ﴾ واضح في الدلالة على ذلك وقوله : ﴿ يَمْدُدُكُمْ ﴾ دليل على أن النعمة لا تتوقف لأن الإمداد معناه هو العطاء المتواصل الذي لا ينقطع خاصة أن الفعل ﴿ يَمْدُدُكُم ﴾ مجزوم مما يدلنا على أن المعنى « إن تستغفروا يَمْدُدُكُم » وعن عطاء أن معنى ﴿ يَمْدُدُكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ أي يكثر أموالكم وأولادكم الذكور .

وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكى إليه التجدوية فقال له الحسن إستغفر الله ! وأتاه آخر فشكى إليه الفقر

قال له : إستغفر الله !

وأتاه آخر فقال : أدع الله أن يرزقني إبناً

قال له إستغفر الله !

فقلنا : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالإستغفار

قال : ما قلت ذلك من ذات نفسي إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح أنه قال لقومه : ﴿ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ الآية .

وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال : سأله رجل الإمام أبا جعفر وأنا عنده فقال له : جعلت فداك إني كثير المال وليس لي ولد فهل من حيلة

قال : الله يقول ﴿ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ، يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

(١) سورة نوح ، الآيات : (١٠ - ١٢) .

مدرارا ، ويمدكم بأموال وبنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا)
فها هو القرآن قد أوضح لنا داءنا وداعنا فهل نعتبر ؟
﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾^(١) .

٥- القوة البدنية والإيمانية :

من الثابت علمياً أن البدن يتأثر بالروح ، فإذا كانت الروح مريضة يتتأثر بذلك البدن سلبياً ، وإذا كانت الروح لا تحمل مرضًا تأثر بذلك البدن إيجابياً . فالإستغفار يظهر الروح من أمراض الحقد والحسد والغيبة وظلم العباد ، وما شابه ذلك فإذا ارتاحت الروح من هذه الأمراض إعشوشب البدن وزادت قوته ألا ترى الذين يحقدون على الناس أو يحسدونهم على ما أتاهم الله من فضله يعذبون أنفسهم ويسرعون بها إلى المشيّب كما قال أمير المؤمنين « الهم نصف الهرم » . ولعل المثل الشائع (من راقب الناس مات هماً) يكون صحيحاً . ولقد أشار القرآن الكريم بوضوح تام إلى أن الإستغفار يقوى الإنسان بدنياً وإيمانياً قال تعالى في سياق الحديث عن قوم عاد ونبيهم هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « ويا قوم أستغروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم »^(٢) .

فقوم عاد كانوا أقوباء بدنياً إلى درجة أنهم بناوا مدينة عظيمة لا مثيل لها تسمى (إرم) قال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد »^(٣) .

فبناؤهم لهذه المدينة العظيمة دليل على قوتهم ، قوله تعالى : « يزدكم قوة إلى قوتكم » دليل على أن القوة هنا قوة البدن من حيث أن زيادة القوة إلى

(١) سورة ق ، الآية : (٣٧) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٥٢) .

(٣) سورة الفجر ، الآيات : (٦ - ٨) .

القوة إشارة إلى ذلك لأن الأصل قوة البدن وكأن المعنى « استغفروا ربكم فإنكم إذا استغفرتם الله زادكم الله قوة فوق قوتكم » .

وهناك من المفسرين من قال : القوة هنا قوة المال والولد والشدة ، وكل ذلك مما يقوى به الإنسان . وهناك من قال بأن المراد من زيادة القوة هنا : زيادة قوة الإيمان على قوة الأبدان ولعل الجمع بين قوة الإيمان وقوة الأبدان أولى ، وذلك لأن الاستغفار يزيد الإيمان ويضاعف قوته وهذا واضح لذى لب ، ووضوح هذا الأمر أغناناً عن إيضاحه . ويزيد قوة البدن كما أوضحنا في الأسطر القليلة السالفة الذكر .

٦- الإستغفار يكشف الهموم والغموم والبلايا :

إذا هيمنت الهموم على أحد سلبيته راحته وأبدلته نعيم حياته جحيناً ولم يك ينفعه حينئذ مال ولا جاه ولا متصب فكم رأينا ونرى الكثير من الأثرياء الذين بسطت الدنيا أججحتها تحت أقدامهم ، يعيشون حياة نكدة ، قد تنغصت لذائتها وتذكر صفوها ، ومن جانب آخر نرى الكثير من الفقراء الذين يفترشون الحُصُر المرقعة ويقتاتون الطعام الجشب ينعمون بسعادة لا يحلم بها الكثير منم أقبلت عليهم الدنيا بكل زخارفها . وحينما تتأمل سبب ذلك نرى أن الهموم قد بركت بثقلها على قلوب الأثرياء في الوقت الذي يعيش الفقراء متخلين عن هموم الدنيا قد علموا أنها ليست لهم بدار فاتخذوها دار سفر لا دار مقام . نعم إنها هموم الدنيا التي يجعل الحياة موتاً والضياء ظلاماً ، والألفة فرقـة ، والمحبة بغضـاً .

فهلا سألت عن المخرج من هذه الهموم والغموم ؟

رويداً . . . إنه بين يديك !!!

إنه الإستغفار وما أدرك ما الإستغفار ؟ إنه النجاـة من كل نـقمة وـمن كل هـم وـغم .

قال النبي (ص) : « من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحسب » أخرجه ابن ماجه .

وقال (ص) أيضاً: « من كثرت همومه فليكثر من الإستغفار »

وقال (ص) أيضاً: « إدفعوا البلايا بالإستغفار ». .

وعن محمد بن الريان قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث أسأله أن يعلمني دعاء للشدائد والنوازل والمهمات ، وأن يخصني كما خص آباؤه موالיהם فكتب إلى « إلزم الإستغفار » ! .

نعم إنه إذا استغفر الإنسان ربه ، وظهر مصباح النور في قلبه ، تجلت عظمة الخالق في نفسه ، وعندما تصغر الدنيا وما فيها من أملاك وزخارف وحطام في عينيه . فعندما يتخلص من المهموم والغموم ، لأن الدنيا هي مصدر الهموم والغموم ، وإذا استطاع الإنسان قلع حب الدنيا من قلبه تمكن من قلع الهموم والتخلص منها يقول أمير المؤمنين : « ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث: هم لا يغبه وحرص لا يتركه ، وأمل لا يدركه ». فقوله « التاط أي التتصق » قوله « هم لا يغبه » أي لا يتركه ولا ليوم واحد ، يقال زيد عَبَّ القوم إذا كان يحضر يوماً ويغيب آخر أما الهم فلا يغب ولا يدع محب الدنيا أبداً .

٧- الإستغفار يقطع وتين الشيطان:

أتعرف الشيطان؟ أتعرف ما يريد؟ أتعرف ما صنع بك وبالسابقين من أبائك وأجدادك؟

إنه العدو المبين الذي تحدى وتكبر وتجرّ وقرر أن يقعد للناس صراط الله المستقيم ﴿لَا قُدْنَ لَهُمْ صِرَاطُكُ الْمُسْتَقِيم﴾^(١) . وهو الذي يريد أن يصل الناس ضلالاً بعيداً قال تعالى: ﴿وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًاً بَعِيدًا﴾^(٢) . ويريد أن يوقع بين الناس العداوة والبغضاء والخصومات والمشاحنات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةُ

(١) سورة الأعراف ، الآية: (١٦) .

(٢) سورة النساء ، الآية: (٦٠) .

والبغضاء ﴿١﴾ ، ويريد أن يجرد الناس من سترهم وحيائهم وإيمانهم . قال تعالى : « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة ينزع عنهم لباسهما ليريهما سوأتهما ﴿٢﴾ .

ولقد أضل الشيطان الكثير من سبق من الأمم السالفة والأقوام الغابرة قال تعالى : « ولقد أضل منكم جيلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴿٣﴾ .

ولا يزال الشيطان يصد الناس عن الدين والحق صدوداً يعطيهم من الوعود الكاذبة والأمني الزائف الكثير ﴿٤﴾ يغدر لهم ويعطيهم وما يغدر لهم الشيطان إلا غروراً ﴿٥﴾ .

يقول أمير المؤمنين في وصف علاقة الشيطان بالإنسان : « والشيطان مُوكّل به ، يزيّن له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها ﴿٦﴾ .

ويقول أيضاً : « إن الشيطان يسني ﴿٧﴾ لكم طرقه ، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ، ويعطيكم بالجماعة الفرقة ، وبالفرقة الفتنة ، فأاصدفوا ﴿٨﴾ عن نزغاته ﴿٩﴾ ونفثاته ﴿١٠﴾ .

وقال أيضاً : « فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه ، وأن يستفزكم بندائه وأن يجعل عليكم بخيله ورجله ﴿١١﴾ ، فلعمري لقد فوق لكم سهم إلوعيد

(١) سورة المائدة ، الآية : (٩١) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٧) .

(٣) سورة يس ، الآية : (٦٢) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (١٢٠) .

(٥) يسوقها : يؤخرها ويؤجلها .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٢ .

(٧) يسني : يسهل .

(٨) فأاصدفوا : فأعرضوا .

(٩) نزغاته : وساوسه .

(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢١ .

(١١) ورجله : أي مشاته ، والمقصود دعاء السوء .

وأغرق إليكم بالنَّزْع^(١) الشديد ورماكم من مكان قريب ، فقال : ﴿ رَبُّ بِمَا أَغْوَيْتِنِي لِأَزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَغُوِّنُهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾^(٢) .

نعم المطلوب هو الحذر منه والإنتصار عليه ، والتخلص من فخاخه وإخضاعه بل وتدميره وقطع دابرها ولكن ما هي السبل التي تقود سالكها إلى فعل ذلك ؟

إن أهم تلك السبل هو الإستغفار .

قال الرسول (ص) لأصحابه : « ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تبعد الشيطان منكم كما تبعد المشرق من المغرب ؟

قالوا : بلى .

قال : الصوم يسود وجهه ، والصدقة تكسر ظهره ، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابرها والإستغفار يقطع وتبينه ولكل شيء زكاة و Zakat of the body الصيام » .

والوتين : هو عرق يسقي الكبد وإذا انقطع مات صاحبه - على ما ذكره الراغب - وقيل هو رباط القلب .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴾^(٣) .

٨- الإستغفار يستر القبائح :

إذا أكلت طعاماً من طبيعته أن يترك في الفم رائحة كريهة يتضايق منها الناس ، وأنت في نفس الوقت لا غنى لك عن لقى الناس فماذا تصنع ؟ وكيف تلتقي بالناس بحيث لا يشمون منك تلك الرائحة المزعجة ؟ إن المسألة بسيطة

(١) النزع في القوس : مدها .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيتين : ٩٧-٩٨ .

للغاية عندك أليس كذلك؟ تقول آخذ شيئاً من الطيب وأنثره على حتى ينشغل الناس باسم الرائحة الزكية الحسنة عن تلك الرائحة النتنة . نعم إن هذا التصرف هو عين التعقل حيث حولت الرائحة الكريهة المنبوذة إلى رائحة حسنة تحبّيك إلى الناس وتقرّبهم من مجالسك .

والآن هل تعلم :

أن للذنوب رواح أكثر ننانة وكرامة يشمها الناس على بعد آلاف الأميال ؟
نعم إنها الذنوب التي إذا فعلها صاحبها في المشرق فاحت رائحتها القدرة في المغرب فيفتصح هنالك وتتكشف مساوئه وعيوبه ورب قائل إنني أفعل الذنوب ولا أحد يدرى بها فكيف أفتح بروائحها ؟

والرد على ذلك هو أن السائل غفل أو تغافل عن حقيقة أنه ما أضمر أمرؤ شيئاً (سواء من الذنوب أو غيرها) إلا وظهر على صفحات وجهه وفلات لسانه . كما أنه ربما نسي أو تناهى أن الإنسان إذا فعل قبيحاً في خلواته ولم يعلم بذلك الناس فذلك لطفٌ من الله سبحانه به حيث ستره ستار العيوب .

فالإنسان يذنب والمولى عز شأنه يستر وهكذا حتى يستوجب هذا العبد الفضيحة فيفضحه الله بذنبه ولنا فيما فضحتم ذنوبهم من الأمم السابقة والأقوام اللاحقة عبرة .

نعم كما أن من أكل طعاماً ذا رائحة يحتاج إلى عطر يصرف به تلك الرائحة ويتحولها إلى رائحة حسنة طيبة فكذلك نحن بأمس الحاجة إلى أن نتعطر بالإستغفار حتى لا تسبّع منا رواح الذنوب والمعاصي يقول أمير المؤمنين : « تعطروا بالإستغفار كي لا تفضحكم رواح الذنوب » .

إن كلام الإمام يدلنا صراحة على أن للذنوب رواح فاضحة لا يسترها إلا الإستغفار . « وأستغفرو الله إن الله غفور رحيم » (١) .

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢٠ .

٩- الإستغفار يبدل السيئة حسنة :

كما أن العطر يبدل الرائحة الكريهة المروفة إلى رائحة حسنة محبوبة كذلك الإستغفار فإنه يبدل السيئة إلى حسنة وهذا من لطف الله سبحانه وكرمه بعباده .

جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق أنه قال: «أوحى الله عز وجل إلى داود النبي يا داود إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنبًا ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحق مني عند ذكره غفرت له وأنسنته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين» .

وقال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(١) هذه فيكم ، إنه يؤتي بالمؤمن المذنب يوم القيمة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل فيكون هو الذي يلي حسابه حتى يوقفه على سيئاته كلها كل ذلك يقول «أعرف» فيقول: سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ابدلوها لعبدي حسنات فترفع صاحيفته للناس فيقولون سبحان الله !! «أما كان لهذا العبد سيئة واحدة؟ !!!؟» .

إنه الكرم الذي لا يعرف الحدود إنه كرم من هو أرحم بالعبد من أمه الحنون إنه كرم من يتحبب إلى عباده في الوقت الذي يتغضرون إليه ويتقرب إليهم في الوقت الذي يتبعدون عنه . ﴿وَيَا قَوْمَ آسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾^(٢) .

١٠- الإستغفار يجعل رين القلوب :

يُعتبر القلب إمام الجسد فكل ما تفعله الجوارح من أعمال اختيارية آت من القلب . لهذا فمرض القلب أخطر بكثير من مرض البدن . يقول أمير المؤمنين: «ألا وإن من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من

(١) سورة الفرقان ، الآية: (٧٠) .

(٢) سورة هود ، الآية: (٥٢) .

مرضى البدن مرض القلب .

وأمراض القلب كثيرة كالحقد والحسد والبخل وسوء الظن والريبة والشك والإإنكار والعداوة في غير موضعها ، وما شابه ذلك . وإن أمراض القلب لهي أشد فتكاً بالإنسان وبالمجتمع من أمراض البدن .

وأمراض القلب أساسها الوحيد: « الذنوب والمعاصي » التي تغير سلوك الفطرة وتربين على القلوب فتحجب نورها كما يحجب السحاب نور الشمس وكلما كان السحاب أكثر سمكاً كلما كان احتجاج الشمس أكثر بل ربما تحول النهار إلى ليل إذا تراكمت السحب على بعضها البعض كذلك يتحول نور القلب إلى ظلام حينما تراكم عليه سحب الذنوب والمعاصي .

قال تعالى: ﴿ كُلَا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١) .

وجاء في الحديث الشريف: « إنما قست القلوب لكثرة الذنوب »^(٢) إذن وبعد إتضاح ما ذكرنا من هنا لا يريد أن يعرف السبيل إلى تطهير هذه القلوب مما ران عليها؟ لا شك أن كلنا يريد ذلك

والسبيل إلى تطهير القلوب مما ران عليها هو الإستغفار ولا شيء كالاستغفار .

قال رسول الله (ص): « إن للقلوب صدأ كصداء النحاس فاجلوها بالإستغفار »^(٣) رواه الطبرى .

ويقول الإمام الباقر: « لكل شيء دواء ودواء الذنوب الإستغفار »^(٤) .

وقال تعالى: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾^(٥) .

(١) سورة المطففين ، الآية: (١٤) .

(٢) الوسائل: ج ١١ ص ٣٣٧ باب ٧٦ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه حديث ٥ .

(٣) الوسائل: ج ٤ ص ١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر حديث ٥ .

(٤) الكافي: ج ٢ ، ص ٤٣٩ باب الإستغفار من الذنب ح ٨ .

(٥) سورة النمل ، الآية: (٤٦) .

١١- الإستغفار يساقط الذنوب:

يقول الإمام الصادق: « من استغفر الله مائة مرة حين ينام بات وقد تحات الذنوب كلها عنه كما يتحات الورق من الشجر ويصبح وليس عليه ذنب »^(١) .
ويقول الإمام الرضا: « مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فتاثر »^(٢) .

نعم إن الإستغفار ليساقط الذنوب ويمحوها وإن كانت مثل زبد البحر بل وإن كانت عدد قطرات مياه البحار والأنهار كما دل القرآن الكريم والروايات عن الرسول (ص) وأهل بيته الطاهرين .

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣) .

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾^(٤) .

١٢- النجاة من النار ودخول الجنة :

قال حذيفة رضي الله عنه « كنت ذَرِيباً^(٥) اللسان على أهلي فقتلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال الرسول (ص) فأين أنت من الإستغفار في اليوم مائة مرة »^(٦) .

إين أنت من الإستغفار؟

هكذا رد الرسول الأكرم (ص) على حذيفة يعني يا حذيفة أتخشى النار

(١) الوسائل: ج ٤ ص ٢٩٠ باب ١٣ من أبواب التعقيب ، حديث ٢ .

(٢) الكافي: ج ٢ ، ص ٤٥٠ باب الإستغفار ، ح ٣ .

(٣) سورة الزمر ، الآية: (٥٣) .

(٤) سورة هود ، الآية: (٩٠) .

(٥) يقال ذَرِيب لسانه ، إذا كان شتماً فاحشاً لا يبالي بما قال .

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه ، ص ٥١١ .

والمنقد منها في متناول يديك؟ ألا وهو الإستغفار.

ولقد دل القرآن الكريم على ذلك حيث يقول على لسان الجن الذين انصرفوا إلى قومهم متذررين بعد سماعهم له . « يا قومنا أجيروا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويعمركم من عذاب أليم »^(١).

فإجابة داعي الله تكون بالإستغفار وغيره والنتيجة غفران الذنوب والنجاة من النار .

قال تعالى : « ويا قوم استغروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين »^(٢).

فالآلية الكريمة صريحة في أن الذين لا يستغفرون الله يكونون مجرمين بإصرارهم على المعاشي ومن المعلوم أن مجرمين في جهنم .

قال تعالى : « إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون »^(٣).

وقال تعالى : « وترى المجرمين يومئذ مقرئين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار »^(٤).

ولا يكون ثواب المستغفرين النجاة من النار فقط . بل ودخول الجنة أيضاً والفوز بنعيمها . قال تعالى : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا للذنب لهم ومن يغفر الذنب إلا الله ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ونعم أجر العاملين »^(٥).

فهل بعد هذا النعيم نعيم؟! لقد تبين لك عزيزي القارئ من هذا

(١) سورة الأحقاف ، الآية: (٣١) .

(٢) سورة هود ، الآية: (٥٢) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية: (٧٤) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآيات: (٤٩ - ٥٠) .

(٥) سورة آل عمران ، الآيات: (١٣٥ - ١٣٦) .

الفصل كيف أن الإستغفار يطيل العمر ويفتح أبواب الرزق والنعم ويكشف الهموم والغموم ويدفع البلايا ويستر القبائح ويجلو رين القلوب ويُساقط الذنوب ويتحتها حت الورق ، ويهيء الدعاء للإستجابة ، ويعطي صاحبه هيبة الإيمان ونور المتقين ، ويخلصه من النار ، ويدخله الجنة ، فأي عاقل يسترخص هذه الأمور ؟ إنه لا يسترخصها إلا من نسي نفسه ، وضل طريقه وتاه عن رشده ، وطبع على قلبه .

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله وأستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾^(١) .

(١) سورة محمد ، الآية : (١٩) .

الفصل الثالث

والبحث فيه يدور حول ركين هامين :
أولاً : الكيفية الخاطئة للإستغفار .
ثانياً : الكيفية الصحيحة للإستغفار . . .
وتتكون من أمرتين :
١ - تحقيق دعائم الإستغفار .
٢ - الإستغفار بآدابه وشروطه .

المبحث الأول

الكيفية الخاطئة للإستغفار :

يتصور كثير من الناس أن الإستغفار هو أن يقول الإنسان بلسانه (أستغفر الله) وفقط ظاناً أنه إذا فعل ذلك سُجّل في عداد المستغفرين الذين تُفتح لهم بركات السماء والأرض وتُرِّين لهم جنة الفردوس .

مع أن هذا الإنسان قد يكون في الغالب من المستهزيئين بالله والمستوجبين سخطه وعذابه ، حيث أنه يقول : (أستغفر الله) بلسانه ، ويصر على المعا�ي والذنوب بل والكبائر بعمله ، فما قيمة الإستغفار باللسان إذا كان العمل يخالف ذلك ؟

ألا يعد ذلك استهزاءً بالله سبحانه ، وبأوامره ونواهيه ؟ ثم ها نحن نرى الكثير من الناس يستغفرون الله ولا نراهم ينالون شيئاً مما وعد الله به المستغفرين من إطالة العمر ومن استجابة الدعاء ومن كشف الهموم ودفع البلایا وستر القبائح ، وراحة الضمير وما شابه ذلك .

فهل يسعنا أن نتهم الله سبحانه في صدق وعده !!؟ أم يجب أن نتهم هؤلاء وأمثالهم في صدق استغفارهم ؟ ؟

إننا نقول هذه الكلمة (أستغفر الله) وربما نكررها كثيراً في كل يوم ولكن في نفس الوقت نرتكب المعا�ي ، ولا نندم على فعلها ، ولا نجد من أنفسنا

عزمًاً على تركها بل نعلم أننا عائدون إليها إن مُدّ لنا في أعمارنا ومع ذلك نقول
أستغفر الله .

ألا يعتبر هذا استخفافاً بجلال الله سبحانه وعظمته ؟

إن ظهورنا مثقلة بمظالم العباد ، ولا نرانا عازمين على رد تلك المظالم
إلى أهلها ، بل ولا تكاد ترانا نفكر في ذلك ، وَكَانَ حُقُوقُ النَّاسِ قدْ أَصْبَحَتْ
مَغْنِمًا كَبِيرًا لَنَا وَمَعَ ذَلِكَ تَرَى الْكَثِيرُ مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) فَمَا رأَيْكَ
فِي هَكُذا اسْتِغْفَارٌ ؟ أَتَرْضَى أَنْتَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُكُذا أَنَّاسٌ ؟؟؟ .

لو جاءك شخص وظلمك ، وغضب حبك وطعن في كرامتك بدون وجه
حق ، ثم ذهب إلى داره ، وكشف لك عن الغطاء ورأيته يقول (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) مع
أنه لا يزال مصرًا على فعله ، أَكْنَتْ تَرْضَى بِاسْتِغْفَارِهِ ؟ أَمْ كَنْتْ تَعْدُهُ مِنَ
الْمَنَافِقِينَ وَأَكَابِرِ الْمُجْرِمِينَ ؟ ؟

إننا لو تأملنا تلك العطايا التي يتحصل عليها الإنسان من الإستغفار والتي
أشرنا إليها في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، ورأينا أنفسنا صفر اليدين منها ،
وفكرنا في سبب ذلك ملياً ، لعلمنا بأننا إنما حرمنا منها لأننا أخطأنا الكيفية
الصحيحة للإستغفار ، وأمسينا متمسكين بالقشور تاركين اللباب ، فحربي بنا أن
نتعرف على معنى الإستغفار الصحيح وعلى كيفية المبتغاة كي تكون أهلاً للفوز
بتلك العطايا .

المبحث الثاني

ما هي الكيفية الصحيحة للإستغفار ؟؟

الإستغفار الصحيح الذي أمرنا الباري عز شأنه به وحثت السنة الشريفة عليه ووعدت الآيات الكريمة صاحبه بالخيرات الحسان وراحة الوجدان ونعم الجنان ، لا يكون إلا باجتماع أمرتين هامين :

أولاً : تحقيق دعائين الإستغفار .

ثانياً : الإستغفار بآدابه وشروطه .

ولأن هذا الفصل يعتبر من الفصول المهمة إن لم يكن أهمها وذلك لغفلة الناس وجهلهم بحقيقة الإستغفار وأخذهم الأمور بقشورها الأمر الذي جعل الكثير منهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً مع أنهم بعيدون كل البعد عن ذلك لذا نشير إلى هذه الأمور الثلاثة بنوع من التفصيل .

أولاً تحقيق دعائم الاستغفار

الاستغفار مبني على دعائم ست ، وتحقيقها يعتبر من أولويات الإستغفار ومقدماته بمعنى أنه قبل أن يقول الإنسان (أستغفر الله) عليه أن يحقق تلك الدعائم وهي :

١ - الندم على ما مضى :

وهذا لا يتم إلا بالتفكير . . . ! ولكن ليس كل تفكير . . . ! فالتفكير المطلوب ليس في إعداد الشهادة أو التفكير في بناء منزل جميل في هذه الدنيا ، أو التفكير في تنمية أرباح الأسهم وشراء العقارات ، وما شابه ذلك .

إن التفكير المطلوب هو أن يفكر الإنسان في نفسه ، وكيف أتى إلى هذه الدنيا ، وكيف أنه لم يكن حيناً من الدهر شيئاً مذكوراً ؟ ثم كان ومن الذي كونه ؟ ومن الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ؟ ومن الذي زينها بالنجوم السواطع ؟ ومن الذي بيده أزمة هذا الكون المنظم المتكامل الذي تجتمع أنظمته المختلفة لتشكل نظاماً واحداً متكاملاً متسقاً لا تجد فيه عوجاً ولا أمناً ، ومن الذي خلق الموت وقهراً به العباد ؟ وهل ما جاء به الصادقون من الرسل والأنبياء والأولياء من حُكمة يوم تجتمع فيه الخلاائق وجود الجنة والنار صحيح أم لا ؟ وهل جرب أحد من الناس على هؤلاء الرسل كذباً حتى يكذبوا في هذه الأمور مثلاً ؟ مع أن الأدلة التي جاؤا بها تجعل الأعمى بصيراً والأصم سميعاً

لأحقيتها وصدقها ، وإذا كانوا صادقين وهو الحق فهل أعددنا لذلك اليوم عدتنا وأخذنا له أهبتنا واستعدادنا ؟ وهل فكرنا في مسألة الإعداد لذلك اليوم على الأقل ؟

إن مشكلة الكثير من الناس أنهم لا يفكرون ، وخاصة في قضية مصيرية كهذه . . إنهم يتشارعون ويضيعون أوقاتهم وأعمارهم في التفكير في أمور دنيوية تافهة لاتساوي في حقيقتها عفطة عنز .

إن التفكير المطلوب هو الذي أمرنا الباري عز إسمه به في كتابه العزيز حيث يقول : « ولتنظر نفس ما قدمت لغد »^(١) والنظر هنا هو التفكير ، والمعنى ولتفكير نفس ما قدمت لذلك اليوم المهول ، وهذا لا يتم إلا بعد أن يفكر الإنسان في أصله أولاً ، قال تعالى : « فلينظر الإنسان مم خلق »^(٢) ، وفي الكون ثانياً : قال تعالى « ألم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينناها وما لها من فروج »^(٣) .

وقال تعالى أيضاً : « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغبني الآيات والذر عن قوم لا يؤمنون »^(٤) .

ومن ثم يفكر في الآخرة ، وفيما أعد لتلك الدار من عمل صالح إن التفكير في هكذا أمور هو الذي يجعل الإنسان إنساناً في اتخاذ القرار المناسب .

إنك لا تجد نادماً على ذنبه إلا بعد أن يطيل التفكير في هكذا أمور ولا تجد مصراً على ذنبه أو غارقاً في مستنقعات معاصيه إلا لأن على عقله غشاوات متراكمة وحاجباً كثيفة جعلته لا يدرى ما التفكير .

(١) سورة الحشر ، الآية : (١٨) .

(٢) سورة الطارق ، الآية : (٥) .

(٣) سورة ق ، الآية : (٦) .

(٤) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

إن لحظات قليلة من التفكير هي التي جعلت بشر الحافي^(١) يندم على ذنبه ويعود إلى رشده وصوابه ليسجل إسمه في قائمة أحباء الله التائبين وإن التفكير هذا هو الذي جعل الحر بن يزيد الرياحي يندم على ما اقترفته يداه ويعود ليسجل إسمه في قائمة الأبرار الفائزين .

نعم إنه التفكير الذي أفقد سحرة فرعون من الهاوية بعد أن رأوا بأم أعينهم الحقيقة ، فصاروا يسألون أنفسهم أيمكن أن يكون ما رأوه سحراً ؟؟ كلاً ، لأنهم الأعرف بفنونه والأعلم بحل طلاسمه بل وأساتذة رواده لذلك قادهم تفكيرهم إلى الندم على ما افترته أيديهم من معاصي وأعلنوا إيمانهم بصرامة : «إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خططيانا» (٢) .

إن الندم على فعل الذنوب أمر مهم للغاية ويعتبر دعامة أساسية من دعائم الإستغفار ، بل وأولى دعائمه .

أوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام «أن يا موسى أبلغ قومك أنه ما تقرب إلى المتقربون بمثل البكاء من خشتي ، يا موسى أما المتقربون إلى بالبكاء من خشتي فهم في الرفيع الأعلى ، لا يشاركون فيه غيرهم » .

فهلا تفكروا ، ونظرنا بعين البصيرة إلى ما يخبيء لنا الزمان وإلى ما يراد
بنا مع غفلتنا .

أيسّر الواحد منا أن يكون كالشاة تستغل بمرعاها وأكلها كي يسمن بدنها
لاهية عما يراد بها وعما يضممه العذار في شأنها؟

(١) بشر الحافي هو : بشر بن عبد الرحمن المروزي كان في زمن لهوه مع جميع رفقاءه يشربون الخمور، وقد علت أصواتهم بالطريق والغناء ، فاجتاز بهم الإمام الكاظم وصادف أن خرجت إحدى الجواري لترمي فضلات الطعام في القمامات فقال لها: صاحب هذه الدار حرام عبد ؟ قالت بل حرام . قال صدقت: لو كان عبداً لله لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب فدخلت الجارية وأخبرت بشراً بذلك فخرج بشر حافياً حاسراً حتى وصل إلى الإمام وقال سيدتي (أعد على كلامك) فأعاده عليه فبكى بشر ووضع خديبه في التراب وقال يا عبد يا عبد وتاب من ساعته .

. (٢) سورة طه ، الآية : (٧٣) .

ألا يسع كل واحد منا أن يعطي من وقته نصف ساعة كل يوم ليفكر في نفسه وفيما أعد من القرى ليومه النازل به ؟

يفكر في ما اكتسبته يداه من الذنوب ، يفكر في فلتات لسانه يفتكّر في اختلالات قلبه ، يفكر في مخادعة نفسه له ، يفكر في مخاللة أيامه يفكّر في خفقان أجنحة الموت عند رأسه ، يفكر في خروج روحه ، يفكر في التزول في قبره ، يفكر في سؤال منكر ونكير إياه ، يفكر في خروجه من قبره حاملاً وزره على ظهره ، حيث لا عشيرة تغنيه ولا قبيلة تنجيه ، ولا أم تفديه ؟ .

إن التفكير في هذه الأمور ، يعقبه خشوع القلب ودموع العين وإنه حينما يندم الإنسان على فعل القبيح يكون متعرضاً للطف الله سبحانه الذي يقوده إلى التوبة النصوح والإستغفار الصادق ، بل إن ندامته هذه تعتبر دليل صدق توبته واستغفاره ، لذا يقول الإمام السجاد : « إلهي إن كان الندم على الذنب توبة فإني وعزتك من النادمين » .

وقال بعض العلماء : (علامة الندم طول الحسارة والحزن وانسكاب الدموع وطول البكاء ، فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أحبابه طال عليه بكاؤه) .

وأي حبيب أحب إليه من نفسه ؟

وأي عقوبة أشد عليه من النار ؟

قال الإمام الصادق : « ما من مؤمن يقترف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض ذو العجلال والإكرام وأسأله أن يتوب عليّ » إلا غفرها الله له ، ثم قال : « ولا خير فيمن يقارف في كل يوم وليلة أربعين كبيرة »^(١) فقول الإمام « وهو نادم » دليل على أهمية الندم وتأثيره .

(١) الكافي : ج ٢ ، ص ٤٣٨ باب الإستغفار من الذنب ح ٧ .

٢- العزم الصادق على ترك العود إلى الذنب :

ويعني انعقاد نية الإنسان الصادقة على ترك الذنب وإلى الأبد والنية محلها القلب ، وبالطبع تعتمد الجوارح على إمامها وهو القلب اعتماداً كبيراً ، إن لم نقل كلياً .

فإذا عزم القلب على شيء قويت بتلك العزيمة كلُّ الجوارح ، سواء كانت تلك العزيمة طاعة أم معصية .

ولقد ورد في الحديث الشريف : « ما ضعف بدن عما قويت عليه النية » (١) .

ويقول الشاعر :

وإذا حَلَّتْ الهدَايَةَ قَلْبًا نشطت في العبادة الأعضاء

وتحقيق العزيمة الصادقة لا يكون إلا بعد اتضاح الرؤية وإدراك الأمور ، وقد تحقق ذلك من خلال التفكير فيما سبق أن أشرنا إلى ضرورة التفكير فيه في الفقرة السابقة تحت عنوان (الندم على ما مضى) .

فإذا تفكر الإنسان انكشفت عنه سُذْفُ الريّب ، وسُجُبُ الشكوك واستشعر لدغات الذنب وسيطر عليه الندم ، ولا شك أن ندمه هذا الذي يعتبر نتيجة التفكير والتأمل كفيل بأن يقوده إلى العزم الصادق على عدم العود إلى الذنب مرة أخرى ، ويبدون هذا العزم فإن الذنوب لا تغفر مهما كانت الأمنيات ، القرآن الكريم في سياق الحديث عن بنى إسرائيل يقول : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ فَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَهُ أَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهِ يَأْخُذُوهُ » (٢) .

إنهم يتمنون أن يغفر لهم ، بل قالوا ذلك كما أشارت الآية الكريمة لكنهم حريصون على الدنيا ومصررون على الذنوب ، فإذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ، ويتمون المغفرة على الله ، وفي نفس الوقت إذا

(١) الوسائل: ج ١ ص ٣٨ باب ٦ من أبواب مقدمة العبادات حديث ١٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: (١٦٩) .

وجدوا من الغد حطاماً دنيوياً كالسابق أخذوه دون النظر إلى حلية أو حرمته ، وهذا دليل إصرارهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يأْتُهُمْ عَرْضٌ مِثْلُهِ يَأْخُذُوهُ ﴾^(١) .

وما أكثر من يقول هذه المقوله (سيغفر لنا) في هذا الزمان ، ناسين أو متناسين أن رجاء الخير يلزمه خوف الشر الذي يقابلها ، والرجاء يستدعي طيب النفس وثباتها والخوف يوجب قلقها واضطرابها ، فالرجاء الصادق توسط النفس بين سكون واضطراب وسرور وحزن ، أما من غرق في شهوات نفسه وتوغل في لذائذ الدنيا دون أن يتذكر أو يرتدع بعقوبة ما يجنيه ثم إذا نصحه ناصح أو ردعه رادع من نفسه أو غير نفسه قال : (الله غفور رحيم) للتخلص به من اللوم فحسب وهو لا يزال منكباً على لذائذه الدنيوية فليس ما ينظاهر به رجاءً صادقاً ، بل أمنية كاذبة ، وتسويل شيطاني موبق ، ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَا يَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٢) فلا بد من الإنتهاء الصادق عن الذنب ، فعندما تغفر له ذنبه إذا تحفقت الشروط الأخرى قال تعالى : ﴿ إِن يَتْهَوْا يَغْفِرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٣) .

٣ - رد مظالم العباد :

تعتبر مظالم العباد العقبة الكؤود التي يصعب على كثير من الناس تجاوزها ، والأمر فيها أصعب من أي عقبة أخرى لأن المعصية إذا كانت بين العبد وربه واستغفر لها وندم ، غفر الله له ، بينما إذا كانت مظالم العباد عرضة في تلك المعصية فإن الله سبحانه لا يغفر للعبد حتى يرد هذا العبد للناس حقوقهم ومظالمهم ويبقى سالماً من كل تبعه .

فلقد روي عن شيخ من النخع قال :

« قلت لأبي جعفر إنني لم أزل والياً في زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة؟ »

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٦٩) .

(٢) سورة الكهف ، الآية : (١١٠) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : (٣٨) .

قال : فسكت الإمام ثم أعدت عليه .

فقال : لا ! حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه .

وروي أيضاً «أن شاباً من أهل الكوفة أقبل إلى الإمام الصادق وأخبره بأنه كان في ديوانبني أمية ، وأصاب من دنياهم مالاً كثيراً ولم يهتم بأمر مصدره ، حيث كان أكثره من أموال الناس وممتلكاتهم .. ! فسأل الإمام قائلاً :

جعلت فداك هل من مخرج وتبوية مما كان لي معهم ؟

فقال : من تاب تاب الله عليه ولكن للتبوية شروط فهل تفعل ما أقول لك ؟

قال : نعم أفعل .

قال : أخرج من جميع ما كسبت من دنياهم فمن عرفتهم ردت عليهم ماله ، ومن لم تعرف صاحبه تصدقت عنه ، وأنا أضمن لك على الله العفو والجنة .. فأطرق الفتى طويلاً ثم رفع رأسه ..

وقال : قد فعلت.. جعلت فداك .

ورجع إلى الكوفة فما ترك شيئاً من أمواله التي نالها منبني أمية إلا وخرج منه حتى ثيابه التي كانت عليه !

قال علي بن حمزة ، فقسمنا له قسمة واشترينا له ثياباً ويعطنا له نفقة فما أتى عليه أشهر حتى مرض فكنا نعوده .. فدخلنا عليه يوماً فرأيناه في حال التزع ففتح عينيه ..

وقال : يا بن أبي حمزة قد وفى لي والله صاحبكم بما وعد».

وهكذا تحقق الحديث القائل بأن «المؤمن التائب يُؤْشَر بالجنة عند موته» .

ولعلك تسأل :

كيف نرد للناس حقوقهم ؟ مع أن الحقوق ربما كانت في المال وربما كانت في غيره ، كما أن صاحب الحق ربما كان حياً وربما كان ميتاً ، أو أن رد

بعض الحقوق ربما يكون سبباً لإحداث فتن وأحقاد لا مبرر لها .

ونقول للإجابة على ذلك :

يمكن تقسيم الحقوق إلى أربعة أقسام في المال والنفس والعرض

والدين :

أولاً : ما كان في المال :

يجب أن يرده إلى صاحبه إن كان حياً ، وأما إن كان ميتاً وجب رده إلى ورثته ، وإن جهل صاحبه تصدق به نيابة عنه ، وإن عجز عن رد المال لكونه فقيراً مثلاً وجب الإستحلال منه وفي المسألة تفصيل واسع يمكن مراجعته في كتب الفقه .

ثانياً : ما كان في النفس :

فإن كان قد قتل أحداً خطأ مثلاً وجب أن يعطي الديمة مع الإلتزام بكفارة القتل خطأ ، وإن كان عمداً وجب عليه مع كفارة العمد أن يمكن أولياء المجنى عليه ليقتصوا منه ، أو يجعلونه في حل من أمره ، وماذا لو عجز عن ذلك ؟

يقول العلامة النراقي في جامع السعادات : إن عجز عن ذلك فعليه أن يكثرون عتق الرقاب لأن ذلك نوع إحياء وإيجاد لا يقدر الإنسان على أكثر منه ، فيقابل به الإعدام والإماتة ، وعليه الرجوع أيضاً إلى الله بالتضرع والإبهال أن يرضيه عنه يوم القيمة .

ثالثاً : ما كان في العرض :

كأن اغتابه مثلاً فعليه أن يعتذر منه ويطلب منه مسامحته فإن خشي حدوث فتنه أو ربما ترتب على ذلك مفسدة فعليه أن يكثرون الإستغفار له .

وهذا فيما إذا لم تبلغ الغيبة المستغتاب أما إذا بلغته وجب حينئذ الإستحلال منه .

وكذلك فيما إذا شتمه أو قذفه أو بهته ، حيث أن عليه أن يكذب نفسه عند

من قال ذلك لديه ويستحل من صاحبه إن أمكن ، وعند خوف المفسدة عليه أن يكثر من الإستغفار له .

رابعاً : ما كان في الدين :

كأن نسب مسلماً إلى الكفر أو الضلال أو الشرك فليكذب نفسه بين يدي من قال ذلك عنده ويطلب من صاحبه أن يجعله في حل من أمره ، ومع عدم التمكّن عليه أن يستغفر له ويكثر الإبتهال إلى الله ليرضيه عنه يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وفي الجملة عليه أن يرد للناس حقوقهم ومظالمهم ويسترضايهم ويستغفر لهم وأن يستعين على ذلك بإلهه وخالقه بأن يسأله المهلة لفعل ذلك وإرضاي من لا يسعه إرضاؤه بعد سفر ، أو موت أو ما شابه ذلك ، وحذا لو داوم على قراءة هذا الدعاء العظيم للإمام السجاد حيث يقول فيه : «اللهم إني أستغفر لك كل نذر نذرتك وكل وعد وعدتك وكل عهد عاهدته ثم لم أف به ، وأسائلك في مظالم عبادك عندي فأيما عبد من عبيدك أو أمّة من امائّك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله ، أو في أهله وولده ، أو غيبة اغتبته بها ، أو تحامل عليه بمثيل أو هوى أو أنفة أو حمية أو رباء أو عصبية غائباً كان أو شاهداً ، وحياناً كان أو ميتاً فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها إليه والتحلل منه . . . فأسائلك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إرادته أن تصلي على محمد وآل محمد وأن ترضيه عنني بما شئت وتهب لي من عندك رحمة إنه لا تنقصك المغفرة ولا تضرك الموهبة يا أرحم الراحمين . . . » .

ولعمري لماذا يظلم الناس بعضهم البعض ولا يكون عند أكثرهم تورعاً في ذلك ؟ أهم في غفلة عما يتظره الظالم لعباد الله من أنواع النقم والبلايا .. في الدنيا والآخرة ؟ أم هم في حالة تغافل عن ذلك ؟ ؟

إن من يعتدي على حقوق الناس مهما كان نوع تلك الحقوق ولو كلمة سباب تخرج من فيه دون أن يرد لكل ذي حق حقه . . . يكون قد كتب لنفسه

الشقاء في الدنيا والآخرة بغض النظر عن حجم ذلك الشقاء .

ففي الدنيا يعيش منبذاً عند الناس محترقاً في أعينهم لا يألف ولا يؤلف بل ربما دعا عليه مظلوم فعجل له النعمة يقول أمير المؤمنين في شعر منسوب إليه :

واحد من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دعاءه لا يُحْجَبُ

قصة :

قيل إن رجلاً من ضعفاءبني إسرائيل في عهد موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان له عائلة ينفق عليها من صيد الأسماك ، فاصطاد يوماً من الأيام سمكة كبيرة ومضى إلى السوق لبيعها فأتاه رجل وأراد أن يأخذها قسراً ، فمانعه الصياد فضربه الرجل على رأسه ضربة شديدة ونهب السمكة ومضى فرفع الصياد طرفه إلى السماء ، وقال :

(إلهي جعلتني ضعيفاً وجعلته قوياً عنيفاً فخذ لي بحقى منه عاجلاً) ومضى الرجل بالسمكة إلى داره فأصلحتها زوجته وقدمتها له على مائدة فمد يده إليها ليأكل منها فلمسه شوكة منها في يده فلم يقر له قرار من الألم وذهب إلى الطيب .

فقال الطيب : دواؤها أن تقطع الإصبع فقطعت .

فسرى الألم إلى الكف فقطعت ، فسرى الألم إلى الذراع فقطع ، وهكذا كلما قطع عضواً سرى الألم لقرنه ، فذهب هائماً في الغلة ونام تحت شجرة فسمع هاتفاً يناديه في عالم الرؤيا ويقول : يا مسكين إلى متى وأنت تقطع أعضاءك إذذهب إلى الصياد الذي ظلمته وغصبه حقه وأرضه فأنتبه ، وذهب لدار الصياد فوق يتمرغ على رجليه وبيلهمما ليرضى عنه وعوضه عن تلك السمكة بثلث ماله فلما رضي عنه سكن الألم وأوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « لو لا أن الصياد رضي عن الرجل لعذبه بما جنى مدى الحياة ». .

نعم إنها إرادة الله التي تجعل من الشوكة البسيطة هذه النتيجة الصعبة .

ولقد روي أن امرأة إدعت على رجل يسمى (سعد بن زيد) أنه اقتطع قسماً من أرضها فألحقه بأرضه . . ولقد كانت كاذبة ، وإنما فعلت ذلك بغية إشاعة سيئة عليه ، فدعا عليها سعيد وقال : (اللهم إن كنت تعلم كذبها علي وأنا مظلوم منها فاعم بصرها واجعل قبرها في بيتها) فلم تمض إلا فترة يسيرة حتى أصيّبت بالعمى ، وفي ذات يوم جاءت تلمس الحائط وليس عندها من يقودها فوُقعت في بئر بعيدة القعر كانت في بيتها ولم يمكن إخراج جثتها منه فطموا البئر عليها حتى لا يتشرّ وباء نتن رائحتها ، وهكذا وقعت المرأة الظالمة في حبل مشنقة النّفقة الإلهية وكان قبرها في بيتها .

هذا بعض ما يتعرض له من في ذمته بعض مظالم العباد في الدنيا وأما في الآخرة فيكفي أنه يفتضح أمام أعين الأشهاد وقد يكون مفلساً ومن ثم يؤمر به إلى النار .

يقول الرسول (ص) أتدرون من المفلس ؟

قالوا المفلس فيما من لا درهم له ولا متاع عنده .

فقال الرسول (ص) : كلا ، المفلس من يأتي يوم القيمة بصلة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقلّف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أحذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار^(١) .

وليت شعري أين مكانه في النار ؟ وما حاله وهو يتقلب بين أطباقها ؟

يقول الرسول (ص) : « أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالليل والثبور فيقول أهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الأربعـة قد آذـونا عـلى ما بـنا من الأذـى فرجل مـعلـق في تابـوت

(١) كنز العمال : ج ٤ ص ٢٣٦ خ ١٠٣٢٧ .

من جمر ورجل يجر أمعاه ورجل يسيل فوه قيحاً ودماءً ورجل يأكل لحمه فيقال
لصاحب النابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول : إن الأبعد
مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولا (مخلصاً) ولا
وفاء . . . والحديث طويل «^(١)».

لقد آن الأوان أن نخلص أنفسنا من تبعاتها وأن نعطي من أنفسنا القصاص
لمن له حق علينا فإن القصاص في الدنيا أهون من القصاص في الآخرة .

ها هو سيد البشر رسول الله (ص) مع أنه معصوم من الزلات مُنزَّه عن
الخطيئات يعلّمنا كيف نخلص أنفسنا من تبعات الناس وذلك حينما نعيت له
نفسه وصعد المنبر وخطب في الناس ،

فائللاً : « أيها الناس أي نبي كنت لكم ؟

قالوا : خيرنبي . . .

قال : ألم أقاتل بين أظهركم؟ ألم تكسر رباعيتي؟ ألم أربط حجر
المجاعة على بطني؟ .

قالوا اللهم بلى ، إلى أن قال : من جلدتك له ظهراً فهذا ظهرى ، فإن الله
سبحانه قد أقسم بعزته أن لا يجاوزه يوم القيمة ظلم ظالم أبداً ، يا لفداحة
مصلحتنا !!

الرسول (ص) يعطي القصاص من نفسه ، ونحن الذين حملنا على
ظهورنا تبعات العباد لا نزال نزكي أنفسنا ولا نرضى باتهامها .

وهذا هو أمير المؤمنين نموذج آخر نتعلم منه عدم ظلم العباد حيث
يقول : « لئن أبيت على حسك السعدان ^(٢) مسهدأً ^(٣) أو أجر في الأغلال
مُصفداً ^(٤) أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيمة ظالماً لبعض العباد

(١) كنز العمال : ج ١٦ ص ٧١ خ ٤٣٩٧٩ .

(٢) حسك السعدان : شوك يشبه حلقة الثدي .

(٣) مسهدأ : أي مسحراً .

(٤) مصفداً : أي مقيداً .

وغاصباً لشيء من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى ققولها^(١) ويطول في الشرى حلولها^(٢) .

فهل منا من يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيمة كما فعل الرسول (ص) ؟ وهل منا من يسلك درب أمير المؤمنين حيث تمنى أن يبيت على شوك مؤلم أو أن يقيد بالأغلال ويجر ويترج عليه الناس ولا يظلم أحداً مثقال ذرة ؟ . . .

ثم أنه يلفت انتباها إلى نقطة مهمة وهي أنها غالباً نظم الناس ونأخذ منهم حقوقهم إرضاء لأنفسنا الشريرة لكن هذه النقوس سرعان ما تبلى عظامها ويندرس رمامتها فما قيمة شيء يؤخذ لنفس نصب عينيك مصيرها ؟ من هنا قال أمير المؤمنين « وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى ققولها ويطول في الشرى حلولها »^(٣) .

بل إنه القائل : « لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت »^(٤) يا للعظمة ، أمير المؤمنين لا يسلب النملة قشر شعيرة !!! .

واليوم نرى وترون كيف أصبح ظلم الناس للذة لا يستغني عنها فكم هم الذين يعتبرون نهب الناس حقوقهم وتحدي كرامتهم نوعاً من البطولة والرجلة إلا وأن موعدهم يوم التغابن يوم يميز الغابن من المغبون « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم »^(٥) .

(١) ققولها : أي رجوعها .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .

(٥) سورة التغابن ، الآية : (٩) .

٤ - تأدية حقوق الفرائض المضيعة :

لا شك أن التكاليف الشرعية تشمل العالِم والجاهل والناسي والذاكر والنائم والمستيقظ ولا فرق إلا بالعقاب ، فإن كلاً من العالم والذاكر والمستيقظ يعقوب مع الترك بينما لا عقوب على النائم والجاهل والقاصر والناسي طالما كان العذر موجوداً ، فإذا تعلم الجاهل وتذكر الناسي وأستيقظ النائم وجب التدارك أداءً داخل الوقت وقضاء خارجه .

والفرائض كثيرة منها الصلوات اليومية ، والأيات ، وما يتزمه الإنسان بنذر أو عهد أو يمين إلى غير ذلك .

ومنها الصوم سواء كان صوم رمضان أو صوم نذر أو كفارة أو ما شابه فإن هذه الفرائض وأمثالها إذا فاتت وجب قضاها سواء أكان ذلك عن عمد أو نسيان أو لسبب قهري كالنوم المستوعب للوقت مثلاً .

فلقد سئل الإمام الصادق : عن رجل صلى بغير طهور أو نسيي صلاة لم يصلها أو نام عنها ؟ فقال : « يقضيها إذا ذكرها في أية ساعة ذكرها من ليل أو نهار ، فإذا دخل وقت الصلاة ولم يتم ما قد فاته فليقض ما لم يتمخوف أن يذهب وقت هذه الصلاة التي قد حضرت ، وهذه أحق بوقتها فليصلها فإذا قضاها فليصل ما فاته مما قد مضى »^(١) .

والرواية صريحة في وجوب القضاء من جانب وجوازه في أي وقت من ليل أو نهار أو سفر أو حضر من جانب آخر لكن عليه أن يقضي في السفر ما فات في الحضر تماماً ، ويقضي في الحضر ما فات في السفر قصراً لقول الإمام الصادق : « من فاته صلاة فليصلها كما فاته »^(٢) .

ولقوله « أقض ما فات كما فات »^(٣) .

(١) الوسائل : ج ٣ ص ٢٠٨ باب ٦٢ من أبواب المواقف ح ١ .

(٢) عوالي اللثالي : ج ٣ ص ١٠٧ ح ١٥٠ .

(٣) الوسائل ج ٥ ص ٣٥٩ الباب ٦ من أبواب قضاء الصلوات ح ١ .

ولعلك تسأل هل يشترط الترتيب في قضاء اليومية ؟

والجواب على ذلك يكون بتقسيم الترتيب إلى قسمين :

١ - ترتيب السابقة على الحاضرة ، وفي وجوب ذلك قوله متبادران أحوطهما ما قاله المحقق الحلبي في الشرائع حيث قال : « يجب قضاء الفائت وقت الذكر ما لم يتضيق وقت حاضرة بترتيب السابقة على اللاحقة كالظهور على العصر والعصر على المغرب والمغرب على العشاء سواء كان ذلك ليوم حاضر أو صلوات يوم فائت فإن فاتته صلوات لم تترتب على الحاضرة » .

وعن محمد بن مسلم « قال : سألت أبا عبد الله عن رجل صلى الصلوات وهو جنب اليوم واليومين والثلاثة ثم ذكر بعد ذلك .

قال : يتظاهر ويؤذن ويقيم في أولهن ثم يصلي ويقيم بعد ذلك في كل صلاة فيصلي بغير أذان »^(١) .

ولا شك أن الرواية محمولة على جواز الإكتفاء بالإقامة فيما عدا الأولى وذلك لرواية أخرى تدل على استحباب الأذان لكل صلاة .

فعن عمار عن أبي عبد الله قال : « سُئلَ عَنِ الرَّجُلِ إِذَا أَعْدَ الصَّلَاةَ هَلْ يَعِدُ الأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ »^(٢) .

٢ - الترتيب في الفوائد اليومية بمعنى قضاء السابق في الفوائد على اللاحق وأحوط الأقوال في ذلك وجوب الترتيب بمعنى لترك الصلوات الخمس من يوم واحد إبتداءً من الصبح ، قدم الصبح على الظهر والظهر على العصر والعصر على المغرب والمغرب على العشاء ، (وإن كان بعض الفقهاء لا يرى وجوب الترتيب إلا فيما يكون الترتيب معتبراً في أدائه كالظاهرين والعشائين من يوم واحد)^(٣) .

(١) الوسائل : ج ٥ ص ٣٤٨ الباب ١ من أبواب قضاء الصلوات ح ٣ .

(٢) الوسائل : ج ٥ ص ٣٦١ الباب ٨ من أبواب قضاء الصلوات ح ٢ .

(٣) العروة الوثقى ، ص ٧٣٦ .

أما بالنسبة لقضاء الفوائت من غير اليومية فلا يعتبر الترتيب في ذلك لا بالنسبة إليها ولا بالنسبة إلى بعضها مع البعض الآخر ، فلو كان عليه قضاء صلاة الآيات ، وقضاء اليومية يجوز تقديم أيهما شاء تقدم في الفوائت أو تأخر ، وكذا لو كان عليه صلاة كسوف وخشوف يجوز تقديم كل منهما وإن تأخر في الفوائت .

وإذا احتمل المكلف اشتغال ذمته بفائه أو فوائت يستحب له تحصيل التفريغ بإتيانها احتياطًا ، وكذا لو احتمل خللاً فيها وإن علم بإتيانها ما لم يجره هذا الفعل إلى الوسوسة .

وهل يجوز إتيان القضاء جماعة أم لا ؟

ذكر الفقهاء جواز ذلك بل استحبه وإن اختلفت صلاة الإمام عن المأمور حيث يجوز الإقتداء في كل من الخمس بكل منها .

وهناك مسألتان هامتان ذكرهما المحقق الحلي في الشرائع غالباً ما يبتلي الإنسان المكلف بهما فلا بأس بذكرهما :

الأولى : من فاته فريضة من الخمس غير معينة قضى صحيحاً ومغرياً وأربعاً عما في ذمته ، ولو فاته من ذلك مرات لا يعلمها قضى حتى يغلب على ظنه أنه وفي .

الثانية : إذا فاته صلاة معينة ولم يعلم كم مرة كرر من تلك الصلاة حتى يغلب عنده الوفاء ، ولو فاته صلوات لا يعلم كميتها ولا عينها صلى أياماً متواتلة حتى يعلم أن الواجب دخل في الجملة .

هذا بالنسبة للصلوة ، أما بالنسبة للصوم فيجب القضاء أيضاً فيما إذا أخل بنية الصوم لأن قصد الرياء أو نوى قطع الصوم وإن لم يتناول مفطراً ، أو تناول مفطراً عالماً عمدأً ، أو تناول المفطر قبل مراعاة الفجر ثم تبين سبق طلوعه ، مثلأً أو كان عليه جنابة ونسى أن يغسل حتى خرج شهر رمضان أو انقضى شطر منه على الرأي الأحوط ، فقد سئل الإمام الصادق : « عن رجل أجنب في شهر رمضان فنسى أن يغسل حتى خرج رمضان ، قال : عليه أن يقضي الصلاة

والصوم «^(١)».

ولكن هل يجب مع القضاء الكفارة أم لا؟

ذكر الفقهاء وجوب الكفارة إذا كان الإخلال بالصوم آت عن طريق العمد والإختيار من غير إكراه ولا إجبار عالمًا تكون ما يرتكبه مفطراً على تفصيل في بعض فروع المسألة مذكور في محله.

والكفارة واجبة في أربعة أقسام من الصوم :

١ - صوم شهر رمضان وكفارته : التخيير بين العتق وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً ، وإن كان الأحوط الترتيب كما ذكره بعضهم ، فيختار العتق مع الإمكان ومع العجز فالصيام ومع العجز عنه فالإطعام ، ويجب الجمع على الأحوط بين الخصال إن كان الإفطار على محرم كأكل المغصوب وشرب الخمر والجماع المحرم ونحو ذلك .

٢ - صوم قضاء شهر رمضان إذا أفتر بعد الزوال : وكفارته إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد ، فإن لم يتمكن فصوم ثلاثة أيام والأحوط كما قال الفقهاء أن تكون متتابعات .

٣ - صوم النذر المعين : وكفارته كفارة إفطار شهر رمضان ، وقد ذكر بعض الفقهاء أن كفارته هي كفارة يمين وهي (عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن عجز صام ثلاثة أيام) .

٤ - صوم الإعتكاف : وكفارته مثل كفارة شهر رمضان مخيرة بين الخصال ولكن الأحوط الترتيب المذكور ، وكفارة الإعتكاف مختصه بالجماع فلا تعم سائر المفطرات .

أما المحاضن والنساء فيجب عليهما قضاء ما فاتهما من الصوم حال الحيض والنفاس دون الصلاة .

ولكن لو فات المكلف صيام شهر رمضان أو بعضه لعذر واستمر إلى

(١) الوسائل ج ١ ص ٥٢٣ ، باب ٣٩ من أبواب الجنابة ، حديث ١ .

رمضان آخر فهل يجب عليه القضاء؟

أم تتعين الكفارة؟ أم يجب القضاء والكفارة معاً؟

ذكر الفقهاء : إذا كان العذر هو المرض سقط القضاء على الأصح وكفر عن كل يوم بعد من الطعام والأحوط مدان (والمد يساوي ثلاثة أرباع الكيلو تقريباً) ولا يجزي القضاء عن التكبير نعم ذكروا بأن الأحوط الجمع بينهما .

وإن كان العذر غير المرض كالسفر ونحوه فالأقوى وجوب القضاء وإن كان الأحوط الذي لا ينبغي تركه الجمع بينه وبين التكبير بالمد وكذا إن كان سبب الفوats هو المرض وكان العذر في التأخير غير مستمرٍ من حين بره إلى رمضان آخر أو العكس فإنه يجب القضاء أيضاً في هاتين الصورتين على الأقوى والأحوط وجوباً بينه وبين التكبير .

وكذلك من استقر في ذمته الحج ولم يحج وجب عليه أن يؤدي هذا الحق الإلهي حتى يكون استغفاره في محله .

وللأسف الشديد لو نظرنا إلى أنفسنا نحن المسلمين لرأينا أن الأكثر منا لا يكاد يلتفت إلى أمور دينه إلا بعد أن يتصرم من عمره الشيء الكثير فترى الشاب يدخل على زوجته وقد تجاوز العشرين من عمره وربما الثلاثين أحياناً وهو لا يعرف كيفية غسل الجنابة أو طريقة الوضوء الصحيحة ، وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فإنها تزف إلى عريسها وقد بلغت العشرين من عمرها أو قاربت ذلك بل ربما تجاوزت العشرين وهي لا تعرف الفرق بين دم الحيض ودم الإستحاضة ، فضلاً عن كونها لا تعرف كيفية الاغتسال عن الحيض ولا عن غيره فلا الأbowan يهتمان بأولادهما ذكوراً كانوا أو إناثاً ولا الأولاد يهتمون بالتفقه في أمور دينهم حيث انشغل الكل بالدنيا وزخارفها والركض خلف مفاتنها حتى لم يبق للتفقه أو تعلم ما يبتلى به من أمور الدين ولا ساعة من نهار أو ليل ، وبالتالي تبقى ذمة هذا الشاب أو تلك الشابة وإلى أن يدركها أمور دينهما مشغولة بالصلوات والصيام والعبادات الأخرى التي يشترط فيها الطهارة ولا يقبل منها حينئذ استغفار حتى يؤديها حقوق الفرائض التي ضاعت بسبب تقصيرهما ، يقول الإمام الصادق :

« لَيْتَ السِّيَاطَ عَلَىٰ ظُهُورِ أَصْحَابِيِّ حَتَّىٰ يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ »^(١) . ويقول أمير المؤمنين في عرض ذكره لدعائين الإستغفار : « وَأَنْ تَعْمَدَ إِلَىٰ كُلِّ فِرِيشَةٍ فَاتَّتْكَ فَتُؤْدِي حَقَّهَا حَتَّىٰ تَلْقَىَ اللَّهَ أَمْلَسَ لِيْسَ عَلَيْكَ تَبَعَّةً »^(٢) .

٥ - تطهير البدن من الحرام :

في الوقت الذي تُحدث فيه لقمة الحرام ظلمة في القلب وانحطاطاً في الضمير ومحقاً للبركة فإنها أيضاً تجعل بين العبد وربه حجاباً كبيراً فلا يستجاب له دعاء ولا تقبل له صلاة ولا يغفر له ذنب ويكون مستوجبًا للعن والطرد من رحمة الله ، قال رسول الله (ص) : « مَنْ أَكَلَ لَقْمَةً حَرَامٌ لَمْ تَقْبُلْ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَلَمْ تَسْتَجِعْ لَهُ دُعْوَةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًاً وَكُلُّ لَحْمٍ يَنْبَتِهِ الْحَرَامُ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ وَإِنَّ الْلَّقْمَةَ الْوَاحِدَةَ تَنْبَتُ الْلَّحْمَ »^(٣) .

وقال (ص) : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَجِبَ دُعَاؤُهُ فَلِيَطِيبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسِبَهُ »^(٤) .

وقال (ص) أيضاً : « إِذَا وَقَعَتِ الْلَّقْمَةُ مِنْ حَرَامٍ فِي جَوْفِ الْعَبْدِ لَعْنَهُ كُلُّ مَلْكٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

وأكل الحرام يعتبر كبيرة من الكبائر ، ولقد وصف الله سبحانه اليهود بأنهم يأكلون الحرام حيث قال : « وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ وَأَكْلُهُمُ السُّحْتُ لِبَشْسَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ ، لَوْلَا يَنْهَا مُرْبَانِيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لِبَشْسَ ما كَانُوا يَصْنَعُونَ »^(٥) ، (السُّحْتُ : مَا خبيث وقبح من المكاسب) .

ولقد عبر سبحانه عن المال الحرام « بالسُّحْتِ » لأن السُّحْت بمعنى

(١) انظر الكافي : ج ١ ص ٣١ باب فرض العلم ووجوب طلبه والبحث عليه ح ٨ .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤١٧ .

(٣) كنز العمال : ج ٤ ص ١٥ خ ٩٢٦٦ .

(٤) الكافي : ج ٢ ، ص ٤٨٦ باب الثناء قبل الدعاء ح ٩ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٦٢ و ٦٣) .

الزوال والإندام والمال المسحوت بمعنى المال المأخوذ والمقطوع من جذوره كما يقال : سَحَّتْ زِيَّدُ خُوْصَ النَّخْلِ يعني استأصله من جذوره ، وحيث أن المال الحرام لا بركة فيه لذا عبر عنه سبحانه ﷺ بالسحّت ﴿فَكُلْ مَا أَتَى إِلَيْكُمْ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ فَهُوَ سَحْتٌ﴾ ، والرّشوة سحّت ، والمال الذي يكتسب كثمن للخمر أو المخدرات أو الغناء أو ما شابه ذلك كل ذلك سحّت بل بعض أنواع السحّت بحكم الحرب على الله ورسوله ﷺ كالربا وبعضاها بحكم الكفر بالله كالرشوة قال رسول الله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالرّشْوَةِ فَإِنَّهَا مَحْضُ الْكُفْرِ وَلَا يَشْمُ صاحبُ الرّشْوَةِ رِيحَ الْجَنَّةِ»^(١) .

وقال الإمام الصادق : «السحّت أنواع كثيرة منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة ومنها أجور القضاة وأجور الفواجر وثمن الخمر والنبيذ والربا بعد البينة وأما الرشوة يا عمار في الأحكام فهو الكفر بالله العظيم وبرسوله»^(٢) (البينة) : نزول الآية التي تحرم الربا .

وفي رواية أخرى للإمام الباقر : «السحّت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم وأجر الكاهن»^(٣) .

وإن من الحرام اكتساب المال عن طريق الغصب أو السرقة أو الغش أو الغبن أو التحايل وما شابه ذلك .

إن أمير المؤمنين قد جعل الدعامة الخامسة من دعائين الإستغفار إذابة اللحم الذي نبت على السحّت أي بسبب أكل السحّت بل وكل حرام حيث قال : «وَخَامِسُهَا أَنْ تَعْمَدَ إِلَى الْلَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السَّحْتِ فَتَذَبَّبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تَلْصُنَ الْجَلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمًاً جَدِيدًاً»^(٤) .

وهذا أمر طبيعي حيث أن الإستغفار لا يمكن أن يكون قائماً على أصوله

(١) البخار : ج ١٠١ ص ٢٧٤ باب الرشا في الحكم وأنواعه ح ١٢ .

(٢) الوسائل : ج ١٢ ص ٦٤ باب ٥ من أبواب ما يكتسب به حديث ١٢ .

(٣) الوسائل : ج ١٢ ص ٦٢ باب ٥ من أبواب ما يكتسب به حديث ٥ .

(٤) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤١٧ .

ودعائمه المطلوبة وآخذأً العبد إلى رحاب ربها إلا إذا كان القلب صافياً طاهراً خاشعاً وصفاء القلب وطهارته وخشووعه كل ذلك لا يكون ما دام في الجسم شيء من الحرام ذلك لأن لقمة الحرام تؤدي إلى تلوث القلب وسواه وقساوته ومن ثم لا يؤمل منه خير ولا يرجى منه بُرٌّ .

ولقد أشار الإمام الحسين في خطبته بجيش ابن سعد : « لقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم ويلكم ألا تسمعون » فقوله طبع على قلوبكم بعد ذكر امتلاء بطونهم من الحرام دليل قاطع على أن لقمة الحرام تعمل على تلوث القلب وعلى ظلمته وقساوته .

من هنا أولياء الله صاروا يأخذون الحيطة والحذر كل الحيطة والحذر في كل طعام أو شراب يدخل بطونهم لأنهم ليسوا على استعداد لأن يتحملوا عاقبة قساوة القلب وظلمته ورِين الحرام عليه .

قصة :

عَيْنُ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ عَلَى عَكْبَرِيِّ (وَهِيَ بَلْدَةُ بَيْنِهَا وَبَيْنِ بَغْدَادِ عَشْرَةِ فَرَاسِخٍ) أَمْرَهُ أَنْ يَسْتَوْفِيَ خَرَاجَهُمْ . . .

قال له : « إذا كان عند الظهر فأنتي . . .

يقول أتيته فلم أجده عليه حاجباً يحجبني دونه ووجده جالساً وعنه قدح وكوز فيه ماء ثم دعا بطعمه وإذا بشيء مختوم !!

يقول : ظننت أنه جوهر يريني إياه فإذا فيه (سويق) ، فأنحرج منه وصب في القدح وصب عليه الماء فشرب وسكناني فلم أصبر حتى سأله : يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعم العراق أكثر من هذا وخزائن العراق وأمواله تحت يديك ؟

فقال أمير المؤمنين : « أما والله ما ختمته بخلأ وإنما فعلت ذلك لأنني أكره أن أُدْخِلَ بطنِي إِلَّا الطَّيِّبٌ »^(۱) .

(۱) نهج البلاغة : الخطبة ۱۹۳ .

وفي رواية . . . « لأنني لا أحب أن يدخل بطني طعاماً لا أعرف سبileه » .

إنها العظمة جاءت تجر نجائبها لتمثل في شخصية علي ، فهو لا يحب أن يدخل بطنه طعاماً لا يعرف سبileه ، لذا فليس بين قلبه وبين السماء حجاب ، أما نحن فلقد ران الحرام على قلوبنا فأصبح كالسحب الكثيفة التي تراكم في وجه الشمس لتجerb ضياءها ، والآن هل سلكتنا درب علي ؟ هل حدثنا أنفسنا بالإقتداء به ؟

تعالوا معي لنجلس تحت منبره ونستمع إلى مقولته التي حق للجبال أن تطأطئه أعتتها إجلالاً لعظمتها . . . إنه يقول : « لو أن قطرة خمر سقطت في بئر ونزع ذلك البئر وسقيت به أرض فأنبت ثم جاءت شاة وأكلت من ذلك النبات واختلطت في قطع من الأغنام ثم ذبح بعضها ما كنت بالذى يأكل من لحمها » .

هل سمعتم بعظيم قال مثل هذا وعمل به ؟ لا غرو إذا سمعتم ذلك من علي فإنه ربيب المصطفى وباب مدينة علمه وخريج مدرسته .

إن البئر حينما ينزع ويصب الماء المنزوح في أرض ما فإن نبات تلك الأرض ظاهر بإجماع الفقهاء ولا خلاف في ذلك بين المسلمين وإن كان الماء نجساً ذلك لأن الماء تحول إلى نبات فالتحول مظهر له ثم هاهو النبات يتحول مرة أخرى إلى لحم حينما أكلته تلك الشاة وربما أصبح في الكرش ثم خرج دون أن يتحول إلى لحم ، وأيضاً تلك الشاة اختلطت في قطع من الأغنام وذبح البعض ولا يُدرى أهي في ضمن هذا البعض أم لا ، ومع كل ذلك يرفض أمير المؤمنين أن يأكل من لحم شاة يتحمل أنها أكلت من نبات قد سقي بماء بشر متنجس بقطرة خمر قد لا تكاد ترى بلحظ البصر إنه الورع الذي قلل نظيره ، إنه الإدراك التام لما تصنعه لقمة الحرام أو المتلوثة بالحرام في قلب ابن آدم وصدق المولى عز إسمه حيث يقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(١) .

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

والسؤال المطروح الآن :

ما هو السبيل لإذابة اللحم الذي ينبت على السحت ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول :

يمكن إذابة اللحم الذي نبت على السحت بالبكاء والندم المتواصل على المعصية والذنب المقترف الذي هو أكل الحرام - السحت - فإن الإنسان إذا أهمه أمر وطال بكاؤه وحزنه فيما أهمه فإن البدن بل وجميع الجوارح يتأثرن بذلك فالسارق مثلاً حينما يقبض عليه ويقدم له طعام مع علمه أنه بعد تلك الوجبة ستقطع يده أمام الناس هل يأكل مطمئناً كما كان يأكل من قبل ؟ لا أظن أن أحداً يعتقد ذلك وكذلك من ينتظر تنفيذ حكم الإعدام بحقه هل يتنهى بطعامه أم هل يسخن شرابه ؟ ألا يصاب بالذبول والضعف والهزال تحسباً لما يتظره من أمر إعدامه ؟ كذلك الإنسان العاقل حينما يعرف أنه عائد إلى ربه وهناك نار وقصاص وحساب دقيق ، ويبداً يفكر ومن ثم يقوده تفكره إلى ضرورة الإستغفار قبل فوات الأوان فإن حزنه على ما أقترفته يداه من ذنوب ومن أكل أموال الناس سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وتصوره لمشاهدقيامة من شأنه أن يؤثر على أكله وشربه ، ومن ثم على بدنـه ، وتكون النتيجة أن اللحم الذي نبت على السحت يذوب .

يقول أمير المؤمنين في وصفه للمتقين : « قد بraham الخوف بري القداح »^(١) ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول : لقد خولطوا ، ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير »^(٢) .

فالخوف من الله سبحانه ومن أحوالقيامة من شأنه أن يضعف الأبدان

(١) القداح : جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش . وبراه : يعني نحته أو رقن الخوف أجسامهم كما ترقن السهام بالنحت .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

ويجعلها نحيلة رقيقة كما ترقق السهام بالنحت .

ويقول أمير المؤمنين في نفس الخطبة في موضع واصفاً الإنسان المتقي : « قليلاً زلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه متزوراً أكله »^(١) ومنزوراً أكله : يعني قليلاً أكله . فلماذا قل أكله ؟

والجواب واضح ذلك لأن الخوف أخذ بمجامع قلبه وجوارحه وأثر ذلك على أكله . ومن هنا يتضح لنا قول الإمام علي حينما قال : « وخامسها أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد »

ولكن هناك ثمة سلوك آخر يمكن أن يعين على إذابة اللحم النابت على الحرام وهو (الصوم) وأعني بالصوم هنا الصوم المستحب حيث أن الصوم الواجب كصوم شهر رمضان لا نقاش فيه الآن فترويض النفس بالصوم المستحب يؤثر على البدن إذا رافقه خوف من الله سبحانه ذلك لأن لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام ومما يدلنا على أن الصوم يؤثر على الأبدان قول الرسول (ص) : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » فالأكل والشرب يجعلان بدن المفتر معشوشاً باحثاً عن اللذائذ وإن لم تكن هناك مثيرات في المقام بعكس الصائم فإن بدنه لا يساعده على ذلك إذا انقطع عنه الغذاء طوال النهار . وقولنا : (الصوم يؤثر على البدن) لا يعني بالضرورة التأثير السلبي إذ ربما كان التخفيف من السمنة ومن اللحم الزائد أمراً مطلوباً ، من هنا قال الرسول (ص) : « صوموا تصحوا » . فترك الأكل والشرب من الفجر إلى الغروب الحقيقي المعبّر عنه في القرآن (الليل) في قوله تعالى : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ من شأنه أن يذيب بعض الشحوم التي لا حاجة للإنسان فيها وكذلك اللحوم الزائدة وكتيبة كلية يمكننا القول بأن الصوم يذيب اللحم الذي نبت على السحت - الحرام - وبالتالي إذا أردنا أن نستغفر الله سبحانه علينا أن نظهر أبداناً

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

من الحرام كي تكون قلوبنا صافية لا يرinn عليها شيء . وفي الوقت الذي نعمل فيه على استبراء أجسادنا وظهورها من كل سحت وحرام علينا أن تكون حذرین جداً آخذين الحيطـة الكافية لمعرفة سبـيل كل لقمة تدخل بطونـنا . فإن كانت حلاً أكلناها وإن كانت حراماً أو شبهـة تركـناها . وأي إنسان منـا على استعداد لتطبيق ذلك ؟ وقد أصبحـنا في زمان قد امتـلأت بطـون أهـله منـ الحرام فـحـيل بينـهم وبينـ استـجـابة دعـائـهم وقبـول أعمـالـهم . نـسـأـل اللهـ سـبـحانـهـ أنـ يجعلـنا مـمـنـ تـهـضـبـ بـهـمـ هـمـتـهمـ لـتـطـبـيقـ ذـلـكـ ،ـ ولـكـ ذـلـكـ يـحـتـاجـ إـلـىـ جـهـدـ مـتوـاصـلـ وـتـروـيـضـ دـوـبـ لـهـذـهـ النـفـسـ الـجـزـوـعـةـ الـهـلوـعـةـ الـكـنـوـدـةـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ أـلـدـ أـعـدـاءـ إـلـإـنـسـانـ .

كما دلـ علىـ ذـلـكـ الحـدـيـثـ الشـرـيفـ :ـ «ـ أـلـدـ أـعـدـائـكـ نـفـسـكـ الـتـيـ بـيـنـ جـنـبـيـكـ فـإـنـ قـدـرـتـ عـلـيـهـاـ كـنـتـ عـلـىـ غـيرـهـاـ أـقـدـرـ ،ـ وـإـنـ عـجـزـتـ عـنـهـاـ كـنـتـ عـنـ غـيرـهـاـ أـعـجـزـ»ـ .

ولـنـعـلـمـ جـمـيـعـاًـ أـلـأـصـلـ فـيـمـاـ أـرـادـهـ اللهـ هـوـ وـجـودـ الـحـلـالـ ،ـ وـأـمـاـ الـحـرـامـ فـهـوـ أـمـرـ إـسـتـشـائـيـ وـالـدـلـيـلـ عـلـىـ ذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ وـقـلـنـاـ يـاـ آـدـمـ اـسـكـنـ أـنـتـ وـزـوـجـكـ الـجـنـةـ وـكـلـاـ مـنـهـاـ رـغـدـاًـ حـيـثـ شـئـتـمـاـ وـلـاـ تـقـرـبـاـ هـذـهـ الشـجـرـةـ فـتـكـوـنـاـ مـنـ الـظـالـمـيـنـ»ـ (١)ـ .

فـالـأـصـلـ هـنـاـ أـنـ كـلـ شـيـءـ حـلـالـ ،ـ أـمـاـ الـحـرـامـ فـهـوـ قـلـيلـ جـدـاًـ وـمـحـصـورـ ،ـ فـيـاـ عـجـباًـ كـلـ العـجـبـ مـنـ اـبـنـ آـدـمـ كـيـفـ يـبـحـثـ عـنـ الـحـرـامـ الـمـحـصـورـ الـقـلـيلـ وـالـحـلـالـ الـكـثـيرـ نـصـبـ عـيـنـيـهـ .ـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ يـقـولـ :ـ «ـ فـكـلـواـ مـاـ غـنـمـتـ حـلـالـاًـ طـيـباًـ وـأـتـقـواـ اللهـ إـنـ اللهـ غـفـورـ رـحـيمـ»ـ (٢)ـ .

فـفـيـ صـدـرـ الآـيـةـ يـأـمـرـ الـمـوـلـىـ عـزـ اـسـمـهـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـأـكـلـ حـلـالـاًـ ثـمـ يـقـولـ :ـ «ـ وـأـتـقـواـ اللهـ»ـ لـتـبـيـانـ أـنـ كـسـبـ الـحـلـالـ وـأـكـلـ الـحـلـالـ يـحـتـاجـ إـلـىـ جـهـدـ وـحـدـرـ وـحـيـطةـ .ـ وـفـيـ آـخـرـ الآـيـةـ يـبـيـنـ سـبـحانـهـ أـنـ ذـلـكـ الطـرـيـقـ لـغـفـرـانـ الـذـنـوبـ حـيـثـ قـالـ :ـ «ـ إـنـ اللهـ غـفـورـ رـحـيمـ»ـ فـصـدـرـ الآـيـةـ مـرـتـبـ بـعـزـرـهاـ ،ـ وـيـدـلـ عـلـىـ أـنـ مـنـ

(١) سـوـرـةـ الـبـقـرةـ ،ـ الـآـيـةـ :ـ (٣٥ـ)ـ .

(٢) سـوـرـةـ الـأـنـفـالـ ،ـ الـآـيـةـ :ـ (٦٩ـ)ـ .

شروط غفران الذنوب تطهير البدن من العرام .

٦- الصبر على ألم الطاعة :

ليس من السهولة بمكان أن إنساناً قضى شطرًا من عمره يتقلب في لذات المعاصي أن يتذوق حلاوة الطاعة ، ولذلذ المناجاة لمجرد أنه صمم على ترك المعاصي ، وبدأ يصلي ويصوم ، بل قد تتبعه العبادة والطاعة في بداية أمره ، بل وبكل تأكيد سيشعر بثقل وتعب شديدين خاصة إذا بدأ يخالف نفسه وهوها وكلفها بأن تسهر الليالي الطوال في العبادة والتهجد والنثم على ما مضى من الذنوب ، وكيف لا يجد عناء وتعباً وألماً في العبادة والطاعة وهو يقوم بأمر لا توافق عليه نفسه الأمارة بالسوء ولا شيطانه الموكل به ، الذي يزين له المعصية ليركبها ، ويمني التوبة ليسوفها ، فهو في عبادته وطاعته يصارع الشيطان وربما الشياطين حيث تجتمع عليه لآغواه ، وكذلك يصارع نفسه التي بين جنبيه . فهذا العناء وهذا الجهد وهذا الألم من شأنه أن يكون كفارة لما سلف من إذابة البدن حلاوة المعصية ولذة الجريمة ، ولا شك أن الإنسان حينما يتعود على فعل الطاعات ويداوم عليها فإنه سيجد لذتها إن عاجلاً أو أجلاً والتعود على فعل الطاعات في بداية الأمر يكون صعباً ولكن مع الإستمرار عليه يكون أمراً عادياً للغاية .

بل قد لا يسع الإنسان أن يتركه والعكس صحيح فإذا تعود الإنسان على الجريمة واستمر على فعلها تصبح الجريمة جزءاً من كيانه لا يستطيع تركها ذلك لأن الخير عادة والشر عادة . كما دل على ذلك الحديث الشريف .

فيما حبذا لو صبر الإنسان نفسه على الطاعة وعلى ترك الذنوب وسهر الليالي الطوال من أجل ذلك لأن الصبر على التقوى أهون من الصبر على النار .

يقول الإمام زين العابدين : « إن بين الليل والنهار روضة يرتع في رياضها الأبرار ويتنعم في حدائقها المتقوون ، فادأبوا رحمة الله في سهر هذا الليل بتلاوة القرآن في صدره وبالتضريح والإستغفار في آخره وإذا ورد النهار فأحسنوا قراه بترك التعرض لما يرديكم من محقرات الذنوب فإنها مشرفة بكم على قباح

العيوب وكأن الرحلة قد أظلمتكم وكأن الحادي قد حدا بكم» .

وبهذا العمل وأمثاله نكون قد حققنا الدعامة السادسة من دعائين الإستغفار قال أمير المؤمنين : « وسادسها أن تذيق بدنك ألم الطاعة كما أذفته حلاوة المعصية ثم قل أستغفر الله »^(١) .

والذي يظهر من كلام الإمام : أن عين الإستغفار هو فعل الأمور الستة المذكورة فقوله مبني على دعائين ست إشارة إلى أن من فعل هذه الأمور فقد بنى « الإستغفار أي حققه ، وفي رواية أخرى « الإستغفار إسم واقع على ستة معان » فمعنى هذه العبارة أن هذه الأمور الستة هي معاني الإستغفار وهي حقيقة .

وأما قول (أستغفر الله) وإن كان ضروريًا فهو ليس أكثر من دعاء ورجاء وطلب تغطية الذنوب وسترها ، وليس كل من طلب تغطية ذنبه يُعطى مراده .
بمعنى أن الإنسان لو تذكر ذنبه وجلس وبكي عليها وعاهد الله سبحانه أن لا يعود إليها أبداً ولم تكن ذمته مشغولة بأي مظلمة أو أي حق آخر من حقوق الله أو حقوق الناس وكانت القاعدة البدنية والنفسية مهيئة فإنه يعد (مستغفراً) ولو لم يتلفظ بكلمة (أستغفر الله) .

كما أنه لو قال : (أستغفر الله) ألف مرة في اليوم والليلة ولم يبك على ذنبه ، وكان في برنامجه أن يعود إلى الذنب مرة أخرى فلا يعد مستغفراً بل مستهزاً .

ولكن هذا لا يعني أن لا يقول الإنسان أستغفر الله . لأن قول : أستغفر الله دعاء كما أسلفنا ، والدعاء بمثابة الملح للطعام .

وإن كان الظاهر أن القلب إذا استغفر ظهر ذلك على اللسان لأنه : « ما أضمر أمرٌ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ »^(٢) .

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤١٧ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٢٦ .

دع ضميرك يجيب :

لو كان أمير المؤمنين اليوم حاضراً وتوقف هيئة ليسمع استغفارنا هل يقول
لنا كما قال لذلك الرجل الذي سنشير إليه فيما يأتي والذي لم يحقق
دعائم الإستغفار؟ أم يبني على طريقتنا في الإستغفار؟

لتترك الضمير الحي والنفس اللوامة عند كل واحد منا يجيبان على هذا
السؤال « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ^(١) . »

فالعارفون بحقيقة الإستغفار هم الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدرأ
وما أكثر الذين يضيوفون إلى ذنوبهم ذنوباً أخرى باستغفارهم المزيف الذي
يحمل الإستهزاء بالله وبأوامره . وما ظنك بمن يستهزئ بالله .

ولا بأس أن نذكر القارئ الكريم بالحديث الجامع لكل هذه الدعائم
فلقد روي أن الإمام علياً سمع قائلاً .

يقول : (أستغفر الله) وكان الإمام عارفاً بسلوك ذلك الرجل

فقال له : « ثكلتك أمك أتدرى ما الإستغفار؟

الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان :

أولها : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبداً .

والثالث : أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس
عليك تبعة .

والرابع : أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضييعتها فتؤدي حقها .

والخامس : أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتدبيه بالأحزان
حتى تلصن الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

(١) سورة القيمة ، الآيتين : (١٤ ، ١٥) .

والسادس : أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : (أستغفر الله)^(١) .

وروي عن كميل بن زياد أنه قال :

قلت لأمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه
فما حد الإستغفار ؟

قال « يا بن زياد : التوبة » .

قلت : بس ؟ أي يكفي .

قال : « لا » .

قلت : فكيف ؟

قال : « إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول : أستغفر الله بالتحريك » .

قلت : وما التحرير ؟

قال : « الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة » .

قلت : وما الحقيقة .

قال : « تصدق في القلب ، وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه » .

قال كميل : فإذا فعل ذلك فإنه من المستغفرين ؟

قال : « لا . لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد » .

قال كميل : أصل الإستغفار ما هو ؟

قال : « الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه ، وهي أول درجة العابدين ، وترك الذنب والإستغفار إسم واقع لمعان ستة :

(١) البحار : ج ٩٠ ص ٢٨٥ باب الإستغفار وفضله وأنواعه ح ٢٣ .

أولها : الندم على ما مضى .

وثانيها : العزم على ترك العودة إلى الذنب .

وثالثها : أن تؤدي إلى الناس حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك

تبعة

وساق الحديث السابق ذاكراً الدعائم الست كلها^(١) .

وصدق الله سبحانه حيث يقول : « وإنني لغفار لمن تاب وآمن وعمل

صالحاً ثم اهتدى »^(٢) .

(١) تحف العقول : ص ١٣٨ باب في قواعد الإسلام وحقيقة التوبة والاستغفار .

(٢) سورة طه ، الآية : ٨٢ .

ثانياً : الاستغفار بآدابه

قول الإمام أمير المؤمنين في الحديث السابق بعد ذكر دعائيم الإستغفار
الست « فعند ذلك تقول أستغفر الله » دال على أنه من الضروري أن يستغفر
بلسانه وقلبه بعد تحقيق تلك الدعائم لأن الله سبحانه يحب أن يسمع عبده يدعوه
ويستغفره .

قد أظمهما الإستغفار هواجر^(١) يومه وأوجف^(٢) الذكر بلسانه .

ولكن للإستغفار آداب وسلوكيات .

فما هي تلك الآداب وتلك السلوكيات ؟

آداب الإستغفار وسلوكياته:

١- الغسل :

الذنوب قذارات تتلوث بها الروح ، ويقسونا عنها القلب ، ولكن حيث أن
الروح تتأثر بالبدن في كثير من الأحيان لذا فإن المذنب إذا اغتسل ساعد هذا
الاغتسال على طهارة الجوهر .

(١) الهواجر: جمع هاجرة وهي نصف النهار عند إستاد الحر .

(٢) أوجف الذكر بلسانه: أي أسرع كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف
الناقة براكبها .

من هنا قال الرسول (ص) لرجل مذنب جاءه نادماً على ذنبه: «إنه ليس من عبد عمل ذنباً كائناً من كان وبالغاً ما بلغ ، ثم تاب إلا تاب الله عليه فقم الساعة واغتسل وخر لله ساجداً ». .

فقال الصادق: لا تفعل .

فقال الرجل : والله ما أتيتهن ، إنما هو سماع أسمعه بإذني .

فقال الصادق: بالله أنت أما سمعت الله يقول : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ لِلَّهِ مَسْؤُلٌ﴾ (١) .

فقال الرجل: بل والله كأني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من عربي
ولا أعجمي ولا جرم أني لا أعود إن شاء الله وإنني أستغفر الله .

فقال الصادق: قم فاغسل وصلّ ما بدا لك فإنك كنت مقیماً على أمر عظیم ، ما كان أسوأ حالك لو مُت على ذلك ، إحمد الله وسله التویة من كل ما يکره فإنه لا يکره إلا کل قبیح والقبیح دعه لأهله فإن لكل أهلاً ». .

فقوله (قم فاغسل) ظاهر في أهمية الإغتسال إذا أراد الإنسان أن يستغفر من خطيئة بل أهمية الإغتسال لا تقف عند مرة واحدة بل لو أخطأ الإنسان أو أذنب مرة ثانية أو ثالثة يستحب له الغسل في كل مرة ، مع لحاظ أن تأثير التوبة والإستغفار إلى مرحلة ما بعد الغسل لا يجوز إذ أن وجوب التوبة والإستغفار من الذنب فوري والغسل مستحب ولا يقدم المستحب على الواجب فضلاً عن الواجب الفوري وطريقة الجمع أن يجعل نية الإستغفار منعقدة في قلبه ثم يغسل ، وبعد الغسل يستغفر ربه الإستغفار المطلوب بشروطه ودعائمه ولعل قول

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٣٦) .

بعض العلماء إذا أراد أن يتوب الإنسان عليه أن يغسل أولاً لأنهم علموا أن من أراد الإغتسال للتوبة والإستغفار فالنية ملزمة له قبل الغسل وأثناءه فلا داعي لذكر ذلك .

٢- الصلاة:

من المتسلالم عليه أن من أفضل الأعمال التي تقرب الإنسان إلى ربه (الصلاحة) فإنها تحتُ الذنوب حتّى الورق وتطلقها إطلاق الرّبْق حتّى جاءت الأحاديث الشريفة لتوصي الأمة بتعاهد أمرها والمحافظة عليها والتقرب بها والإكثار منها ، من هنا أصبح من الراجح أن يتقرب بها من يريد غفران ذنبه لأنها قربان المؤمن قال الإمام الصادق: « ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين واستغفر الله إلا غفر له وكان حقاً على الله أن يقبله لأنّه سبحانه قال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا »^(١) . بل إن من الصلوات التي يُحبذ الإكثار منها خاصة عند اقتراف الخطايا « صلاة الاستغفار » .

فلقد ورد عن النبي (ص) أنه قال: « إذا رأيت في معاشك ضيقاً وفي أمرك التّياثاً^(٢) فانزل حاجتك بالله عز وجل ، ولا تدع صلاة الاستغفار وهي ركعتان تفتح الصلاة تقرأ الحمد وإنما أنزلناه مرة واحدة في كل ركعة ، ثم تقول بعد القراءة (استغفر الله) خمس عشرة مرّة ثم ترکع وتقولها عشرة ثم ترفع رأسك من الرکوع وتقولها عشرة ثم تسجد الشّانية وتقولها عشرة ثم ترفع رأسك وتقولها الأولى وتقولها عشرة ثم تسجد الشّانية كما فعلت في الركعة الأولى تماماً ، فيكون عدّ الاستغفار عندئذ مائة وخمسين استغفاراً » .

وكذلك من الصلوات التي تحت الذنوب (صلاة جعفر بن أبي طالب)

(١) سورة النساء ، الآية: (١١٠) .

(٢) إختلاطاً وإلتفاتاً .

والمسماة بصلة التسبيح ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على استحبابها وروت في فضلها الشيء الكثير من الأحاديث :

فعن الباقي قال : « قال رسول الله (ص) لجعفر بن أبي طالب : يا جعفر ألا منحك ؟ ألا أعطيك ؟ ألا أحبوك ؟ ألا أعلمك صلاة إذا أنت صليتها لو كنت فررت من الزحف وكان عليك مثل رمل عالج وزيد البحر ذنوباً غفرت لك ؟ قال : بل يا رسول الله ، فعلمه إياه وهي أربع ركعات بتشهدين وتسليمين والقراءة في الأولى بعد الحمد (الزلزلة) وفي الثانية بعد الحمد (العاديات) وفي الثالثة بعد الحمد (النصر) وفي الرابعة بعد الحمد (الإخلاص) وإذا فرغ من القراءة في الركعة الأولى قال قبل أن يركع « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم يركع ويقول في رکوعه مثل ذلك عشرأ ثم يرفع رأسه ويقول عشرأ ثم يسجد ويقول عشرأ ثم يرفع رأسه من السجود ويجلس ويقول عشرأ ثم يسجد ويقول عشرأ ثم يرفع رأسه من السجود. ويجلس ويقول عشرأ ثم يسجد ثانية ويقول عشرأ ثم يرفع رأسه ويجلس ويقول عشرأ فيكون عدد التسبيحات خمس وسبعين تسبيحة ، ثم يقوم للرکعة الثانية ويصنع فيها ما صنعه في الأولى ، ثم يصنع في الثالثة والرابعة مثل ذلك فتكون التسبيحات حينئذ ثلاثة مائة تسبيحة »^(١) .

وكلما أكثر الإنسان من الصلاة وتقرب إلى ربه بالنواقل كان أفضل وأسرع لقبول استغفاره وتوبته .

فلقد ورد في كتاب الإقبال في باب أعمال شهر ذي العقدة : « أن رسول الله (ص) قال لأصحابه : يا أيها الناس من كان منكم يريد التوبة ؟ قلنا : كلنا نريد التوبة يا رسول الله .

فقال (ص) : إغسلوا وتوطدوا وصلوا أربع ركعات وآقرأوا في كل رکعة

(١) البحار : ج ٨٨ ص ٢٠٨ باب فضل صلاة جعفر بن أبي طالب (ع) وصفتها وأحكامها ح ١٢ .

فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثة مرات والمعوذتين مرة . ثم آستغفروا سبعين مرة ثم آختتموا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قولوا (أي ليقل كل واحد منكم) : يا عزيز يا غفار ، إغفر لي ذنبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنك لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ثم قال (ص) : « ما من عبد من أمتي فعل هذا إلا نودي من السماء ، يا عبد الله إستأنف العمل فإنك مقبول التوبة مغفور الذنب .

وينادي ملك من تحت العرش : أيها العبد ترضى خصماؤك يوم القيمة .

وينادي ملك آخر : أيها العبد تموت على الإيمان ولا أسلب منك الدين ويفسح في قبرك وينور فيه .

قلنا : يا رسول الله لو أن عبداً يقول هذا في غير الشهر (أي في غير ذو العقدة) .

فقال (ص) : مثل ما وصفت وإنما علمني جبرائيل (ع) هذه الكلمات أيام (١) أسرى بي « (٢) .

٣- الصدقة :

تعتبر الصدقة من أفضل الوسائل لغفران الذنوب ، خاصة إذا كانت بالسرّ .

فلقد روي عن الإمام الباقر أنه قال : « أفضل ما توسل به المتسلون بالإيمان بالله وصدقه السر فإنها تذهب الخطيئة وتطفيء غضب الرب والمستغفر بلا شك يريد أن تغفر خططيته وأن يرفع عنه غضب ربها » (٣) .

ولقد عدّها العلماء سبباً من أسباب غفران الذنوب كما دلّ على ذلك قوله

(١) اقبال الأعمال : ص ٣٠ باب في أعمال شهر ذي القعدة .

(٢) لعله أراد ليلة أسرى بي .

(٣) الوسائل : ج ٦ ص ٢٧٦ باب ١٣ من أبواب الصدقة حديث ٤ .

تعالى : « إن تبدو الصدقات فنعمها هي وإن تخفوها وتؤتواها الفقراء فهو خير لكم ويکفر عنكم من سیئاتکم والله بما تعملون خبیر »^(١) .

فالآلية صريحة في أن صدقة السر تكون سبباً في تکفير السیئات وغفران الذنوب وذلك من قوله : « وإن تخفوها . . . يکفر عنکم من سیئاتکم » كما أنتا نلاحظ في قوله تعالى : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبۃ عن عباده ويأخذ الصدقات »^(٢) . نلاحظ إرتباط قبول التوبۃ بمسألة الصدقة ولا غرو في ذلك فإن للصدقة شأنًا عظیماً . يقول الرسول (ص) : « خلتان لا أحب أن يشارکني فيهما أحد . وضوئي فإنه من صلاتي وصدقتي فإنها من يدي إلى يد السائل فإنها تقع في يد الرحمن »^(٣) .

وقول الإمام الصادق : « إن الله تبارك وتعالى يقول ما من شيء إلا وقد وكلت من يقابضه غيري إلا الصدقة فإني أتلققها بيدي تلقفأ »^(٤) .

وتتجدر الإشارة هنا إلى أن أفضل من تصرف لهم الصدقات الأرحام فإن الأجر يتضاعف فهي من جانب صدقة ومن جانب آخر صلة رحم . فلقد روی أن رسول الله (ص) قال : « إن الصدقة على ذي القرابة يضعف أجراها مرتين »^(٥) .

وقال (ص) : « لا صدقة وذور حم محتاج »^(٦) .

وقال أيضًا (ص) : « إبدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٧) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧١ .

(٢) سورة التوبۃ ، الآية : ١٠٤ .

(٣) الخصال : ص ٣٣ باب الإثنين في (قال النبي (ص) خصلتان لا أحب أن يشارکني فيهما أحد) .

(٤) الوسائل : ج ٦ ص ٢٨٣ باب ١٨ من أبواب الصدقة ح ٣ .

(٥) كنز العمال : ج ٦ ص ٣٩٥ خ ١٦٢٢٦ .

(٦) الإختصاص : ص ٢١٩ .

(٧) البحار : ج ٩٣ ص ١٤٧ باب آخر في آداب الصدقة ح ٢٤ .

وقال أيضاً (ص) : «أفضل الصدقة على أختك أو ابنتك وهي مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك»^(١).

٤- حسن الظن بالله :

من آداب الإستغفار المهمة أن يحسن المستغفر الظن بربه بمعنى أن يجعل في قرارة نفسه أن الله سبحانه أهل لأن يغفر له مهما كان حجم ذنبه ونوعها ، وذلك لأنه إنما هلك من هلك وأصبح عمل الكثير هباءً مثوراً لسوء ظنهم بربهم قال تعالى : «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَّتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٢) . فلقد فسر الرسول (ص) هذه الآية وأوضح مفهومها حيث أن منطقها واضح لذى لب قال (ص) : «ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيراً إلا كان عند ظنه بربه وذلك قوله عز وجل «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَّتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» . فالآية صريحة في تبيان أن سوء ظن من أشارت إليهم الآية بربهم هو الذي أرداهم ولو أنهم أحسنوا الظن بربهم لكان حسن ظنهم منقاداً لهم من النار .

كما قال الرسول (ص) : «لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل فإن حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة»^(٣) .

رويداً لا تعجل لعلك تسأل الآن وتقول : إذا كان حسن الظن بالله ثمن الجنة وأن القضية المصيرية متعلقة بمسألة حسن الظن أو سوء الظن بالله إذن لا حاجة للعمل الصالح ، وبالتالي بإمكان أي إنسان مجرم أن يحسن ظنه بربه ويدخل الجنة وهذا مخالف للنصوص الصريحة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ص) وأهل بيته فيما هو المخرج من هذا اللبس ؟

والجواب بكل سهولة ، إنما يرد هذا الإشكال إذا قلنا بأن حسن الظن بالله

(١) البحار: ج ٩٣ ص ١٨١ باب آخر في أنواع الصدقة وأقسامها ح ٢٧ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : (٢٣) .

(٣) كنز العمال : ج ٣ ص ١٣٧ خ ٥٨٦١ .

شيء والإيمان والتقوى والعمل الصالح شيء آخر أما إذا قلنا بأنهما شيء واحد من حيث كونهما أمرتين متلازمتين لا ينفك أحدهما عن الآخر وإذا فقد أحدهما فقد الآخر فإن الإشكال حينئذ لا يثبت أن ينقشع كما تنقشع سحابة الصيف .

والتحقيق في المقام يكشف لنا عن تلازمهما وعدم انفكاكهما عن بعضهما فإما أن يكونا معاً أو ينعدما معاً ولعل فيما أوضحه إمامنا أمير المؤمنين في نهج البلاغة دليلاً على ذلك حيث قال: «إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربها وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله»^(١) .

فقول الإمام «إن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربها . . إلخ» واضح في الدلالة على أنه لا يحسن الظن بالله إلا الخائفون منه .

ومن هنا يرد سؤال من هم الخائفون من الله؟

والجواب جلي في قوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» فهم أحسن الناس ظناً بالله لأنهم آمنوا به وصدقوا برسله وخافوا من نقمته ولم يدنسوا أنفسهم بالذنوب والمعاصي . أما العلماء العاصيون الذين اتخذوا آلة الدين للدنيا وأصبحوا سلسي القياد للشهوة فهوئاء ليسوا علماء إذا ما تدبرنا معنى العلم والعلماء في القرآن . ذلك لأن العالم العاصي يسلبه الله من نور العلم بقدر معصيته وإذا انسليخ عن طاعة الله ولجا إلى معصية . . . وأوقف نفسه للشيطان فإن الله سبحانه يسلبه نور علمه بكامله كما قال تعالى: «وَأَتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَحَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعَنَا بَهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَبَعَهُ هَوَاهُ فَمُثِلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهُثُ أَوْ تَرْكَهُ يَلْهُثُ ذَلِكَ مُثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصَصُ الْقَصْصَ لِعَلَيْهِمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(٢) .

(١) نهج البلاغة ، كتاب: ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: (١٧٥ - ١٧٦) .

والمحصلة أنه من آمن بالله ويفعل الضروريات الدينية وعمل صالحًا وخاف ذنبه ورآها بعين بصيرته كالجبل على ظهره فإن هذا السلوك يلزمه حسن الظن بالله ، ومن كفر بالله أو بأي شيء من ضروريات الدين لا عن شبهة أو لبس وإنما عن عناد وتجبر واتباع للهوى والدنيا ، وأستمر في بغيه وعصى وظلم وأعتدى وغضب وهتك وأرتكب الجرائم البشعة وترك الواجبات مع استيقان نفسه بأنه مسؤول عن الإلتزام بترك المعاصي وفعل الطاعات فإن هذا السلوك بالطبع بل بكل تأكيد لا يقترب منه حسن الظن بالله ، بل يلزمه سوء الظن بالله لما علم من نفسه أنها خالفت أوامر ربها وفعلت المعاصي وأصرت عليها عن تجبر وعناد .

وها هو أمير المؤمنين يفسر لنا معنى حسن الظن بالله بكلمات أكثر صراحة مما سبق من كلامه فيقول: «حسن الظن أن تخلص العمل وترجو من الله أن يغفو عن الزلل» . فقوله : «أن تخلص العمل» واضح في دلالة تلازم الإخلاص في العمل مع حسن الظن بالله . حيث فسر حسن الظن بالإخلاص والرجاء وليس الرجاء فقط .

٥- الإستغفار بالسر:

لا شك أن الإستغفار هو دعاء ذلك لأنه يعني طلب الستر والمغفرة وهذا الطلب دعاء . وقد حث القرآن الكريم على أن يكون الدعاء بالسر والخفية أي بين العبد وربه في الخلوات كما قال تعالى : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرِّعًا وَخَفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾^(١) .

وأكده سبحانه على أهمية الأمر في نفس السورة في آخرها فقال: ﴿وَآذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرِّعًا وَخَفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغَدُوِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢) . فقوله في الآية الثانية ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ مساواً

(١) سورة الأعراف ، الآية: (٥٥) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: (٢٠٥) .

﴿ وخفية ﴾ في الآية الأولى .

وأستخدم القرآن لفظة الخفية في سورة الأنعام أيضاً فقال سبحانه : ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ﴾ .

قصة :

ولقد روي أن النبي (ص) كان مع بعض أصحابه ذات مرة فاشتغلوا بالصلوة والذكر والإستغفار والتسبيح والدعاء وعلت أصواتهم هذا يقول بصوت عال رب إغفر لي وأخر يقول رب استجب دعائي . فلم يرض هذا المنظر رسول الله (ص) فقام خطيباً فقال في ضمن ما قال : « إنكم لا تدعون أصماً وغائباً إنكم تدعون سمياً قريباً وهو أقرب إلى أحدكم من عُرف فرسه » .

وصار يحثهم على ضرورة الإستغفار والدعاء والإبتهال بالسر لأن ذلك أخشع للقلب وأقرب إلى إخلاص النية .

يقول الطبرسي رضوان الله عليه (إن قوماً من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه (إجذع أنفك) أو (إصلم أذنك) أو (إفعل كذلك) فيفعل ما أمر به فيغفر له ذنبه ونحن لم نؤمر بمثل ذلك فتلك ذنوبنا لا نعرف لها مكفراً ولا غافراً فسكت رسول الله (ص) ثم قال : « ألا أخبركم بخير من ذلكم ؟ ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا للذنبهم ومن يغفر الذنب إلا الله ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾^(١) أي استغفروا الله وندموا على فعلهم وطلبو من الله العفو عنهم ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾^(٢) .

وهذا دليل على أن الإنسان إذا صدرت منه خطيئة أو وقعت منه هفوة فإن الأفضل له أن يسترها ويستغفر الله منها فلقد ورد عن الإمام الرضا قوله : « إن

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٦٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٦) .

المستتر بالسيئة مغفور له^(١) وليس من الراجح أن يشهر نفسه بالخطيئة أو يقدم نفسه للقضاء لأن يقتضي منه أو يقام الحد عليه فإن مجرد الندم عليها وطلب العفو من الله كاف لغفرانها وتکفيرها وإنما يشترط الفcasاص أو إقامة الحد في حصول المغفرة إذا قُدِّم إلى القضاء وأقر على نفسه الإقرار الشرعي المستند على الموازين الشرعية أو بشهادة الشهود أو ما شابه ذلك . ولقد كان الكثير من الرجال والنساء يأتون إلى أمير المؤمنين ويعرفون عنده بالخطيئة ويطلبون منه إقامة الحد عليهم فيأمرهم بالإستئثار والإستغفار والندم على ذلك كاف لحصول المغفرة من الله فإذا ألح أحدهم في ذلك عليه قال الإمام المرتضى لعل مراراً هاج بك يعني (جنوناً) وقع بك أو طرأ عليك ينبهه إلى أن الأولى والأفضل أن يستغفر المذنب بينه وبين ربه سراً وخفية دون الجهر من القول .

٦- تكرار الإستغفار والإكثار منه:

إن تكرار الإستغفار والإكثار منه موجب لغفران الذنوب إذا كان صادراً من قلب صادق لأنه ما كثر الطرق على باب إلا أوشك أن يفتح قال الرسول (ص): «أكثروا من الإستغفار فإن الله عز وجل لم يعلمكم الإستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم»^(٢) .

وقال الإمام الصادق: «إذا أكثر العبد من الإستغفار رفعت صحفته وهي تتلاًأ»^(٣) .

وقال الإمام الرضا «مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فتناثر»^(٤) بمعنى أنه كلما تحركت الشجرة كلما سقط من ورقها فإذا كثر التحرير لها سيكثر الورق المتتساقط وربما لا يبقى شيء من أوراقها والإستغفار يفعل في الذنوب كما يفعل تحريك الشجرة بالنسبة إلى ورقها نعم يستحب التركيز على

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٨ باب ستة الذنوب ح ١ .

(٢) الوسائل : ج ٤ ص ١٢٠٠ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح ١٢ .

(٣) الوسائل : ج ٤ ص ١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح ٣ .

(٤) الوسائل : ج ٤ ص ١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح ١ .

بعض الأعداد الواردة في السنة الشريفة وتكرار تلك الأعداد أمر تعبدى كالعدد سبعين والعدد مائة مثلاً .

وتكرار العدد يعني أن يستغفر الإنسان مثلاً سبعين مرة ثم يستغفر سبعين مرة أخرى ثم سبعين مرة ثالثة وهكذا .

قال تعالى : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »^(١) . فإن هذه الآية وإن كانت تعنى أنه يا رسولنا ويا حبيبنا لو أنك استغفرت للمنافقين الذين عنتهم الآية سبعين مرة فإنه لن يغفر لهم . إلا أن فيها إشارة واضحة لذى لم أنه من يستغفر الله سبعين مرة فإن الله سبحانه يغفر له ، غير أن من عنتهم الآية خارجون بدليل خاص ، وهو أنهم ليسوا أهلاً لأن يغفر لهم لنفاقهم وعدم إخلاصهم .

وروى عن الإمام الصادق أنه قال : « في تفسيره لقوله تعالى : « والمستغفرين بالأسحار »^(٢) قال : كانوا يستغفرون في الوتر سبعين مرة في السحر فمن استغفر في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية »^(٣) .

وقال أيضاً : « من قال في وتره إذا أوتر (استغفر الله وأتوب إليه) سبعين مرة وهو قائم فواظبه على ذلك حتى تمضي له سنة كتبه الله من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله تعالى »^(٤) .

حول العدد مائة روى عن الإمام الصادق أنه قال : « كان الرسول (ص) يتوب إلى الله ويستغفره في كل ليلة مائة مرة من غير ذنب »^(٥) .
إلى غير ذلك من الروايات .

(١) سورة التوبه ، الآية : (٨٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (١٧) .

(٣) مجمع البيان الجزء ٣ من المجلد ٢ ص ٣٤ .

(٤) الوسائل ج ٤ ص ٩٠٩ باب ١٠ من أبواب القنوت ح ٢ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٤٥٠ باب نادر ح ٢ .

ويلاحظ على هذين العددين أن العدد سبعين هو الأصل كما دلت على ذلك الآية الكريمة السابقة ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ فمن استغفر ربه الإستغفار الجامع للشرائط والدعائم والأداب سبعين مرة كان حقاً على الله سبحانه أن يغفر له .

ولكن إذا كثر الطرق على باب الغفور الرحيم وزاد عدد الإستغفار إلى مائة فإن ذلك راجح أيضاً من باب أن الإستغفار بالنسبة للذنوب كتحريك الشجرة بالنسبة لتساقط الورق منها .

فكليماً كثر التحريك كلماً كثر سقوط الورق ، وراجح أيضاً من باب ما كثر الطرق على باب إلا أوشك أن يفتح .

٧- العفو عن الناس :

قدِيماً قيل: (من لا يرحم لا يُرحم) ولعل هذه المقوله صادقة في محتواها في كثير من الأحيان ، فمن لا يعرف معنى للعفو عن الناس فيما إذا أساءا إليه فإنه في الغالب لا يكون مؤهلاً لاستحقاق عفو الله سبحانه وصفحه .

ولقد دل القرآن على ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولَوَالِفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسُّعْدَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمَهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا، أَلَا تَحْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) .

فالشاهد في قوله ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا﴾ حيث أمر الله سبحانه بالعفو والصفح ثم ارتباط هذه العبارة بقوله تعالى : ﴿أَلَا تَحْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ كأنما المعنى وبكل وضوح إن لم تعفوا أو لم تصفحوا ففعلكم هذا يدل على أنكم لا تريدون أن يغفر الله لكم ، كأنما يريد أن يقول: إن أردتم أن يغفر الله لكم فاعفوا وأصفحو .

فأين هم الذين يبحثون عن عفو الله وصفحه ؟ لماذا الكثير منهم يريد

(١) سورة النور ، الآية: (٢٢) .

التشفي والإنتقام ، ورد السيدة بالأسوا . أما لهم في كتاب الله عبرة ؟ هل آستغنا عن عفو الله ؟ كييف يحبون العفو لأنفسهم ويكرهونه لغيرهم ؟ أين هم عن عفو رسول الله (ص) عمن ظلموه وأساؤوا إليه وشهروا السيف في وجهه ؟ حتى قال لهم عند فتح مكة : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

هل سمعوا بعفو يوسف الصديق عن إخوته حيث قال لهم : « لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم »^(١) .

أم بعد لم يسمعوا ذلك ؟ هل سمعوا عن شخصية تحدث نفسها بالعفو عن قاتلها ؟ هل سمعوا ما قاله أمير المؤمنين لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي : « أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم فإن أبقي فأنا ولني دمي وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالغفور لي قربة ! . وهو لكم حسنة ثم ثم تلا هذه الآية « وليعفوا ولি�صفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم »^(٢) .

ما ظنكم بمن يأمر بالإحسان إلى قاتله حيث قال الإمام لولده الحسن : « الله الله في أسيركم أطعموه مما تأكلون وأسقوه مما تشربون ولدي حسن أقسم عليك بعظيم حقي الذي عرفته لا تقيد له رجلاً ولا تغل له يدًا !! إنه سلوك أهل البيت الذين يبحثون عن أتباع صادقين فهل نكون من أتباعهم ؟ وهل نحن قادرون على ترويض أنفسنا وحملها على ما تكره كي لا تأخذنا نزعات الجاهلية الأولى ، وأحقادها القاتلة ونكون أخوة متحابين حاملين أخلاق آل محمد (عليهم السلام) نعفو عنمن ظلمنا ونصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا ؟ نسأل الله أن نكون كذلك إنه سميع مجيب .

٨- الإعتراف بأنه لا غافر للذنوب إلا الله :

يقول القرآن الكريم على لسان نبي الله نوح عليه وعلى نينا أفضل الصلاة والسلام : « **إلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، قيل يا نوح اهبط** »

(١) سورة يوسف ، الآية : (٩٢) .

(٢) سورة التور ، الآية : (٢٢) .

سلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سُنْتُعَهُمْ ثم يمسهم منا
عذاب أليم ﴿١﴾ .

لقد كان سؤال نوح يتعلق في أمر نجاة ولده كعنان وطلب نوح النبي نجاة ولده من الغرق لا يعد ذنبًا أبداً وإن كان الأولى ترك السؤال لكن شاهدنا هنا لما أقر نوح النبي بذلك واعتبره خطأً وذنبًا واعترف أنه لا مقيل له سوى ربه وذلك مما نطق القرآن على لسانه « إِلَّا تغفر لي وترحمني أكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ »^(٢) جاء الرد الرحماني « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سُنْتُعَهُمْ ... أَلَخْ »^(٣) وتلاحظ هذه الفكرة في قوله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً ... فَاسْتَغْفِرُوا لِذَنْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصْرُوْا عَلَى مَا فَعَلُوا »^(٤) حيث أن الله سبحانه فصل بين المعطوف عليه « فَاسْتَغْفِرُوا » والمعطوف « لَمْ يَصْرُوا » بجملة إعترافية وهي « وَمَنْ يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ » بمعنى أن هؤلاء حينما ذكروا الله سبحانه واستغفروا لذنبهم وعلموا أن لا غافر لهم إلا الله لذلك غفرنا لهم وجاءت الآية الثانية تتحدث عن ثواب المستغفرين « أَولُئِكَ جَزَاؤُهُمْ مغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ ... أَلَخْ » .

وقال النبي (ص) : « إن العبد ليقول : اللهم اغفر لي ، وهو معرض عنه ثم يقول : اللهم آغفر لي وهو معرض عنه ثم يقول : اللهم آغفر لي ، فيقول الله سبحانه للملائكة : ألا ترون إلى عبدي سألهي المغفرة وأنا معرض عنه ثم سألهي المغفرة وأنا معرض عنه ، ثم سألهي المغفرة ، علم عبدي أنه لا يغفر الذنب إلا أنا أشهدكم أنني قد غفرت له » . فقوله (ص) : « علم عبدي أنه لا يغفر الذنب إلا أنا أشهدكم أنني قد غفرت له » دليل على إثبات هذا .

(١) سورة هود ، الآية : (٤٧ - ٤٨) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٤٧) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٤٨) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٥) .

ولعلك تسأل كيف يعلم العبد أنه لا غافر له إلا الله ؟

الجواب :

لا يتأنى ذلك إلا من خلال البناء الفكري للإنسان وتكوين العقلية الإسلامية المطلوبة وذلك لا يتأنى إلا من خلال التفكير في النفس والكون والأمم الماضية حيث أن معرفة النفس والكون والتاريخ يعتبر من أهم المعارف التي تقوم فكر الإنسان وتجعل منه إنساناً عارفاً حق ربه وحق نفسه وحق الناس عليه .

٩- الإعتراف بعصيان الله بنعمه :

هناك شيئاً مهماً يحتمان على الإنسان أن يستحبى من ربـه حقـ الـ حـيـاءـ :

أـ النـعـمـ الـعـظـيمـةـ التـيـ لـاـ تـحـصـىـ وـأـنـىـ لـلـإـنـسـانـ أـنـ يـحـصـيـهـ وـهـلـ مـرـتـ بـهـ سـاعـةـ وـاحـدـةـ إـسـتـغـنـىـ فـيـهـ عـنـ نـعـمـ اللـهـ سـبـحـانـهـ ؟ـ وـهـلـ أـصـلـ وـجـوـدـهـ إـلـاـ نـعـمـةـ مـنـ نـعـمـ اللـهـ الـعـظـيمـةـ ؟ـ أـمـ هـلـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـتـلـذـذـ بـنـعـيمـ الـحـيـاةـ بـدـوـنـ عـافـيـةـ ؟ـ وـهـلـ عـافـيـةـ إـلـاـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ ؟ـ

هل سمعنا مقولـةـ ذـلـكـ الأـعـرـابـيـ الذـيـ دـعـاهـ الـحـجـاجـ الثـقـفـيـ إـلـىـ طـعـامـهـ وـهـوـ فـيـ طـرـيقـهـ فـيـ مـنـطـقـةـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ ،ـ حـيـثـ قـالـ :

«ـ دـعـانـيـ مـنـ هـوـ خـيـرـ مـنـكـ فـأـجـبـتـهـ !ـ فـبـاـنـ الغـضـبـ فـيـ وـجـهـ الـحـجـاجـ ،ـ

وـقـالـ لـهـ :ـ وـمـنـ ذـلـكـ الذـيـ هـوـ خـيـرـ مـنـيـ ؟ـ !ـ

فـقـالـ الأـعـرـابـيـ :ـ لـقـدـ دـعـانـيـ الـغـفـورـ الرـحـيمـ إـلـىـ الصـيـامـ فـصـمـتـ فـكـأـنـاـ أـلـقـمـ الـحـجـاجـ حـجـراـ !ـ

فـقـالـ لـهـ :ـ أـخـرـ صـيـامـكـ إـلـىـ الـغـدـ وـتـنـاـوـلـ مـعـيـ هـذـاـ الطـعـامـ الـلـذـيدـ .ـ

فـقـالـ لـهـ الأـعـرـابـيـ :ـ وـهـلـ تـضـمـنـ بـقـائـيـ إـلـىـ يـوـمـ غـدـ ؟ـ

قـالـ الـحـجـاجـ :ـ ذـلـكـ لـاـ أـضـمـنـ لـنـفـسـيـ فـكـيـفـ أـضـمـنـهـ لـغـيـرـيـ !ـ غـيـرـ أـنـ الطـعـامـ طـيـبـ فـأـحـبـتـ أـنـ تـأـكـلـ مـعـيـ .ـ

فقال الأعرابي : ما طيبته أنت وإنما طيبته العافية التي ألبسك الله إياها » .

نعم لولا العافية لأصبح كل لذيد من الطعام مرأً وعلقماً بل قد لا يكون
بإمكان تناوله .

فأمّام هذه النعمة وأمثالها من آلاف النعم التي لا يمكن للعاديين إحصاؤها يتحتم على الإنسان العاقل أن يستحبّي من ربه إذا ما أمره بأمر أو نهاء عن نهي أرأيت لو أسدى إليك أحد جميلاً لا تستحبّي منه ؟ ثم كيف تعامل مع شخص يراك بلا مأوى ولا مال ، ولا ثياب فيعطيك المال والثياب وبيهيء لك مأوى ويملكك إياه ويقول لك هذه الدار وهذا المال وهذه الثياب ملك لك ، إلا يكبر هذا الشخص في عينيك وتكون له أرضاً كما كان لك سماء وتنمني أن يطلب منك حاجة لتنفيذها له بعينيك قبل يديك ؟ مع أن هذا الشخص ما أعطاك العين التي بها ترى والأذن التي بها تسمع واليد التي بها تبطش والرجل التي بها تمشي والروح التي بها تعيش والعافية التي بها تتنعم ، بل لو سلب منك شيء من هذه النعم ما استطاع ذلك الشخص ردها إليك إلا بإذن الله ، كما أن هذا الشخص حيث أكرمه نظر إلى ظاهرك ، إذ لو نظر إلى باطنك وعلم أنك تحاربه وتعانده لاسترجع عطيته منك وأهانك والله سبحانه . وله المثل الأعلى - الذي وهبنا الحياة والعافية والسمع والبصر وأكرمنا بالنعم العظيمة قد اطلع على سرائرنا وعلم بما انطوت عليه نياتنا فرآنا نتقلب في نعمه وعافيته وفي نفس الوقت نعانده ونحاربه ونعصي أوامره ونركض خلف نواحيه وأعظم من ذلك أننا عصيناه بنعمه وتقويننا على عباده بعافيته ، وما سلينا ما أنعم به علينا ، بل تكرم وتفضل وتطول وزاد في بسط نعمه وستر علينا قبح سلوكتنا وقلة حيائنا .

وبعد كل هذا أليس من التعقل بمكان أن ننكس رؤوسنا وإلى الأبد
إستحياءً من ربنا ؟

ب - مقابلة هذه النعم بالعصيان وبلا حياء :

يقول المرحوم السيد عبد الله البلادي : « روى لي أحد أقاربي ، بعد رجوعه من فرنسا التي بقي فيها عدّة سنوات للدرس فقال : استأجرت في باريس

بيتاً و كنت قد اقتنيت كلباً للحراسة ، وفي الليل كنت أغلق الباب ، و بناء الكلب بالقرب منه ، و كنت أذهب إلى الدرس و عندما أعود أدخل البيت و يدخل الكلب معه . في أحدى الليالي تأخرت في العودة وكان الطقس بارداً ، فاضطررت لرفع ياقه معطفي لأنني ورأسي ، ولبس القفاز في يدي و غطيت وجهي فلم يبق مكشوفاً منه سوى عيني ، لأرى بهما طريقي ، ووصلت إلى البيت على هذه الحال ، وما أن أردت فتح الباب حتى أخذ الكلب يزور فقد أنكرني للوهلة الأولى لأنني كنت قد غيرت صورتي ، وغطيت وجهي وهجم علي ، وأمسك بي من طرف معطفي فألقيت المعطف فوراً و كشفت وجهي ، وصرخت به حتى عرفني ، فزحف وهو في غاية الحياة إلى زاوية من الزقاق ، فتحت الباب ودخلت ، وأخذت الح على الكلب كي يدخل معه فلم يدخل ، فاضطررت وبالتالي لأن أغلق الباب وأنام ، وفي الصباح عندما أتيت أتفقد الكلب وجدته ميتاً فعلمت أنه إنما مات لشدة الحياة !! .

ألا تقشعر الأبدان من هذه القصة الواقعية ؟ كلب يعتدي على صاحبه وعن طريق الخطأ والإشتباه ، فيستحي أن يدخل داره ويبقى بلا طعام ولا ماء حتى يموت . لماذا كل هذا الحياة !! !!

أكل هذا مقابل قطعة عظم يكسوها شيء من اللحم يلقها ذلك الرجل لهذا الكلب فيبقى الكلب حافظاً للجميل يطيع أوامر سيده وينكس رأسه أمام زواجره حتى إذا ما أخطأ ذلك الخطأ . . .

اختار الممات على الحياة استحياء من صاحبه . أينك أيها الإنسان ؟؟ في أي واد تسير !! وفي أي نعمة أنت تتقلب ؟؟ ومن الذي يطعمك ويسقيك !! وإذا مرضت فمن يشفيك ؟؟ ومن الذي غذاك صغيراً وكبيراً وحفظك طفلاً وكهلاً !! وعلى أرض من أنت تمشي ونعمه من أنت تأكل ؟؟! وتحت سماء من أنت تستظل !! « قتل الإنسان ما أكفره »^(١) .

(١) سورة عبس ، الآية : ١٧ .

ها هو الإمام السجاد يذكرنا بقلة حيائنا من الله فيقول وهو الإمام المطهر - ليربينا ويعلمنا: «أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملائ» وفي عبارة أخرى يقول: «أول علك بقلة حيائي منك جازيتني» .

من هنا كان من الآداب الضرورية لمن أراد الإستغفار من ذنبه أن يتذكر نعم الله سبحانه عليه أولاً ويعترف إعتراف النادمين بمقابلة هذه النعم بالعصيان بل باستخدامها في ذلك العصيان .

وإليك هذه القصة فاقطف منها ثمار الإتعاظ والإعتبار: عن الإمام الحسين بن علي «أن أعرابياً جاء إلى أمير المؤمنين ، فشكى إليه الفقر ، فقال له الإمام علي (ع) عليك بالإستغفار يا أعرابي فإن الله تعالى ذكره يقول ﴿آتُغفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ، يَرْسُلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(١) فمضى الأعرابي وأستغفر كثيراً ولكن كاستغفار العامة من الناس اللسان يتحرك بالإستغفار والقلب ساه والفكر لاه والعمل يخالف ما يتلفظ به اللسان . مكث الأعرابي مدة طويلة .

وعاد إلى الإمام علي وقال: إنني قد استغفرت الله كثيراً وما أرى مالي يزداد! لنسأل أنفسنا أيكون هذا الأعرابي عارفاً طريق الإستغفار الصحيح أم ضالاً عنه؟

الشيء الذي لا يقبل الجدل هو أن القرآن لا ينطق إلا بالحق . فهو يقول: «وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ» والمعنى «إن تستغفروا الله يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال ... إلخ» فإذاً من المؤكد أن الأعرابي ومئات المسلمين ضلوا طريق الإستغفار كما ضله هو ولا مبالغة .

المهم: إلتفت الإمام إلى الأعرابي

(١) سورة نوح، الآيات: (١٠ - ١٢) .

وقال له : « لعلك لا تحسن أن تستغفر !!؟ »

قال : فعلمني يا أمير المؤمنين

قال له الإمام علي : يا أعرابي أخلص نيتك وأطع ربك وإذا أويت إلى فراشك فقل : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت إليه يدي بساقع رزقك أو آتكلت فيه عند خوفي منه على أناتك ، أو وثقت فيه بحلمك ، أو عولت فيه على كريم عفوك ، اللهم إني أستغفر لك من كل ذنب خنت فيه أمانتي ونجست بفعله نفسي أو احتطبت به على بدني أو قدمت فيه لذتي أو آثرت فيه شهوتي أو سعيت فيه لغيري أو استغويت إليه من تعني أو غلبت عليه بفضل حيلتي أو أحالتُ عليك فيه . مولاي فلم تغلبني على فعلي إذ كنتَ كارهاً لمعصيتي ، لكن سبق علمك بفعلتي فحملت عنني لم تدخلني فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً تظلمني فيه شيئاً ، صلٌ على خيرتك من خلقك محمد النبي وآلـ الطيبين الطاهرين وفرج عنـي »

وابك يا أعرابي وإن لم تجد البكاء فتباك ، قال الإمام الحسين بن علي : فغاب عنا الأعرابي سنة ثم عاد إلينا ، فقال : يا أمير المؤمنين قد كثـر مالي ولا أجـد موضعاً أشدـ فيه إيلـي وغنمـي وأضعـ مالي كثـرة

والسؤال المطروح الآن :

بماذا يفترق هذا النوع من الإستغفار عن غيره ؟؟؟

والجواب واضح في كل فقرة من فقراته : حيث تضمنت تلك الفقرات وبصراحة تامة مسألة الإعتراف باستخدام نعم الله ومنته وعطياته على عصيانه وإعلان الحرب عليه وعلى رسـله وأنبـائه . الأمر الذي لو مات الإنسان ندماً على نفسه حيث استخدم نعمـ سـيدـه وموـلـاه في إعلـانـ الـحـربـ عـلـيـهـ ماـ كانـ عـنـهـمـ جـديـراً

وتعالـوا معـي لـتـمـشـى فـي ظـلـالـ تـلـكـ الفـقـراتـ الـذـهـبـيـةـ وـأـيـنـ مـنـهـاـ
الذهب ؟؟؟

قوله : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك » فلو كان المذنب مقعداً على فراش المرض شأنه شأن الكثير من قضى السنين الطوال في المستشفيات يطلب الموت فلا يعطيه بل يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميته . لو كان كذلك هل يكون بوسعه أن يتنتقل في البلدان وفي مواطن الفساد لإرضاء شهوة رخيصة عنده سرعان ما تزول لذتها وتبقى تبعتها !! أم هل بإمكانه أن يتعذر على زوجته المسكينة التي بذلك روحها إليه فهي تطبع طعامه وتغسل ثيابه وتنكس بيته وتربي أطفاله وتكون له سكناً ويداً ورجالاً وجناحاً . فالزوجة الصالحة هي اليد والرجل والجناح وأكثر من ذلك .

لقد أساء الإنسان استخدام هذه العافية فبدل أن يستفيد منها في طاعة الله سبحانه ويتنعم بها فيما أباحه الله له لقد جعلها مطيته إلى الجحيم . فظلم بها زوجته وتطاول بها على حقوق والديه وتقوى بها على ظلم الناس . فأوردته النار وبئس الورد المورود إلا إذا تدارك بها نفسه في الدنيا قبل الآخرة .

قوله : « أو نالته قدرتي بفضل نعمتك » العافية شيء والقدرة شيء آخر فكل واحدة منهما نعمة فقد يكون الإنسان صحيحاً معافى ليس به أي مرض لكن لا قدرة له على إitan النساء مثلاً أو يكون صحيحاً معافى لا مرض عنده ولكن لا قدرة له على حمل الأثقال . فهذا الإنسان لو حرمه الله القدرة على إitan النساء هل كان بوسعه أن يتضمن في هتك أغراض الناس وينتقل من حجر موسمة إلى صدر ساقطة ؟ هل يريد هذا الإنسان أن يسلبه الله هذه النعمة فيحرمه لذة النكاح المشروع ولو حرمه الله القدرة على حمل الأثقال هل كان بإمكانه التمتع بألف اللذائذ التي تعتمد أولاً وأخيراً على حمل الأثقال ؟ بالطبع لا .

فالله سبحانه أعطى الإنسان القدرة على البصر بعينيه ليعيش حياة هانئة سعيدة ينظر بهما إلى زوجته ويتلذذ بجمالها وينظر بهما إلى جمال الطبيعة وإلى مناظرها الخلابة وإلى الأطعمة والأشربة وأنواعها إلى غير ذلك لا أن يستخدم قدرة الإبصار في معصية المنعم عليه فحق للمستغفر أن يندم ويقول : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب نالته قدرتي بفضل نعمتك » كما دل على ذلك عطف العبارة .

قوله : « أو بسطت إليه يدي بساعي رزقك » والرزق أيضاً نعمة أخرى من نعمه سبحانه والنعمة أعم وأشمل من الرزق فجاءت العبارة هذه لتضع النقاط على الحروف فكم هم الذين اعتدوا على حقوق الناس وامتدت أيديهم إلى أملاك غيرهم مستعينين على ذلك بالرشوات والهدايا المزيفة فاستطاعوا بهذه وتلك وغيرها التحايل على حقوق الغير أو صرف الأموال الطائلة على موائد الخمر والقمار وفي أوكرار الفساد فانظر كيف يستعان بربك الله ونعمته على معصيته إنه لذنب عظيم لا يجد الإنسان منه ملخصاً إلا إذا عرف طريق الإستغفار الصحيح وسلكه .

قوله : « أو أتكلت فيه عند خوفي منه على أناتك أو وثقت فيه بحلمك أو عولت فيه على كريم عفوك » .

الآية : الحلم وحلم الله سبحانه وعفوه وستره على عبده في وقت كونه مستوحاً للنقطة والعذاب نعمة أخرى من نعمه العظيمة عليه . وهناك صنف كبير من الناس يذنبون ويغافلون من سوء العاقبة لكن جرأهم على ربهم حلم ربهم وعفوه .

فاستخدام نعمة الله وهي حلمه وعفوه والإستفادة من هذه النعمة لمعصيته ومحاربته قلة حياء وجريمة فسبحان من إذا اعترف عبده له بذنبه ستر على ذنبه وغطاه بل قربه إليه وأدناه .

قوله : « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي » لقد تحمل الإنسان الأمانة ولم يحملها نعم حملها المتقون من أولياء الله أمثال أبي ذر الغفارى وعمران بن ياسر والمقداد بن الأسود وسلمان المحمدى ومن النساء أمثال فاطمة الزهراء وزينب ابنة علي ومريم ابنة عمران وأسيمة بنت مزاحم وزوجات رسول الله (ص) الطاهرات الزاكيات أمهات المؤمنين وغيرهن .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمِلَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلَومًا جَهُولًا ﴾^(١) ولكن نظراً لقلة من

(١) سورة الأحزاب ، الآية : (٧٢) .

حمل هذه الأمانة من البشر لذلك لم تستثنهم الآية وهل يستثنى مقدار دلو من بحر عميق . لذلك قلما تجد إنساناً في زماننا اليوم لم يخن أمانته تجاه ربه وتتجاه نبيه وتتجاه أهل بيته وتجاه مبادئه . لكن هيئاً للمستغفرين .

قوله : « ونجست بفعله نفسي » وهل الذنب إلا نجاسات يجعل في القلب ظلمة فعجاً لمن يفر من نجاسة البدن كيف لا يفر من نجاست النفس .

قوله : « أو احتطبت به على بدني » فعل الذنب يدعى إلى فعل غيره من الذنوب فكما أن الحبل يجمع به الحطب فيقال احتطبت بالحبل أو يقطع الحطب بالمنجل فيقال احتطبت بالمنجل كذلك هناك من الذنوب ما يحثط بها على الأبدان يعني تكون سبباً لحتاج غيرها من الذنوب فمثلاً شرب الخمر فهو ذنب واحد ولكنه يدعو إلى الزنا وإلى القتل وإلى ترك الصلاة وإلى العداوة والبغضاء وعشرات بل مئات الذنوب فشرب الخمر ذنب يحثط به الإنسان الذنوب .

قوله : « أو سعيت فيه لغيري » يعني سعيت لفعل بعض الذنوب لا للذلة أرجوها ولا لشهوتها وإنما خدمة متواضعة لغيري إن كان ذا جاه أو مرتبة مرموقة مثلاً ومن كانت فيه هذه الخصلة فهو من أخسر الناس لأنه « يبيع آخرته بدنيا غيره » .

قوله : « أو استغويت إليه من تبني » يقال : استغواه بالأمانى الكاذبة ، أي طلب غيه وأصله والمعنى أنتي يا رب لم أكتف باستخدام نعمك وفوائضك في معصيتك فقط وإنما استخدمتها في إغواء الناس وإضلالهم وإبعادهم عن طريقك المستقيم فقوله : « استغويت إليه » أي استغويت إلى الذنب من تبني وجالسني وهذا هو شأن الكثير من طلاب الدنيا فهو كي يتستر على فعله يجند له شركاء وأعوان يشاركونه في معصيته وضلاله .

قوله : « أو غلبت عليه بفضل حيلتي » أي استخدمت الحيلة والخداعة في إضلal الناس الذين قد لا يستجيبون لي فصرت أمنهم بأمانى كاذبة كما يفعل الشيطان تماماً . وأمثال هؤلاء في زماننا اليوم لا يحصى عددهم ، فترى مثلاً

المدمن على تعاطي المخدرات حين يرى نفسه منبوذاً في المجتمع يتحايل على بعض أصدقائه المخدوعين به فيضع لهم المخدر في بعض الأشربة التي يقدمها لهم وهناك من أنواع المخدرات ما لو تعاطاها الإنسان مرة واحدة لا يستطيع تركها بل يواصل الإدمان عليها وهنا يصطاد المجرم فريسته في الماء العكر ، أو يمنيهم فيطلب من أصدقائه مجرد التجربة فقط ليتذوقوا طعم نشوتها المزعوم ومن ثم يكونون نسخة طبق الأصل منه . وعلى هذا المثال فقس ما سواه .

قوله : « أو أحَلْتُ عَلَيْكَ فِيهِ » يقول الجوهرى : أحَلْتُ أنا بالمكان وأَحَلْتُ فيه : أي أقمت حولاً . يقال : أحال الرجل بالمكان وأحوال أي أقام به حولاً . أحول الصبي فهو محول : أي أتى عليه حول من مولده والمعنى أني يا رب أفعل الذنب وأستمر عليه ويتحول الحال وأنا مقيم عليه دون حياء مني ولا خجل مع أني طيلة هذا الحال آكل من رزقك وأنقلب في نعمتك وأنت تسترنى بسترك وتتكلؤني بكلاءتك .

قوله : « مولاي فلم تغبني على فعلي إلى آخر الدعاء » بهذه العبارات العظيمة يزبح الإمام اللبس الذي قد يقع عند البعض حيث يقولون إذن لولا نعم الله وعافيته ورزقه لما عصينا فالمعصية إذن من الله تعالى الله عن ذلك علوأً كبيراً - وماذا يريد هؤلاء ؟ يريدون أن يعمي الله الإنسان ويصممه ويجعله أبكمًا حتى لا ينظر إلى الحرام ولا يسمع الحرام ولا يتكلم بالحرام وما ذنب من يستخدم العين والأذن واللسان في طاعة الله وأين إذن تقع مسألة الإبتلاء والإمتحان لمعرفة المؤمن من غيره ؟

وإذن لبطلت مسألة الثواب والعقاب وفي هذه المسألة بحث طويل ليس هنا موضعه .

فللتدارج جمياً هذا النموذج من الاستغفار ونفعله ولنك عند قراءته وهذا لا يتأتى إلا بالتفكير فيه وتطبيق عباراته على سلوكنا لنرى كيف أن هذا النموذج قد كشف أسرارنا فكيف بنا إذا قدمنا على من لا تخفي عليه خافية ولا تحجب عنه الأسرار ؟

لنجرب تطبيق هذا النموذج ولو لمدة شهر واحد على الأقل لنرى المفاجآت ولنعلم أن وعد الله حق . ولكن هنا ملاحظة مهمة من الضروري أن نلفت انتباه الأخوة إليها وهي : قد يجرب هذا النموذج من الإستغفار الحريصون على الدنيا وطلاب المال فلا يجدون شيئاً من ذلك فيكتذبون هذا القول ويكتذبون ذلك القرآن مع أنهم لا بد أن يعلموا أنهم بسوء نيتهم قد ضلوا طريق الإستغفار فما كان هدفهم الحقيقي الإستغفار من الذنب وطلب سترها ومحوها بل ابتعدوا عن لوازم الإستغفار الحقيقي ودعائمه وشروطه وأدابه المطلوبة وأصبح هدفهم المال . فمن استغفر ربه لهدف المال فإنه لا يجد المال لأن استغفاره منحرف عن جادة الحق ومن استغفر ربه ليظهر نفسه من الذنب كثرة ماله لأن استغفاره ملازم لجادة الصواب .

وربما تغير ألفاظ بعض نماذج الإستغفار الصحيح غير أنها تبقى محفوظة باللباب وذات الفكرة فمن تلك النماذج ما روي أن أمير المؤمنين علي كان إذا رفع رأسه من آخر ركعة الوتر قال : « هذا مقام من حسناته نعمة منك وشكراً ضعيف وذنبه عظيم ، وليس له إلا دفعك ورحمتك فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل (ص) كانوا قليلاً من الليل ما يهجمون وبالأسحار هم يستغفرون طال هجواني وقل قيامي وهذا السحر وأنا أستغفرك للذنبي استغفار من لا يجد لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً » ثم يخر ساجداً .

وروى البخاري والترمذى والنمسائي وإبن حنبل بألفاظ مختلفة : عن النبي (ص) أنه قال : « سيد الإستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهديك ووعديك ما أستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فآغفر لي إنه لا يغفر الذنب إلا أنت »^(١) .

وفي النموذج الأول يقول الإمام « هذا مقام من حسناته نعمة منك وشكراً

(١) مسند أحمد : ج ٤ ص ١٢٥ .

ضعيف وذنبه عظيم » وفي النموذج الثاني يقول الرسول (ص) « أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي » بمعنى أن النموذجين يحملان ذات الفكرة التي يحملها النموذج الأسبق .

﴿ فقلت آستغفرو ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾^(١)

(١) سورة نوح ، الآيات: (١٠ - ١٢) .

الفصل الرابع

ويتألف من مباحثين :

أولاً : وقت الإستغفار

ثانياً : مكان الإستغفار

المبحث الأول

وقت الاستغفار

ليس للإستغفار وقت محدد ، بل هو واجب فوري عند حصول المعصية أو اقتراف الذنب ، وإنه لمن الضرورة بمكان أن يبادر الإنسان إلى الإستغفار ، في أي وقت ، إذ أن الله سبحانه بكرمه وجوده فتح لعباده أبواب مغفرته ، ولم يغلقها لحظة واحدة إذ هو على المقربين عليه مقبل ، وبالاعطف عليهم عائد مفضل ، بل وأكثر من ذلك .

فهو بالغافلين عن ذكره رحيم رؤوف ، ويجدن لهم إلى بابه ودود عطوف وإنه لحرى بالعاقل أن يفتنم فرصة عمره ، ويكون شحيحاً عليه ، فلا يجعل ساعة تمر من عمره سدى ، وليلهجه ما آسماه بذكر الله سبحانه وليرطب فمه بالإستغفار .

كما ورد في الحديث الشريف: « رطبو أفواهكم يانا أنزلناه في ليلة القدر ، وبالاستغفار »^(١) .

إن اغتنام الفرص والشجاع على لحظات العمر التي تمر من السحاب ،

(١) البحاذ: ج ٩٠ ص ٢٨٠ باب الاستغفار وفضله وأنواعه .

والمبادرة إلى تطهير النفس من كل شائبة ، لا يعرف كل ذلك إلا الذين سكن نور الإيمان في قلوبهم ، وأنكشف لهم الغطاء ، ورأوا الآخرة بقلوبهم قبل عيونهم .

قال الرسول (ص) في وصيته لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: « يا أبا ذر كن على عمرك أشجع منك على در همك ودينارك »^(١) .

كم يكون الإنسان شحيحاً على ماله فلا نراه يبعثر أمواله هنا وهناك بلا فائدة ، في الطرقات والأزقة والنوادي والمجالس ، بل إذا فقد محفظة نقوده ربما تقوم قيمته ويختضر مراراً على فراش الندامة والحسرة . لكننا في نفس الوقت نراه يضيع ساعات عمره في النوادي والجلسات البطالة واللهو وما شابه ذلك .

وإذا ما أخذه النوم يوماً من الأيام وضاعت من عمره ساعات ساعات أو غلت عليه الشهوة وتصرمت من عمره شهور وشهور لا نراه يعبأ بشيء من ذلك وكأن شيئاً لم يكن .

نعم ينبغي للعقل أن يتحرى الأوقات المفضلة للإستغفار ، ويفرغ نفسه فيها للتذكر ذنبه ، وتمثيلها نصب عينيه ، والإستغفار منها .

فإذا قال الكريم للناس: من جاءني في حاجة في أي وقت قضيتها له خاصة إذا جاءني يوم الجمعة . فإن العقلاة يرون بأن عرض الحاجات عليه في أي يوم وإن كان يعود على طالب الحاجة بالنتيجة الحسنة إلا أن عرضها عليه يوم الجمعة أولى وأنسب . ذلك لأن تخصيص الكريم لذلك اليوم سيؤثر على حجم العطاء ونوعيته .

هذا عندما لا يسمح له بعرض حاجته إلا في يوم واحد من أيام الأسبوع أيًّا كان ذلك اليوم . أما إذا كان له الحرية في أن يسأل في كل الأيام ، وال الكريم يحب ذلك ويرضاه ، فإن عرض الحاجات في كل الأيام بما في ذلك يوم

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٠ باب في وصية رسول الله (ص) لأبي ذر (رض) .

الجمعة يكون أولى بلا شك ، وكذلك الإستغفار ، فالإنسان الذي لا يجد فرصة لتفريغ نفسه من مشاغل الدنيا وهمومها إلا يوماً واحداً كل أسبوع ، أو ساعة واحدة كل يوم ، فليختبر أفضل الأيام من الأسبوع وأفضل الساعات في اليوم . وإن أستطاع أن يستغفر الله كل يوم وكل ساعة فليفعل فهو الأفضل ، وإليك بعض الأوقات المفضلة للإستغفار:

١- عند السحر :

ووقت السحر: أي آخر الليل ، ولعله الثالث الأخير منه ، فلقد تعاضدت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة على تبيان عظمة هذا الوقت ، وعلى ضرورة الإستغفار فيه .

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الظَّلَامِ مَا يَهْجِعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١) .

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ، وَرَضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَبادِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا إِنَّا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبِنَا وَقُنْتا عذابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالْمُنْفَقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٢) .

ومما يدل على عظمة هذا الوقت أيضاً: أن نجاة لوط ومن آمن به من النومة الإلهية التي نزلت على قومه كانت في هذا الوقت .

قال تعالى: ﴿إِنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا لَوْطٌ نَجَّا هُنْ بِسُحْرٍ﴾^(٣) .

فالآلية الكريمة تعطينا درساً بلغاً . وكأنها تقول: إن نجاة آل لوط من عذابنا ونقمتنا كانت في وقت السحر وكذلك من أراد النجاة من عذابنا ونقمتنا

(١) سورة الذاريات الآيتين: (١٧ - ١٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات: (١٧ - ١٥) .

(٣) سورة القمر ، الآية: (٣٤) .

فليعرف لهذا الوقت قيمته ، وليستعرض ذنبه و يجعلها نصب عينيه ، ويكثر الإستغفار منها .

ولقد روي عن الإمام الباقي والإمام الصادق في تفسير هذه الآية :
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُبْحَهُ وَإِدْبَارُ النَّجُومِ﴾ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ عَبَارَةِ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾
وقت السحر ، والمراد من التسبيح في هذا الوقت صلاة الليل .

يقول آية الله الشهيد دستغيب : (إن الأذكار في السحر وصلاة الليل كانت في إبتداء البعثة النبوية واجبة على المسلمين لأهميتها ، ولكن فيما بعد ومن أجل التسهيل على المسلمين صارت من الموارد المستحبة ولكنها بقيت واجبة على رسول الله (ص) فقط ، وهذا ما أشارت إليه سورة المزمل) ^(١) .

وكان مما ناجى به الباري عز إسمه نبيه داود : « عليك بالإستغفار في دلنج الليل والأسحار .

يا داود: إذا جنَّ عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء وسبحني وأكثر من ذكري حتى أذكرك .

يا داود: إن المتقين لا ينامون لي لهم إلا بصلواتهم إليّ ، ولا يقطعون نهارهم إلا بذكرني يا داود: إنه من يصلني بالليل والناس نائم يريد بذلك وجهي فإني أمر ملائكتي أن يستغفروا له ، وتشتاق إليه جتي ويدعوه كل رطب وبابس »

وقال الرسول (ص): « إن العبد إذا تخلى بسيده في جوف الليل وناجاه أثبت الله النور في قلبه فإذا قال: يا رب! يا رب!

ناداه الجليل جل جلاله « لبيك عبدي ، سلني أعطك وتوكل علي أكفك » .

ثم يقول للملائكة « ملائكتي أنظروا عبدي ، فقد تخلى بي في جوف

(١) القيمة والقرآن ص ١٦٧ .

الليل المظلم ، والبطالون لا هون والغافلون نیام ، إشهدوا أني قد غفرت
له »^(١) .

وقال أيضاً: «إن في جنة عدن خيل بلق مسرحة بالساقوت والزبرجد ،
ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول يركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث
شاوروا .

فيناديهم أهل الجنة يا إخواننا ما أنصفتمونا

ثم يقولون: ربنا بماذا نال عبادك منك هذه الكرامة الجليلة دوننا ،

فيناديهم ملك من بطنان العرش: «إنهم كانوا يصومون بالليل وكتنم
تنامون ، كانوا يصومون وكتنم تأكلون وكانوا يتصدقون بمالهم لوجه الله تعالى
وأنتم تخلون ، وكانوا يذكرون الله كثيراً ولا يفترون ، وكانوا ي يكون من خشية
ربهم وهم مشفعون» .

وكان مما ناجي به الله سبحانه كليمه موسى بن عمران: «يا بن عمران
كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عنني
أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟

ها أنذا يا بن عمران مطلع على أحبابي ،

إذا جنهم الليل حولت أبصارهم في قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم ،
يختابونني عن المشاهده ويكلمونني عن الحضور .

يا بن عمران: هب لي من قلبك الخشوع ،
ومن بدنك الخضوع
ومن عينيك الدموع

ثم آدعني في ظلم الليل فإنك تجذبني قريباً مجيئاً»^(٢) .

(١) أمالی الصدوق: ص ٢٣٠ .

(٢) البحار: ج ١٣ ص ٣٣٠ باب مناجاة موسى وما أوحى إليه من الحكم .

ولقد أوحى الله إلى بعض الصديقين من أولئك فقال: «إن لي عباداً يحبونني وأحبهم ويستاقون إلي فأشتاق إليهم ويدركوني فأذكرهم فإذا أخذت طريقهم أحبتك وإن عدلت عنهم مقتك».

قال رب ما علامتهم؟

قال: «يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشقيق غنمه ، ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكرارها ،

فإذا جنّ الليل وآختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا اليّ أقدامهم وافتشروا اليّ وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوالي بانعامي .

في بين صريح وباك ، وبين متاؤه وشاك ، وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي ، ويسمعي ما يسألون من حبي ، أول ما أعطيهم ثلاثة: الأول أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرونعني كما أخبر عنهم ، والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ،

والثالث: أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه »؟ (١).

ولقد ورد في حديث شريف أن الله تعالى ينادي كل ليلة من أول الليل إلى آخره: «ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه ، ألا عبد مؤمن يتوب إلى قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ألا عبد مؤمن قد قترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسع عليه ، ألا عبد مؤمن سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه» (٢) .

(١) البخاري: ج ٦٧ ص ٢٦ باب حب الله تعالى .

(٢) الفقيه: ج ١ ص ٢٧١ باب في وجوب الجمعة وفضلها ومن وضعت عنه . . .

وفي حديث آخر: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزُلُ مَلَكًا إِلَى السَّمَاوَاتِ الْدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فِي
الثُّلُثِ الْأَخِيرِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ مِنْ أُولَى الظَّلَلِ»

فينادي «هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادي بذلك حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملوك السماء»^(١).

٢ - ليالي الجمع :

ليلة الجمعة تعتبر سيدة الليالي ، إلا إذا وقعت في إحدى الليالي مناسبة ترتفع بدرجتها فوق درجة ليلة الجمعة . كما لو صادفت ليلة القدر ليلة الثلاثاء مثلاً . غير أن ليلة الجمعة هي أفضل ليالي الأسبوع في الأصل ولقد ورد عن الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار روايات كثيرة تحت على الدعاء والإستغفار وتلاوة القرآن ، فيها بل وإحيائها من أولها إلى آخرها بالدعاء والإستغفار والإبتهاه .

قال الإمام أبو عبد الله الصادق : «من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيمة مع الشهداء ومن قرأ الطوسيين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكتفه ولم يصب في الدنيا بؤس أبداً وأعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوجه الله مائة زوجة من الحور العين ، ومن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة جمعة أحبه الله وأحبه إلى الناس أجمعين ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقرأ ولا فاقة ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء أمير المؤمنين»^(٢) .

(١) عيون الأخبار: ج ١ ص ١١٦ الباب ١١ ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد ح ٢١ .

(٢) ثواب الأعمال وعقابها: ص ١٣٦ و ١٣٨ باب ثواب من قرأ سورة الكهف وثواب من قرأ الطوسيين الثلاثة .

وقال أيضاً : « من قال في آخر سجدة من النافلة بعد المغرب ليلة الجمعة : « اللهم إني أسألك بوجهك الكريم وإسمك العظيم أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تغفر لي ذنبي العظيم » سبع مرات إنصرف وقد غفر له »^(١) .

وقال الرسول (ص) : « أكثروا من الصلوات في الليلة الغراء ، واليوم الأزهر ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة . فسئل إلى كم الكثير قال : إلى مائة وما زاد فهو أفضل^(٢) .

وروي عنه (ص) قوله : « إن الصلاة على محمد وآله في ليلة الجمعة تعادل ألف حسنة ، وتحمّي ألف سيئة ، وتترفع ألف درجة »^(٣) .

ففي ما مضى من الأحاديث ما يكفي لبيان عظمة ليلة الجمعة وفضلها ، لذا ينبغي لنا أن نغتنم فرصةها بالإستغفار خاصة وقت السحر .

فإذا كانت الليلة « جمعة » ، وكان الوقت « سحراً » فلقد تأزر وقتان فاضلان .

من هنا نكتشف السر في قول النبي الله يعقوب لأولاده كما ذكر القرآن : « سوف أستغفر لكم ربِّي إنه هو الغفور الرحيم »^(٤) .

حينما قالوا له : « يا أبانا استغفر لنا ذنبينا إننا كنا خاطئين »^(٥) .

فهل ساءلت نفسك لماذا قال « سوف » ؟ وإلى أي وقت آخر الإستغفار لأنباءه ؟

يقول الإمام الباقر : آخر يعقوب الإستغفار إلى سحر ليلة الجمعة .

(١) الوسائل : ج ٥ ص ٧٧ الباب ٤٦ من أبواب صلاة الجمعة وأدابها ح ١ .

(٢) كنز العمال : ج ١ ص ٤٨٨ خ ٢١٣٩ وص ٤٩٤ خ ٢١٨٠ .

(٣) مفاتيح الجنان : ص ١١٦ باب في أعمال ليلة الجمعة .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٩٨ .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ٩٧ .

نعم ليس من يعلم كمن لا يعلم . لقد اختار يعقوب النبي أفضل الأوقات وأثمنها ليطلب من الجليل حاجته وهي « أن يغفر لأولاده » .

وجاء في حديث شريف « ما في الحسنات حسنة أحب إلى الله تعالى من حسنة تعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، وما من الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة » .

فهل عرّفنا عملياً قيمة ليالي الجمع وأوقات السحر ؟

إن الشيء المخفي هو أننا نرى الآلوف المؤلفة إن لم نقل الملايين من المسلمين ممن يؤمنون بالله ربّاً وبحمداً (ص) نبياً وبالكمبة قبلة ، وبالآخرة معاداً . نراهم قد أضاعوا هذه الليالي أمام السينمات الشيطانية ، والشهوات الحيوانية ، والبسمرات الفارغة ، والمسلسلات الساقطة ، والمسرحيات الخليعة .

أصبحنا في زمان لا يكاد يخلو بيت فيه من تلفاز .

ولقد أصبح برنامج الكثير من شبابنا في ليالي الجمع أن يسهر كل واحد منهم أمام مسرحية ماجنة يتلقى من خلالها السموم وإن جاءت بلباس الطراف ، ويقلب ناظريه على تلك المؤسسات اللاتي بعن شرفهن وطهارتهن بحطام دنيا زائل فيزداد لهب شهوتها وتمتد ألسنة ذلك اللهب ، ولربما أحرقت ما حولها ووقع هذا الشاب في الحرام والعياذ بالله وبقى الشاب وتبقى الشابة أسيري مسرحية ساقطة صنعتها يد الإستعمار وإلى أن يمضي من الليل ثلاثة بل وقد يمضي أكثر من ذلك فلا يقى من الليل إلا صباة وهنا يتوجه الشاب وتتوجه الشابة كل إلى فراشه ليناما في أثمن وقت وهو « السحر » ويمتد نومهما إلى أن يقترب الزوال . غير عابثين بما فرض الله عليهم من صلاة الصبح وغيرها وما كان الله سبحانه قد قال ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَبًاً مُوْقَتًا ﴾^(١) وما كان الله سبحانه حرم السهر بلا ضرورة إذا كان ذلك السهر يؤدي بالتأكيد إلى

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٣ .

فوات وقت الفريضة فكيف إذا كان السهر على اقتراف المحرمات؟!! إننا نعصي الله سبحانه ولا نبالي ونضيع الواجبات ولا نندم وننتسب إلى الإسلام ولا نخجل ، ونبقى هكذا وأعظم من هكذا حتى تفاجئنا سهام المنية آخذة بأعناقنا إلى لحد مظلم ، وعندها ولات ساعة مندم .

٣- قبل النوم:

« كما تناسون تموتون وكما تستيقظون تبعثون » هكذا قال إمامنا أمير المؤمنين .

وقال لقمان الحكيم لابنه « يا بني إن تك في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وإن كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الإنبهاء ولن تستطيع ذلك ، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك ييد غيرك »^(١)

فالنوم هو الموت الأصغر فكما أن الإنسان يجب عليه أن يستغفر من ذنبه قبل الموت وأن يعد القرى^(٢) ليومه النازل به وأن يخرج من الدنيا طاهراً من كل دنس خلياً من كل ذنب كذلك عند النوم لأنه يذكره بالموت الحقيقي .

ولعلنا لمسنا أهمية الإستغفار قبل النوم من كلام الإمام أمير المؤمنين لذلك الأعرابي حيث قال له إذا أويت إلى فراشك فقل : « اللهم إني أستغفر لك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك . . . إلخ » وقد استعرضنا هذه القصة في الفصل السابق تحت عنوان « الإعتراف بعصيان الله سبحانه، بنعمه » .

وكأنما الإمام يريد أن يقول للأعرابي « إياك أن يدركك الموت وأنت لم تستغفر من ذنك ، فأنت عند النوم ستموت الموتة الصغرى فتهيأ لها بالإستغفار حتى يكون ذلك دافعاً لك للتهيؤ إلى الموتة الكبرى » .

(١) البحار: ج ١٣ ص ٤١٧ باب قصص لقمان وحكمه .

(٢) القرى: ما يعد للضيف .

٤- عند صياغ الديكة :

يعتبر الديك آية من آيات الله الواضحات ولقد عجبت لمن ينكر وجود خالقه وبارئه وهو يرى الديك وعجائب إبداعه فأنت تخطيء والديك لا يخطيء ، أنت تسهو وتغفل عن وقتك والديك لا يسهو ولا يغفل عن وقته . إنك لو وضعت إنساناً محصوراً في غرفة ظلماء لا يرى فيها شمساً ولا قمراً فإنه لا يعرف النهار من الليل ولا يميز أوقات الصلاة عن غيرها لكنك حينما تجعل الديك مكان هذا الإنسان فإنه بهدي الله سبحانه يهتدى إلى معرفة أوقات الصلاة ومعرفة النهار من الليل بل ومعرفة نصف الليل من ثلثه والفجر الكاذب من الصادق ولقد كان آباءنا الأقدمون يهتدون بصوت الديك إلى معرفة الأوقات .

وهل بقي عن الفجر ساعة أو ساعتان أو أكثر كل ذلك يعرفونه بصوت الديك . أليس كذلك ؟ إن صياغ الديك هو تسبيحه وصلاته ، وضربه بجناحيه رکوعه وسجوده .

كما دلت على ذلك الأحاديث الشريفة ، وإن فيه - أي في الديك - لعبرة من اعتبر ، « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »^(١) .

لقد ورد في وصايا لقمان لابنه : « يا بني لا يكون الديك أكيس منك يقوم في وقت السحر ويستغفر وأنت نائم »^(٢) .

وروي عن رسول الله (ص) : « إذا سمعتم صياغ الديكة فأسألووا الله من فضلها فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً »^(٣) .

(١) سورة ق ، الآية : ٣٧ .

(٢) مستدرك الوسائل : ج ٢ ص ٣٥١ الباب ٩٣ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه ح ٤ .

(٣) كنز العمال : ج ١٢ ص ٢٢٣ خ ٣٥٢٧٢ .

فقوله : «إذا سمعتم صياغ الديكة فأسأوا الله من فضله» دليل على أهمية هذا الوقت وفضيلة الإستغفار فيه .

وهل الإستغفار إلا سؤال الله من فضله؟ كما أن الديك لا يصبح إلا في أوقات اختارها الله إليه ، ولو لم تكن فاضلة لما اختارها الله وقتاً لذكره .

جاء في الحديث الشريف «لا يصبح الديك الذي في الأرض حتى يصبح الديك الذي في السماء» .

٥- قبل طلوع الشمس وقبل الغروب:

لقد اهتم القرآن بهذين الوقتين اهتماماً ملحوظاً حتى جاء الأمر السماوي بضرورة ذكر الله وتسبيحه والإنابة إليه فيهما فقال تعالى: ﴿ وسُبْحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غَرْبَتِهِ ﴾^(١) .

وقال تعالى: ﴿ وسُبْحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غَرْبَتِهِ ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيلِ فَسُبْحَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لِعَلَكَ تَرْضَى ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطْرِدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَةِ وَالْعَشِيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَآصِبْرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَةِ وَالْعَشِيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدِ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ... ﴾^(٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضْرِعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٥) .

(١) سورة ق ، الآية: (٣٩) .

(٢) سورة طه ، الآية: (١٣٠) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية: (٥٢) .

(٤) سورة الكهف ، الآية: (٢٨) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية: (٢٠٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ يسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَالَهُمْ بِالْغَدُوِ وَالْأَصَابِ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ فِي بَيْوَتٍ أَذْنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغَدُوِ وَالْأَصَابِ ، رِجَالٌ لَا تُلَهِّيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

إلى غير ذلك من الآيات .

والأصال: جمع أصل ، وأصل: جمع أصيل . فالأصال جمع الجمع
ومعنىه العشيّات كما ذكر صاحب المجمع .

الأصليل: هو وقت اصفار الشمس لغربها ، والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس . وتجتمع على (غدوات) وقال الليث: **الغُدوَّة**: جمع غداة مثل الغدوات .

والغدى جمع غدوة . والغدو: نقىض الرواح ، وقوله تعالى : ﴿ بالغدو
والآصال ﴾ أي الغدوات فعّبَر بالفعل عن وقت كما يقال: أتيتك طلوع الشمس
أي في وقت طلوع الشمس .

فقوله: «سبح بحمد ربك» و«أذكر ربك» صريح في ضرورة الإستغفار في هذا الوقت.

وَمَا الْإِسْتَغْفَارُ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَتَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ .

بِلْ إِنَّ الْإِسْتغْفَارَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ وَتَسْبِيحُهُ .

فـ (ذكر) مأْخوذ من مادة (ذَكَرَ) ومنه (تذكـر) ومن تذكـر فـواضـل الله عليه وـتذكـر في نفس الوقت عصيـانـه لربـه كانـ من الـلازم عـلـيـه إـنـ كانـ عـاـقاـلاـ أن يـبـادرـ إلى الإـسـتـغـفارـ ، بلـ إـنـ تـذـكـرـهـ لـذـنبـهـ ، وـتـذـكـرـهـ لـنـعـمـ اللهـ عـلـيـهـ وـتـأـلـمـهـ الدـاخـليـ لما اقـرـفـهـ بـدـاهـ منـ الذـنـوبـ هوـ عـيـنـ الإـسـتـغـفارـ .

(١) سورة الرعد ، الآية: (١٥) .

(٢) سورة النور، الآية: (٣٦ - ٣٧) :

ولقد أمر الرسول (ص) أبا ذر أن يهتم بهذين الوقتين وأن يتفرغ فيما للتوبه والإستغفار والذكر فقال (ص): « يا أبا ذر إن حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين » .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: « مَنْ آسْتَغْفِرَ اللَّهَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً غُفِرَ اللَّهُ لَهُ » (١) .

ولا أدرى لماذا أعرض أكثر الناس عن الذكر والإستغفار في هذين الوقتين مع ما ثبت من عظيم قدرهما .

هل يرضي هؤلاء أن يقال لهم إنهم أسراء أذلاء ، لا يملكون من الحياة حتى أنفسهم ؟ حيث أصبحت أزمة أمورهم بيد إبليس وجنته .

عن أبي جعفر قال: « إن إبليس عليه لعائن الله يبيث جنود الليل من حيث تغيب الشمس وتطلع فأكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين وتعوذوا بالله من شر إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنهما ساعتا غفلة » (٢)

٦- أوقات الصلوات:

حيث أنها أفضل الساعات ، والإستغفار في حال الصلاة يعني الإستغفار حال أحب عبادة إلى الله ورسوله .

قال الرسول (ص): « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَوَاتِكُمْ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالسَّرَّاحَةِ إِلَى عَبَادِهِ يَجِيئُهُمْ إِذَا نَاجَوهُ وَيَلِبِّيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ » (٣) .

(١) البخار: ج ٨٣ ص ١٣٤ باب التعقب المختص بصلاة الفجر ح ١٥

(٢) الفقيه: ج ١ ص ٣١٨ باب كراهة النوم بعد الغداة .

(٣) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٦٥ الباب ٢٨ ح ٥٣ .

ولا شك أن الإستغفار داخل في الدعاء .

ثم يقول (ص) : «أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ، ففكوها بآسفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله تعالى ذكره أقسم بعزته أن لا يذنب المصليين والمساجدين ، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين »^(١) .

٧- في ركعة الوتر :

الوتر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد قوله (ص): «إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن» أي إذا صلیتم بالليل مثنتي مثنتي فأجعلوا آخر صلاتكم ركعة واحدة مفردة بتشهدها وسلامها .

وصلة الليل إحدى عشر ركعة ثمان منها نافلة الليل ، وركعتنا الشفعي ورکعة الوتر ، ويقول الإنسان في قنواتها (هذا مقام العاذز بك من النار) سبعاً ويستغفر لأربعين مؤمناً يذكرهم باسمائهم ، ويستغفر الله سبعين مرة ويقول (العفو . . . العفو . . . العفو . . .) ثلاثمائة مرة .

ولقد ورد عن أبي عبد الله أنه قال: «من قال في وتره إذا أوتر استغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة وهو قائم فواذهب على ذلك حتى مضى له سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأحسان ، ووجبت له المغفرة من الله عز وجل » .

والأخبار في هذه الجانب كثيرة يكفينا منها هذا الحديث للدلالة على أهمية الإستغفار في ركعة الوتر .

٨- عند الإفاضة من عرفات والمشعر الحرام:

إذا غربت الشمس من يوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام ، تزدلف الحجيج إلى ذلك المكان الذي تواضع الله فرفعه وهو المشعر الحرام ويبيت الحجاج ليلة العاشر هناك ، ويعقدون نية الوقوف بالمشعر من طلوع الفجر إلى

(١) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٦٦ الباب ٢٨ ح ٥٣ .

طلوع الشمس ، ثم يفيضون إلى مني .

فمن الضروري جداً اغتنام الفرصة والمبادرة إلى الإستغفار من الذنوب عند الإفاضة من المشعرين ، وقبل ذلك وبعده فالذي لا يستغفر ربه في هذا الوقت ، متى يحالقه التوفيق ليستغفر ربه إذن ؟

قال تعالى : ﴿ إِذَا أَفْضَتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمْنَ الظَّالِمِينَ ، ثُمَّ أَنْيَسْتُمْ مِّنْ حِلْيَتِكُمْ أَفَأَنْسَنَ النَّاسَ وَآسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(١) .

٩- عند حدوث الآية :

ونعني بالآية : كسوف الشمس أو خسوف القمر أو الزلزلة بل وأيضاً الريح السوداء أو الحمراء أو الصفراء أو الظلمة الشديدة أو الصاعقة ، أو الصيحة ، أو الهدأة ، أو الخسف ، أو غير ذلك من الآيات المخوفة غالباً .

فححدث الآية ربما كان إنذاراً لنزل العذاب أو لحدث البلاء ، وحيث أن الله سبحانه عدل لا يجور فإن العذاب سيكون نتيجة الذنوب والمعاصي .

لذا يكون لزاماً على العقلاة أن يبادروا إلى الإستغفار والبكاء والتصرع إلى الله حتى يرفع الله عنهم العذاب والبلاء تماماً كما فعل قوم يونس لما رأوا الآية ، خرجوا من فورهم نادمين مستغفرين متضرعين ، فكشف الله عنهم العذاب وحوّله إلى الجبال المحيطة بهم فذابت تلك الجبال من شدة حرارة ذلك العذاب كما دلت على ذلك الروايات .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنْفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسٌ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْحُزْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾^(٢) .

ومن جانب آخر يحدثنا القرآن عن آل فرعون فلقد جاءتهم آيات بينات

(١) سورة البقرة ، الآيتين : (١٩٨ ، ١٩٩).

(٢) سورة يونس ، الآية : (٩٨) .

تذرهم بوقع العذاب والنقمـة عليهم إذا لم يعودوا إلى الله ويؤمنوا به ويستغفروه لكنهم لم يرعوا ، بل أصرـوا على ذنوبـهم فكان عـاقبة أمرـهم أن أغـرقـهم الله في الـيـم ، وأصـبحـوا أحـادـيث كـأنـ لم يكونـوا من قـبـل .

وأنـظر إلى الصـورـة الرـائـعة التي يـصـورـها لـنا القرآن بـأـسـلـوب يـسـحرـ الأـلـباب وـيـهـزـ المـشـاعـر وـيـوـقـظـ الضـمـائـر ، دـعـونـا نـتـمـشـي في رـحـابـ القرآن لـنـرى ذـلـك جـمـيعـاً : ﴿ فـأـرـسـلـنـا عـلـيـهـمـ الطـوفـانـ وـالـجـرـادـ وـالـقـمـلـ وـالـضـفـادـ وـالـدـمـ آـيـاتـ مـفـصـلـاتـ فـأـسـتـكـبـرـوا وـكـانـوا قـوـماً مـجـرـمـينـ ، وـلـمـ وـقـعـ عـلـيـهـمـ الرـجـزـ قـالـوا يـا مـوسـى آـدـعـ لـنـا رـبـكـ بـمـا عـهـدـ عـنـكـ لـئـنـ كـشـفـتـ عـنـا الرـجـزـ لـنـؤـمـنـ لـكـ وـلـنـرـسـلـنـ مـعـكـ بـنـي إـسـرـائـيلـ ، فـلـمـ كـشـفـنـا عـنـهـمـ الرـجـزـ إـلـى أـجـلـ هـمـ بـالـغـوـهـ إـذـا هـمـ يـنـكـثـونـ ، فـأـنـقـمـنـا مـنـهـمـ فـأـغـرـقـنـاهـمـ فـي الـيـمـ بـأـنـهـمـ كـذـبـوا بـآـيـاتـنا وـكـانـوا عـنـهـا غـافـلـينـ ﴾^(١) .

وهـكـذا اـقـضـتـ حـكـمـةـ الرـؤـوفـ الرـحـيمـ أـنـ لا يـسـلـطـ العـذـابـ وـالـنـقـمـةـ عـلـىـ النـاسـ وـهـمـ غـافـلـونـ ، بـلـ لـاـ بـدـ مـنـ إـنـذـارـهـمـ وـابـلـائـهـمـ بـعـضـ الـبـلـاـيـاـ الـبـسيـطةـ لـتـكـونـ وـسـيـلـةـ إـيقـاظـ وـتـنبـيـهـ لـهـمـ . ﴿ ذـلـكـ أـنـ لـمـ يـكـنـ رـبـكـ مـهـلـكـ الـقـرـىـ بـةـ وـأـهـلـهـاـ غـافـلـونـ ﴾^(٢) .

١٠- عند نـزـولـ الغـيـثـ :

وـذـلـكـ لـوـرـودـ النـصـ فـيـ الـحـدـيـثـ : « تـهـبـطـ الرـحـمـةـ فـيـ أـرـبـعـةـ مـوـاضـعـ حـيـنـمـا يـنـظـرـ الـابـنـ إـلـىـ وـجـهـيـ وـالـدـيـهـ نـظـرـ رـأـفـةـ وـرـحـمـةـ ، وـحـيـنـمـا يـتـمـ التـزـوـيجـ وـحـيـنـمـا يـفـتـحـ بـابـ الـكـعـبـةـ وـحـيـنـمـا يـنـزـلـ المـطـرـ »

وـهـذـاـ الـحـدـيـثـ يـشـمـلـ بـعـضـ الـأـوـقـاتـ الـأـخـرـىـ الـمـفـضـلـةـ الـتـيـ لـاـ أـرـىـ دـاعـيـاـ لـأـنـ أـفـرـدـ لـهـاـ عـنـاوـيـنـ خـاصـةـ .

وـفـيـ حـدـيـثـ عـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ : « إـغـتـمـمـوـ الدـعـاءـ عـنـ أـرـبـعـ عـ. قـسـرـ »

(١) سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ ، الـآـيـاتـ (١٣٦ـ ١٣٣) .

(٢) سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ ، الـآـيـةـ (١٣١) .

القرآن ، وعند الأذان وعند نزول الغيث وعند التقاء الصفين للشهادة »^(١) .
ولا ريب أن الإستغفار (دعاة) لأنه طلب المغفرة والستر .

وعنه أيضاً: « تفتح أبواب السماء في خمسة مواقت: عند نزول الغيث ،
وعند الزحف ، وعند الأذان ، وعند قراءة القرآن ، ومع زوال الشمس وعند
طلوع الفجر »^(٢) .

١١- ليالي وأيام رمضان المبارك:

لا كلام في أن شهر رمضان المبارك هو أفضل الأيام وللياليه أفضل الليالي
و ساعاته أفضل الساعات ، كما لا شك في أنه شهر المغفرة وشهر الإنابة وأن
الناس مدحّرون فيه إلى ضيافة الله .

أنفاسهم فيه تسبيح ونومهم فيه عبادة وعملهم فيه مقبول ودعاؤهم فيه
مستجاب ، وأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وأن الشقي من حرم
غفران الله فيه .

فإذا تقرر ذلك يكون شهر رمضان هو أثمن فرصة وفّرها الرؤوف الرحيم
لمن أراد أن يذكر من عباده أو أراد شكوراً .

وإن أنفسنا المقيدة بالذنوب والمعاصي لا سبيل لخلاصها إلا بالإستغفار
لذا قال رسول الله (ص) في سياق خطبته التي أشار فيها إلى شهر رمضان وما
يجب على الناس فيه : « أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها
باسْتغفاركم »^(٣) .

فهل يعي أبناءنا وشبابنا ونساؤنا قيمة تلك الليالي والأيام التي تفتح فيها

(١) البحار: ج ٩٠ ص ٣٤٣ باب الأوقات والحالات التي يرجى فيها الإجابة وعلامات الإجابة ح ١ .

(٢) البحار: ج ٩٠ ص ٣٤٤ باب الأوقات وال الحالات التي يرجى فيها الإجابة وعلامات الإجابة ح ٤ .

(٣) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٦٦ باب ٢٨ ح ٥٣ .

أبواب السماء بالرحمة والمعفورة ، أم يضيئونها في السهرات الفارغة ومشاهدة الأفلام والمسلسلات المحرمة بحججة الترفية عن النفس ، كأنما يمنون على الله صومهم .

فهم يطيعونه نهاراً ويعصونه ليلاً ناسين أو متناسين أن فعل المعصية في شهر رمضان يكون أشد حرمة من فعلها في غيره من الشهور ، كما أن الطاعة فيه أفضل من الطاعة في غيره من الشهور .

فأين شبابنا ؟ وأين شاباتنا ؟ الذين نصبوا الإستغفار شراكه لهم ليصطادهم في الماء العكر . حتى رأينا أكثرهم لا قدرة له على ترك متابعة حلقة واحدة من حلقات مسلسل فيه ما فيه من الفساد فترى المصلي الصائم يتبع ذلك وبإصرار وعلم بحرمة ما يفعله غالباً تاركاً وراء ظهره كتاب الله المحكم وكأنه لم يقرأ فيه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم إن الله خبير بما يصنعون »^(١) .

وتراه يبرر ذلك ليجد له منفذأً شرعاً فتارة يقول : أنا أنظر بدون ريبة وبدون شهوة ، وتارة يقول : أنا أنظر بهدف معرفة القصة فقط إلى غير ذلك من الأذار .

مع أنه على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، ولقد علم خواء تبريره وهزال عذرها ، حتى صار من الحكمة بمكان الإعراض عن هذه السفاسف وعن التعرض لها برد إذ هي دون مرتبة الرد .

والأعجب من ذلك أنه يجيئ بذلك لنفسه ولا يجيئه لغيره . فلو قلت له هل تسمح لابنك وزوجتك أن تخرجا إلى المسرح وتلبسا ثياباً رقيقة وتضعوا الماكياج وتظهرا في كل تلفاز لتراهما كل عين .

أكنت ترضى ذلك وإن لم يكن بشهوة أو ريبة أو كان بهدف القصة كما زعمت ؟

(١) سورة النور ، الآية : (٣٠) .

فإنك حينئذ ربما تعرضت لسبابه وشتمه قبل سماحك رفضه ، بل ولربما اتهمك بانتقاص عرضه ، هذا إذا لم يتناول ما أمامه ليصفعك به ! وهكذا ثبت الإستغفار ثقافته في صدور المسلمين الصائمين المصلين وأصبحت أفكاره وسمومه زاداً لا يستغنى عنه كل يوم . إن لم أقل كل ساعة ، ومن هنا وبعد كل ذلك عليك أن تجعل ضميرك حاكماً ولما أنت عازم على فعله شاهداً .

الإستغفار قبل الموت :

هل سمعت بإيمان فرعون ؟ وهل أنجاه إيمانه من الغرق ؟

أم هل أنقذه ذلك الإيمان من لهب النيران ؟

لو تأملنا كتاب الله المحكم لرأينا أن إيمان فرعون يعتبر وزراً آخر فوق وزره ، حيث جاءه الرد الصارم : « الآن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك بيذنك لتكون لمن خلفك آية . . . » (١) .

و دلت الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة ، أن فرعون لما قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ، تناول جبرائيل حفته من الطين وألقها في فمه بأمر الله سبحانه .

كل ذلك لأن الإيمان بعد رؤية علامات الموت لا قيمة له قال تعالى : « فلما رأوا بأنسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأنسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » (٢) .

فكما أن الإيمان لا ينفع بعد رؤية علامات الموت فكذلك الإستغفار من الذنوب قال تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها . . . » (٣) .

(١) سورة يونس ، الآيتين : (٩٢ - ٩١) .

(٢) سورة غافر ، الآيتين : (٨٤ - ٨٥) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : (٩٩) .

هذا من جانب ومن جانب آخر لا يعرف الإنسان متى يوافيء الحمام .

« فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له » إذ ربما يبيت فلا يصبح وربما يصبح فلا يمسي . « فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومتضرر غداً لا يبلغه » فيإدراك هذين الأمرين وهما :

أ) الإستغفار من الذنب لا ينفع بعد رؤية علامات الموت .

ب) كل لحظة تمر من عمر الإنسان مرشحة لأن تكون نهايته فيها .

فيإدراكهما بعين البصيرة تكون كل لحظة من لحظات عمر الإنسان وقتاً للإستغفار ووقتاً لمحاسبة النفس والتکفير عن الخطايا قال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذکرى للذاكرين »^(١) .

وبالتالي تكون هذه النقطة شاملة لكل النقاط المذكورة وغير المذكورة والتي لا يسع المجال لأن نقصاها إذ ليس الهدف حصرها .

كالإستغفار حال الصوم والتعقيب وما بين الأذانين وما بين نزول الإمام من المنبر يوم الجمعة إلى أن تقام الصلاة ، وعند الرقة والدموع ، والغربة والإضطرار ، وهبوب الرياح وألتقاء الصفين ، وعند سقوط أول قطرة من دم الشهيد إلى غير ذلك من الأوقات التي يتتأكد فيها الاستغفار .

(١) سورة هود ، الآية : (١١٤) .

المبحث الثاني

مكان الإستغفار

كما أن الإستغفار مطلوب في كل وقت ، فكذلك مطلوب في كل مكان ، وعلى كل حال ، غير أن هناك أماكن يكون الإستغفار فيها أقرب إلى تحقيق نتائجه ، وإعطاء ثماره نظراً لكون القلب أقرب إلى الصفاء فيها من غيرها ، ومن تلك الأماكن على سبيل المثال لا الحصر:

١- الخلوات :

لو نظرنا إلى سيرة المصطفى (ص) وسيرة أهل بيته الطاهرين لرأينا أن اهتمامهم بالإستغفار والتنفل والذكر في الخلوات أمر لا يختلف فيه اثنان .

فليقـد كان الرسول (ص) يذهب إلى غار حراء طوال شهر رمضان من كل سنة ويقيم فيه مكتفياً بالقليل من الزاد ، معـنا في التأمل والعبادة بعيداً عن صخب الناس وضجيج الحياة ، فإذا انقضـى شهر رمضان عاد إلى خديجة وبـه من أثر التفكير ما يشكـكـها في عـافـيـته وسلامـة بـدنـه ، وكـذـلـكـ كانت سـيـرةـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ، فـلـقـدـ كانـ يـذهـبـ إـلـىـ حـدـيـقـةـ بـنـيـ النـجـارـ ، وـيـخـلـوـ بـرـبـهـ قـائـمـاـ قـاعـداـ وـرـاكـعاـ سـاجـداـ ، يـقـلـبـ طـرـفـهـ فـيـ السـمـاءـ مـتـأـمـلاـ عـظـمـةـ الـكـونـ ، مـتـفـكـراـ فـيـ خـلـقـ السـمـاـواـتـ وـالـأـرـضـ مـرـدـداـ: ﴿رـبـنـاـ مـاـ خـلـقـ هـذـاـ باـطـلـاـ سـبـحـانـكـ فـقـنـاـ عـذـابـ﴾

النار ^(١).

تفيض من عينيه الدموع ، وتقشعر منه الجوارح .

يقول أبو الدرداء : « شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات ^(٢) النجار ، وقد آعزل عن مواليه ، وأختفى ممن يليه واستر بمغيلات ^(٣) النخل ، فافتقدته وبعده عن مكانه .

فقلت لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي

وهو يقول : « إلهي كم من موبيقة حلمت عن مقابلتها بنقائك ، وكم من جريدة تكررت عن كشفها بكرمك ،

إلهي إن طال في عصيائلك عمرى وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك » .

فشغلني الصوت وأقفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب بعينه فاستررت له وأحملت الحركة فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجي به الله :

« إلهي أفك في عفوك فتهون علي خططيتي ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي . . .

آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه ، فيما له من مأخذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته يرحمه الملا إدا أذن فيه بالنداء . . . ثم قال . . .

آه من نار تنضح الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهميات لطى »

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٩١) .

(٢) بشويحطات : أي بالأشجار .

(٣) أغالت الأشجار : أي عظمت وألتفت واتسع ظلها فهي مُغيل .

ثم انغممت في البكاء فلم أسمع له حسماً ولا حرقة .

فقلت غلب عليه النوم لطول السهر أوقظه لصلاة الفجر .

فأأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة . حركته فلم يتحرك ، وزوينته فلم يتزرو

فقلت : « إنما الله وإنما إليه راجعون » مات والله علي بن أبي طالب .

فأأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم

فقالت فاطمة الزهراء : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه وقصته ؟

فأخبرتها الخبر

فقالت : هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذني من خشية الله .

ثم أتوه بما فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلى وأنا أبكي

فقال : مم بكاؤك ؟

فقلت : مما أراه تنزله بنفسك

فقال : يا أبا الدرداء فكيف رأيتني وقد دُعي بي إلى الحساب

وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ
فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الأحياء ورحمني أهل الدنيا لكنك
أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه خافية » .

نعم . . . هكذا كان أخو المصطفى وأبن عمه وزوج بضعيته ، يذوب
في عبادة الله في الخلوات . . . وهكذا كانت سيرة الأنتمة المعصومين من
بعده .

ولقد سار على نهج أهل البيت الكثير من العلماء والفضلاء حتى لقد كان
بعضهم يحفر في بيته قبراً في أحد أطرافه ويشق في وسط القبر لحداً وكان يذهب
إليه كل ليلة إذا نامت العيون . وهدأت الأصوات ويتمدد في ذلك اللحد ويقول
باكيًّا مضطرباً .

﴿رَبِّ إِرْجَعُونَ لَعَلِيٍّ أَعْمَلَ صَالِحًا فِيمَا تَرَكَتْ﴾^(١)

ثم يجيب نفسه « كلا . . كلا . . ويزداد بكاؤه . . . » وهكذا يبقى حتى يقترب الفجر ثم يقول كالمخاطب نفسه: « الآن أرجعناك فانظر ماذا أنت صانع ». .

ولا شك أن الإعتزال عن الناس والخلوة بالله لمدة ساعة واحدة في اليوم والليلة على الأقل أمر راجح من حيث أن العزلة تعطي الإنسان القدرة على التفكير في النفس والكون والأمم الماضية وإعادة النظر فيما أعده ليوم الشور .

جاء في الحديث الشريف: « لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكير ودليل التكفر الصمت »^(٢) .

كما أن العزلة تجعل القلب منتباً ليعيد النظر في قيادة جوارح الإنسان إلى الصراط السوي .

جاء في الحديث القدسي: « يا عيسى ذلّل لي قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات ». .

٢- عند الحطيم :

الحطيم: ما بين الحجر الأسعد وباب الكعبة ، وسمى الحطيم حطيماً لأن الذنوب العظام تتحطم فيه بالاستغفار كما أشارت إلى ذلك الأحاديث الشريفة .

ولقد ورد في فضله أن الحسن بن الجهم قال :

« سألت أبا الحسن الرضا عن أفضل موضع في المسجد يصلى فيه .

قال: الحطيم ما بين الحجر وباب البيت ، قلت: والذي يلي ذلك في

(١) سورة المؤمنون ، الآيتين (٩٩ - ١٠٠).

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٦ كتاب العقل والجهل .

الفضل ؟

فذكر أنه عند مقام إبراهيم

قلت ثم الذي يليه في الفضل ؟

قال : في الحجر

قلت : ثم الذي يلي ذلك ؟

قال : كل ما دنا من البيت «^(١)» .

وعن أبي بلال المكي

قال : «رأيت أبا عبد الله طاف بالبيت ثم صلى فيما بين الباب والحجر الأسود ركعتين فقلت له ما رأيت أحداً منكم صلى في هذا الموضع .

فقال : هذا المكان الذي تيب على آدم فيه »^(٢) .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أحاديث تدل على أفضلية مقام إبراهيم على الحطيم . . . غير أن الهدف من ذكر الحديث السابق هو تبيان فضل الحطيم في الجملة . كما أنه ربما يمكن الجمع بين الحديدين من وجهه .

٣- عند الملتم :

المسجد الحرام له فضل خاص وميزة تجعله مهياً روحيًا للاعتماد
والعبادة والإستغفار .

فلقد ورد في الحديث الشريف : « إن الصلاة في البيت الحرام تعادل مائة ألف صلاة في غيره من الأماكن » .

غير أن في البيت الحرام نفسه أماكن يزيد فضلها عن الأماكن الأخرى .

ومن تلك الأماكن (الملتم) بضم الميم وسكون اللام وفتح الناء والراء

(١) الوسائل : ج ٣ ص ٥٣٨ الباب ٥٣ من أبواب أحكام المساجد ح ٣ .

(٢) الوسائل : ج ٣ ص ٥٣٨ الباب ٥٣ من أبواب أحكام المساجد ح ٣ .

وهو المسمى بالمستجار وسمي بالملتزم لأن الناس يتزمهونه ويعتقدونه بصدورهم وأيديهم .

وحول ارتباط هذا المكان بالإستغفار ، ورد في الروايات: أن رسول الله (ص) كان يلتصق بطنه وصدره ووجهه بالملتزم في الشوط السابع من طوافه ويكثر من الإستغفار هناك .

وورد أيضاً:

« أنه لما طاف آدم (عليه السلام) بالبيت وانتهى إلى الملتم
قال جبرئيل: يا آدم أقر لربك بذنبك في هذا المكان فوقف آدم
فقال يا رب إن لكل عامل أجراً وقد عملت بما أجري ؟
فأوحى الله إليه «يا آدم من جاء من ولدك إلى هذا المكان وأقر بذنبه
وتاب كما تبت ثم استغفر غفرت له » .

فالحطيم والملتزم شأنهما عظيم عند الله من عدة وجوه فهما عظيمان في
نفسهما لكونهما في المسجد الحرام وعظيمان لكون المسجد الحرام في مكة
المكرمة وفضل مكة غني عن الإيضاح حيث أن فضلها لا يحجبه حجاب .

٤- عرفات:

إن للزمان ارتباطاً وثيقاً بالمكان في كثير من الأمور العبادية ومن تلك
الأمور مسألة الإستغفار في عرفات :

فالإستغفار في عرفات في سائر الليالي والأيام يختلف عنه في يوم التاسع
من شهر ذي الحجة الحرام خاصة حال وقوف الحاج .

فما أعظم ذلك اليوم وما أعظم ذلك المكان . فمن ذا الذي استغفر ربه
من ذنبه هناك صادقاً في استغفاره فلم تغفر له ذنبه ؟

إن كرم المولى عز شأنه على عباده لا يدركه الأثثرون من الناس .

إن الأخبار الصادقة عن الرسول (ص) وأهل بيته لتكشف هذه الحقيقة

وهي أن من استغفر ربه في عرفات محققاً شروط الإستغفار ، ثم ظن أن الله لم يغفر له ذنبه فقد أساء ظنه بربه بل وبظنه هذا يكون قد ارتكب وزراً عظيماً .

فلقد سأله الإمام الصادق قائلاً: «من أعظم الناس وزراً؟

فقال: من وقف بهذه الموقعين عرفة ومزدلفة وسعى بين هذين الجبلين ثم طاف بهذا البيت وصلى خلف مقام إبراهيم ثم قال في نفسه ، أو ظن أن الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً .

ثم هل الإستغفار إلا طلب الستر من المولى عز شأنه ومحو الذنوب والخطايا؟

وهل الطلب إلا سؤال؟ وهل عاقل يسأل أحداً غير الله في ذلك اليوم؟
جاء في الروايات أن الإمام علي بن الحسين سمع يوم عرفة سائلاً يسأل الناس

فقال له: «ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟

إنه ليرجى لما في بطون العبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً»^(١)

ثم إن من أشرق شعاع البصيرة في قلبه لا يسأل الله شيئاً زائلاً ويمسك كالذين يسألون الله وقتذاك كثرة المال وطول العمر والنجاح والشفاء وما شابه ذلك ولا يسألون الله شيئاً من الأمور كالجواز على الصراط وتحفيض الحساب والجننة وكذلك ما يرتبط بعالم البرزخ من دفع ضيق القبر ووحشته وعداته وذله إلى غير ذلك .

قيل لعلي بن الحسين: «لو ركبت إلى الوليد بن عبد الملك وكان بمكة والوليد بها لقضى لك بعض حاجتك . فقال: ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عز وجل إني لأنف أن أسأل الدنيا خالقها فكيف أسأله مخلوقاً مثلـي»^(٢) .

(١) الوسائل: ج ١٠ ص ٢٨ الباب ٢١ من أبواب إحرام الحج والعقوف بعرفة ح ١ .

(٢) الوسائل: ج ١٠ ص ٢٩ الباب ٢١ من أبواب إحرام الحج والعقوف بعرفة ح ٣ .

نعم إنه زين العابدين وسيد الساجدين الذي يأنف أن يسأل الله الدنيا في ذلك اليوم . إذ ما قيمة الدنيا عند الإمام ؟ إنها لا تساوي عنده عفطة عنز .

نعم يجدر بالعاقل أن يغتنم الفرصة ويسأله المغفرة والخروج من الذنوب وتبعات الناس فإنه بين يدي رحيم كريم فما أثمنه من يوم وما أعظمه من موقف !

جاء في حديث شريف : « إن من الذنوب ما لا يكفره إلا الوقوف بعرفة » .

وفي حديث آخر : « إن الحاج إذا دخل مكة وكل الله به ملokin يحفظان عليه طوافه وصلواته وسعيه فإذا وقف بعرفة ضربا منكباه الأيمن ثم قالا : أما ما مضى فقد كفيته فانظر كيف تكون فيما تستقبل »^(١) .

من هنا ينبغي الحرص على شد الرحال إلى بيت الله الحرام وإلى تلك المشاعر المقدسة في كل عام كلما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً .

يقول أمير المؤمنين في وصيته لولديه الحسن والحسين : « الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تُناظروا »^(٢) .

وإن تعجب فعجب فعل الكثير من الناس حيث عزفوا عن الحج عزوفاً فلم يؤدوا حتى الفريضة التي كتبها الله عليهم متذرعين بأعذار هي أوهن من بيت العنكبوت « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت »^(٣) .

فالبعض يسوفه ظاناً أن الحج واجب موسّع يبدأ أنه واجب فوري يجب في سنة الإستطاعة . وإذا أخره الإنسان مع قدرته عليه ثم انعدمت الإستطاعة استقر في ذمته .

فتسويف الحج بلا مبرر شرعي في الأصل حرام شرعاً بل ذكر الفقهاء أنه

(١) الوسائل : ج ٨ ص ٧٢ الباب ٣٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه ح ٣٢ .

(٢) تحف العقول : ص ١٤٠ باب في وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٤١ .

من الكبار يقول المحقق الحلبي في الشرائع إن تأخير الحج عن عام الإستطاعة ذنب كبير مهلك .

والآن . . . لنكشف الغطاء قليلاً عن واقع الأمر لنرى حقيقة هؤلاء المسؤولين والتاركين للحج . نعم إننا لو تدبرنا الأمر لرأينا أن سبب تسويفهم للحج وعزوفهم عنه هو الذنوب وما أدرك ما الذنوب ؟

إنها تهتك العصم ، وتسلب التوفيق ، وتحجب عن الطاعة .

ولكي تستوعب عزيزي القاريء ما أقول تدبر هذه القصة القصيرة .

روى سماحة عن الإمام الصادق « قال: مالك لا تحج في العام ؟

فقلت: معاملة كانت بيني وبين قوم ، واشتغال وعسى أن يكون ذلك خيرة .

فقال الإمام : لا والله ما فعل الله لك في ذلك من خيرة !

ثم قال: ما حبس عبد عن هذا البيت إلا بذنب وما يغفر أكثر »^(١) .

٥. المشعر الحرام ومني :

ومن الأماكن التي أعلى الله شأنها وجعل الإستغفار فيها حطةً للذنوب (المشعر الحرام) و (مني) .

فقد نطق القرآن بأهمية الإستغفار في هاتين البقعتين وأكده عليه أيضاً قال تعالى : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وأذكروه كما هداكم وإن كتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفض الناس وأستغفروا الله إن الله غفور رحيم . فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله ذكركم آباءكم أو أشد ذكرأ .. »^(٢) الآية .

فقد ركزت هذه الآيات تركيزاً كبيراً على أهمية الذكر والإستغفار عند

(١) الكافي : ج ٤ ص ٢٧٠ باب أنه ليس في ترك الحج خيرة وإن حبس عنه فيذنب .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : (١٩٨ - ٢٠٠) .

المشعر الحرام وعند الإفاضة منه وفي منى .

وتجدر الإشارة إلى أن من البقاع الفاضلة في منى مسجد الخيف وأفضل أماكنه مصلى رسول الله (ص) وهو من المنارة إلى ما يقارب ثلاثين ذراعاً من جهة القبلة وعن يمينها ويسارها وخلفها .

ولا شك في أن الزمان مرتبط هنا بالمكان . وبالتالي ينبغي للحجاج أن لا يشغل بسفاسف الأمور وتواقه الدنيا ، والركض خلف سبل الراحة عن ذكر الله ، وتمثيل ذنبه بين يديه والإستغفار منها .

وليعلم بأنه في أفضل المشاعر العظام التي ورد في شأنها من الفضل الشيء الكثير .

فقد ورد في شأن المشعر الحرام عن الحلبـي عن الإمام الصادق أنه قال : « ولا تجاوز الحياض ليلة المزدلفة إلى أن قال . . وإن استطعت أن تحـيـي تلك الليلة فـأـفـعـلـ فإـنـهـ بـلـغـنـاـ أـبـوـابـ السـمـاءـ لـاـ تـغلـقـ تلكـ اللـيـلـةـ لـأـصـوـاتـ الـمـؤـمـنـينـ . لهم دوي النحل يقول الله جل ثناؤه : أنا ربكم وأنتم عبادي أديتم حق وحق عليّ أن أستجيب لكم فيحط تلك الليلة عنمن أراد أن يحط عنه ذنبه ، ويغفر لمن أراد أن يغفر له »^(١) .

وفيما يتعلق (بمنى) ما جاء في الحديث الشريف : « إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد من قبل الله تعالى : « إذا أردتم أن أرضي فقد رضيت »^(٢) .

وفي حديث آخر : « إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد : لو تعلمون بفناء من حللتكم لاستيقتن بالمعفـرةـ »^(٣) .

ولا يخفى علينا أن المشعر الحرام ومنى داخلان في الحرم وعرفات

(١) الوسائل : ج ١٠ ص ٤٤ ، الباب ١٠ من أبواب الوقوف بالشعر ، ح ١ .

(٢) الوسائل : ج ٨ ، ص ٦٨ ، الباب ٣٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه ، ح ١٣ .

(٣) الوسائل : ج ٨ ، ص ٦٥ ، الباب ١٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه ، ح ٤ .

خارجية عنه لذلك فإن لكل منهما ميزة تميزه عن عرفات وإن كانت عرفات عظيمة
الشأن جليلة القدر .

٦- عند اسطوانة أبي لبابة :

أبو لبابة هو (بشير بن عبد المنذر) الذي تخلف عن جيش المسلمين في
غزوة تبوك ، وهي الغزوة التي سار فيها النبي (ص) بنفسه وخلف ابن عمه علياً
أميراً على المدينة وقال فيه قوله المشهور : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى »
كما ذكر ذلك الإمام البخاري في صحيحه في الجزء السادس تحت عنوان باب
غزوة تبوك . فنثم أبو لبابة على تخلفه وربط نفسه في إحدى سورى المسجد
النبي وحلف يميناً أن لا يأكل ولا يشرب حتى يقبل الله توبته أو يدركه الموت
ويقي هكذا حتى كان يغشى عليه أحياناً من الجوع والعطش ، فأنزَلَ الله على
رسوله : « وآخرون آتُرُوا بذنبِهِ خلطوا عملاً صالحًا آخر سِيئًا عسى الله
أن يتوب عليهم ، أن الله غفور رحيم » ^(١) .

فجاء الرسول (ص) وحلّه من تلك الإسطوانة المسممة باسمه .

ولقد روي أن سبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريضة حين

قال : إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ فهو الذبح فنثم من وقته .

وقال والله ما خطوط خطوة بعد تلك الكلمة حتى علمت أنني خنت الله
ورسوله

فجاء وربط نفسه في اسطوانة المسجد إلخ (القصة) .

وهذه الإسطوانة تقع بجوار قبر الرسول (ص) في الروضة الشريفة ، ونظراً
لأن الله سبحانه قبل توبه واستغفار أبي لبابة في ذلك المكان لذا ينبغي الاستغفار
في المكان المذكور إذا توفرت سبل الوصول إليه مع لحاظ أنه في قلب
الروضة ، وفضل الروضة الشريفة بلغ من الشهرة مكاناً أغناها عن إيضاح ذلك .

(١) سورة التوبه ، الآية : (١٠٢) .

غير أنه لا بأس أن نشير إلى فضلها بحديث شريف تيمناً وتبراً .

فعن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبri على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبri رتب في الجنة ،

قال : قلت : هي روضة اليوم ؟

قال : نعم ، إنه لو كشف الغطاء لرأيتم ! » ^(١) .

فالإستغفار عند الإسطوانة المذكورة راجح من عدة وجوه ، كونها موقعاً نزلت فيه الرحمة على أبي لبابة ، وكونها في الروضة الشريفة ، وكونها في المسجد النبوi الشريف ، وكون المسجد الشريف في المدينة المنورة ، تلك المدينة التي دلت الأحاديث على أنها موضع مبارك ، وبغارها شفاء ، والدعاء فيها مستجاب ، وكون البقاء فيها مستحب في نفسه ففي الحديث الشريف عن الرسول (ص) : « من صبر على أوار المدينة وحرّها كنت له يوم القيمة شفيعاً شهيداً » ^(٢) .

وفي حديث آخر عنه (ص) « من مات بها - أي بالمدينة - كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيمة » ^(٣) .

إلى غير ذلك من الروايات .

٧- الأسواق :

لا شك أن شر بقاع الأرض الأسواق وخير بقاعها المساجد كما ورد ذلك في حديث شريف ، غير أن الإستغفار في الأسواق له جانب أهمية في الشريعة الإسلامية ، من حيث كونه ذكرأ في موضع الغفلة ، والسوق موضع غفلة ونسيان

(١) الوسائل: ج ١٠ ، ص ٢٧٠ ، الباب ٧ من أبواب المزار وما يناسبه ح ٢ .

(٢) معجم البلدان .

(٣) كنز العمال: ج ١٢ ، ص ٢٥٤ ، خ ٣٤٩١٦ .

الآخرة ، وحيث أن الإنسان لا غنى له عن السوق حيث لا بد أن يذهب إليه ولو أحياناً لشراء مستلزماته ، لذا عليه أن لا ينسى الإستغفار فيه بل مطلق الذكر قال رسول الله (ص) : « من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغفهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة ويغفر له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب بشر » ^(١) .

فيما حبذا لو جعل وقته الذي يستغرقه في السوق مشغولاً بالإستغفار من أوله إلى آخره .

٨- مواضع نزول النصر :

كذلك يتتأكد الإستغفار في البقاع التي كانت موضع نزول رحمة الله على عباده وحلول نصره فيها على أوليائه ومن تلك البقاع على سبيل المثال لا الحصر: (بدر) وهو مكان بين مكة والمدينة وفي ذلك المكان دارت معركة بين المسلمين والمرتدين ، حيث أنزل الله فيها النصر على عباده المؤمنين .

وكمسجد الإجابة ويقع في المدينة المنورة حيث نزل النصر في تلك البقعة على رسول الله (ص) وأهل بيته حينما باهل النبي نصارى نجران ولم يخرج لمباهلتهم إلا بأصحاب الكساء كما قال تعالى : « فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهْلُ فَنَجْعَلُ لِعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ » ^(٢) .

فلما رأى أسقف النصارى رسول الله (ص) قد جثا على ركبتيه تراجع عن المباهلة ، فقيل له يا أبا حارثة أدن لل MBA . فقال: لا ، إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً . ولئن كان صادقاً لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء .

وروي أن الأسقف قال: إني لأرى وجهاً لو سألت الله أن يزيل جبلًا من

(١) الوسائل: ج ٤، ص ١١٩٠، الباب ١٣ من أبواب الذكر، ح ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٦١).

مكانه لأزاله . ثم قال: يا أبا القاسم ، إننا لا نباهلك ، ولكن نصالحك فصالحنا! . فصالحهم الرسول (ص) على ألفي حلة من حلل الأواقى قسمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثة درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً ، إن كان باليمن كيد . ورسول الله (ص) ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً .

قال (ص): «والذي نفسي بيده لو لاعبني - أي باهلوبي - لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرب الوادي عليهم ناراً ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم »^(١) .

وهكذا أيد الله سبحانه نبيه (ص) بنصره ، فلما رجع وقد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعوا إلى النبي (ص) وأسلموا .

ومن مواضع نزول النصر مسجد الفتح في المدينة المنورة حيث يسمى بمسجد الأحزاب أيضاً ويقع فوق الجبل وسمي بالفتح لأن الله تعالى فتح لل المسلمين على يد أمير المؤمنين بقتله عمرو بن ود العامري . ولقد دعا الرسول (ص) في هذا الموضع وأنزل الله على نبيه قرآنـا ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيطهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾^(٢) .

إلى غير ذلك من المواضع التي تشرفت بنزول النصر الإلهي فيها على أوليائه الطاهرين وعباده المتقيين ، ولستنا الآن بقصد تقصي تلك المواضع وإنما الهدف الإشارة وقد حصلت بما يزيد على الكفاية .

^(١) البخاري: ج ٢١ ص ٢٢٧ باب المباهلة وما ظهر فيها من الدلائل والمعجزات .

^(٢) سورة الأحزاب ، الآية: (٢٥) .

الفصل الخامس

ويبحث ثلاثة أمور :

- ١- هل نحن عقلاء أم مجانيين ؟
- ٢- ما هي أسباب ترك الاستغفار ؟
- ٣- ما هي سبل العودة للتمسك بالإستغفار ؟

المبحث الأول

هل نحن عقلاء أم مجانين؟

يبدو أن السؤال مثير للإستغراب عند طائفة من الناس ومثير للحنق والغيظ عند طائفة أخرى ، وإن كان طبيعياً عند طائفة ثالثة .

وذلك لأن أساس الخلاف آتٍ من تحديد معنى العقل ؟ ومن هو العاقل ؟

فمن كان يفهم بأن العاقل هو الذي يعرف كيف يختار له البيت الأنيق والسيارة الجميلة وكيف يكون رابحاً دائماً في تجارتة ، وإذا ما قرب الإمتحان وكان طالباً إجتهداً في مذاكرة دروسه ، وسهر الليالي طمعاً في أخذ شهادة الماجستير مثلاً ، أو تراه إذا ما سمع بأن حالة قحط ستمر بيده سارع إلى مراكز التموين وأشترى منها ما يكفيه لعام كامل أو أكثر من المواد الغذائية وما شابه ذلك .

فمن كان يفهم بأن العاقل هو من يملك هكذا صفات أو ما يقاربها فإن السؤال المطروح سيثير استغرابه أو حنقه وغيبه بلا أدنى ريب .

ولكن من كان يعلم بأن العاقل هو من يحمل صفات مخصوصة لا توجد عند أكثر الناس . فإن السؤال لا يكون فقط طبيعياً وإنما يكون طرحة ضرورة دينية .

ولك الآن أن تسأل ما هو العقل ؟ ومن هو العاقل ؟

فنقول : العقل لغة : مشتق من مادة (عَقْلٌ) أقول عَقْلُ الرَّجُلُ البعيرَ يعني ربطه وشد وثاقه ليحفظه عن الإفلات ، والعرب يطلقون العقل على ما يحفظ الإنسان من موجبات الرد .

ويقابل العقل : الجهل والجنون .

ومعنى الجهل : عدم القيام بما ينبغي القيام به لعدم معرفته أو لتغلب الشهوة .

ومعنى الجنون : وجود خلل في أعصاب الفرد مما يجعله يمارس الأعمال الإعتباطية التي تضر نفسه وتضر الآخرين ، ولا يمكن من القيام بما ينبغي عليه .

وبالتالي يكون معنى العقل في الشرع : هو ذلك الشيء الذي يحفظ الإنسان من الرد ويأخذ بيده إلى طاعة الله ومن ثم إلى النعيم الأبدي . وهو الجنة .

قال أمير المؤمنين : « العقل ما عبد به الرحمن وأكتسب به الجنان »^(١) والعاقل هو ذلك الإنسان الذي عقل الحقائق وأطاع ربها فيما أمر ونهى .

فحينما نضيف هذه المعاني إلى ما نوهنا إليه في الصفحات السابقة من أن الأرض بعد رسول الله (ص) لم يبق فيها سوى أمان واحد من كل نكمة وبلاء وهو (الإستغفار) .

كما قال أمير المؤمنين : « لقد كان في الأرض أمانان من عذاب رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسکوا به أما الأول فهو الرسول (ص) وقد قبضه الله إليه ، وأما الأمان الآخر فهو الإستغفار فدونكم فتمسکوا به »^(٢) .

تكون النتيجة أن تاركي الإستغفار يعيشون بلا أمان . فلربما كانوا عرضة

(١) البحار: ج ١ ص ١١٦ كتاب العقل والجهل ح ٨ .

(٢) نهج البلاغة: الحكمـة ٨٨ .

لموت الفجأة ، أو لصاعقة من السماء كصاعقة عاد وثمود ، ولا يشعر بها أحد سواهم ، أو زلزال مدمر يبتلعهم مع أن مفتاح دفع البلاء بأيديهم وهو الإستغفار ، فأنظر كيف يلقونه جانباً ، ويفتحون صدورهم إلى النعمة الإلهية .
فهل هؤلاء عقلاً ؟

حينما يشتعل في البيت حريق ، وتكون النيران مطروقة لك من كل جانب وبحوزتك لباس ضد الحريق ، بإمكانك أن تلبسه لتخرج به من أقرب المنفذ ، هل من التعقل بمكان أن تضعه جانباً وتدخل في الحريق دون أن تلبسه لتتقى به ذلك الحريق ؟

إن تارك الإستغفار أعظم خطراً وأخسر صفة من يدخل الحريق بدون لباس يقيه حره ، مع توفر ذلك اللباس وقدرته عليه .

وإذا تعمقنا في المسألة أكثر وقلنا بأن من كان به خلل في أعصابه بحيث أصبح يمارس أعمالاً إعتباطية مضحكة ، لا يعدو كونه مبتلى وإن أسميناه مجنوناً تجروا .

وإذا أطلقنا على من أسرته شهواته ، وغفل عن رشدته وترك سبيل نجاته ومشى برجله إلى دماره ، إذا أطلقنا عليه لفظ مجنون وهو كذلك كما دلت الأحاديث الشريفة . فإن النتيجة النهاية أن أكثر الناس مجانيين لا عقلاً ، وبالتالي من الحكم بمكان أن يسأل كل إنسان نفسه ويقول : هل أنا عاقل أم مجنون ؟

قال تعالى : « أَمْ تَحْسِبُ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا »^(١) .

والآية الكريمة هذه : تقوينا إلى الإعتقداد بأن أكثر الناس ليسوا فقط بمجانيين وإنما لا يستحقون إسم الإنسانية أصلاً ، بل هم إلى القردة أقرب ، إن أحسنا الظن فتأمل .

(١) سورة الفرقان الآية : (٤٤) .

يقول الإمام الصادق للمفضل بن عمر الجعفي : « تأمل خلقة القرد وشبيهه بالإنسان في كثير من أعضائه ، أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان ، وخاص مع ذلك بالذهب والفضة التي بها يفهم عن سائمه ما يومي إليه ويحكى كثيراً مما يرى الإنسان يفعله حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ، أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها^(١) ، إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وإنه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق ، كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولاً أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالخطم^(٢) ، والذنب المسلط والشعر المعجل للجسم كله ، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطى مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل والفاصل بينه وبين الإنسان في الحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق » .

فلقد ركز الإمام أكثر من مرة على أن الإنسان إنما يفضل القرد بالعقل والذهن والنطق ، فكل من يتخلى عن رشد عقله يكون قرداً في واقعه ، وإن كانت صورته صورة إنسان .

وتكون المحصلة أن كل من يعصي ربه لا يسمى عاقلاً ، بل هو بهيمة من البهائم يدخل في عمومها القرد ، ولو التفتنا إلى الوراء قليلاً لرأينا بأن أصحاب السبت الذين عصوا ربهم وأقتروا المحرمات أعادهم الله إلى الشكل الذي يستحقونه كما قال تعالى : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئن »^(٣) .

وقال تعالى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئن »^(٤) .

(١) السنخ : بتشدد السين وكسرها : الأصل .

(٢) الخطم من الدابة : مقدم أنفها وفمها .

(٣) سورة الأعراف الآية : (١٦٦) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٦٥) .

ولعلك تسأل وتقول :

إن الكثير من أمة نبينا محمد (ص) يرتكبون الجرائم والكبائر وقد أوقفوا أنفسهم حرباً لله وحرباً لرسوله ولا نراهم مسخوا قردة أو خنازير فلماذا ؟

والجواب : إن الأخبار الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته دلت على أن المسخ الخارجي قد رفع عن أمة نبينا (ص) كرامة له وبقي المسخ الباطني فأنت ترى إنساناً يرتكب الكبائر ويجهل بالفتن والعصيان وتحسب أنه لم يمسخ ، ولقد أصابه المسخ الداخلي فلا يدرى هل مسخ قرداً أو خنزيراً أو ثعباناً أو حماراً . أما المسخ الخارجي فلم يصب به كرامة لرسول الله (ص) لأنه من أمه لا كرامة له .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافَلِينَ﴾^(١) ففي قوله سبحانه : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافَلِينَ﴾ حكمة بليغة فتدبرها عزيزي القاريء وسائل نفسك لماذا ردّ الإنسان إلى أسفل سافلين بعد أن خلق في أحسن تقويم ؟

إن إجابتك على هذا السؤال دليل فهمك لما سبق الحديث عنه في هذا المبحث المقتضب .

(١) سورة التين ، الآيتين : (٤ و ٥) .

المبحث الثاني

ما هي أسباب ترك الإستغفار؟

إن لترك الإستغفار أسباباً كثيرة ، وربما يتداخل بعضها مع البعض الآخر ، ونحن في هذه العجلة نشير إلى أهم تلك الأسباب بإذنه تعالى ، علينا نستطيع علاجها حيث أن معرفة الداء نصف الدواء .

أولاً : الجهل بأهمية الإستغفار

حينما يجهل الإنسان أهمية (أخذ المناعة) ضد مرض الكوليرا مثلاً فإنه لا يبادر لأخذها ، فجهله بأنها أمان له من السقوط فريسة ذلك المرض هو الذي جعله لا يعي أي أهمية لمسألة المناعة بل ولا يدبر بالأ للوباء المذكور .

الإستغفار كذلك هو أمان من وباء الذنوب التي تحول إلى (نقم) وبلايا فالذى يجهل أهمية الإستغفار ويجهل أنه أمان لأهل الأرض لا يدير له طرفاً ، ولا يجد له في برامجه محلًا ، هذا من جانب ومن جانب آخر :

حينما لا يأخذ هذا الإنسان المناعة ضد الوباء المذكور لجهله بأنها أمان من الإصابة به ويصيبه الوباء ، ويقدم عذرها بأنه لم يكن عارفاً بخطورته ، وأن أخذ المناعة أمر بغایة الأهمية فهل يسامحه الوباء ويقول له أنا آسف لأنني أصبتكم فحيث أنك كنت جاهلاً غافلاً فأنا أنتقل الآن لغيرك وأتركك ؟ بالطبع كلا .

الأمر بالنسبة إلى الإستغفار كذلك فكون الإنسان جاهلاً بأهمية الإستغفار ، وجاهلاً بكونه أماناً لأهل الأرض من كل نعمة لا يكون مبرراً للإنسان إذا ما حلت عليه النعمة نتيجة ذنبه . فيكفي كونه متعمداً في العصيان عالماً بحرمه .

فالجهل بأهمية الإستغفار له بعدان :

بعد سلبي : وهو الجهل بأن تركه يعرض الإنسان إلى الخطر من حيث كونه أماناً لأهل الأرض .

وبعد إيجابي : وهو الجهل بفوائد الإستغفار العظيمة ، كإطالة العمر وبسط الرزق ، واستجابة الدعاء ، وتفریج الهموم وكشف البلایا وإسقاط الذنوب ودخول الجنة إلى غير ذلك .

فالطفل الذي لا يعرف قيمة الجوهرة تراه يلهو بها وربما ألقاها في القمامات ، بينما العاقل الذي يعرف قيمتها تراه يحفظها في مكان حریز ، كما يحفظ أغلى الأشياء عنده .

فلو علم الناس ما يجده المستغفر من الفوائد الدنيوية والأخرافية لسارعوا إليه كما يسارع الظمان إلى ورود الماء الزلال .

ولا شك أن منشأ الجهل بأهمية الإستغفار أمور كثيرة منها: الإعراض عن كتاب الله ، وعن تدبر آياته ، ومنها: الإعراض عن أحاديث الرسول (ص) وأهل بيته التي تحتويكثرة على أهمية الإستغفار ومنها: عدم دراسة تاريخ الأمم الماضية وكيفية هلاكها ، إذ لو درسناها وتفكرنا فيها لعلمنا يقيناً أن سبب هلاكها هو ابعادها عن الإستغفار حيث أصبحت أسيرة ذنبها فأهلكها الله بها .

ثانياً: الإن شغال بلهو الدنيا

ربما لا يجهل الإنسان أهمية الإستغفار ، وكونه أماناً لأهل الأرض ، بل ربما على التقىض تماماً يعلم أن سعادته في الدارين لا تتم إلا به ، ومع ذلك لا يستغفر ، بل ولا يفك في الإستغفار أساساً ، وذلك لأن الدنيا شبك قلل من

يستطيع الخلاص منه .

فالنفس بطبيعتها تحب الركون إلى الراحة واللهو وديمومة الترويح فحينما توجه عنانها نحو طاعة من طاعات الله تراها متکاسلة متراجعة يعلوها الملل ، وتنتابها السآمة ، وتجد صعوبة ملحوظة في ترويضها على تلك الطاعة وحينما تعرض لها شيئاً من أمور الدنيا وزخارفها وما يتعلق بها من أمور الفسحة والترويح ، تجدها نشطة سعيدة لا تجد أدنى صعوبة في تكليفها ذلك ، بل بالعكس تماماً ربما تجد صعوبة في منهاها ذلك ، فإذا عُود الإنسان نفسه على الراحة واللهو والسياحة وحتى لو كان اللهو والسياحة بأمور مباحة فإنه ومع مرور الزمان يرى أن هذه الأمور ضرورة حياتية له كضرورة النوم والأكل والشرب ، ومن ثم لا يجد فراغاً من وقت يستغفر فيه ربه ، بل ولا فراغاً من وقت يفكر فيه أن يستغفر .

وخير شاهد على ذلك ما نلاحظه جميعاً أيام العطل السنوية والشهرية والأسبوعية ، حيث أنها نلاحظ أن ليالي الجمع وأيامها تضيع هباء منثوراً في السهرات الفارغة على سواحل البحر وأمام شاشات التلفاز وغير ذلك .

والنفس مهما روحت عنها فإنها لن تقنع بما تعطيها ، وحتى تسكن التراب ، ويكفيها دليلاً على ما نقول ما نراه من أنفسنا .

ثم إننا لسنا ضد الترويح عن النفس مطلقاً بل ربما كان مطلوباً أحياناً ، لكننا ضد الترويج للحاظين :

١) الترويج عن النفس بأمور حرمتها الشارع المقدس كالترويج عنها بالذهب إلى المخترفات المختلفة التي لا يسلم الإنسان غالباً فيها من الواقع في الحرام ولو بنظره واحدة وعلى هذا المثال فقس ما سواه .

٢) الترويج عن النفس بشكل مفرط بحيث لا يبقى عند الإنسان وقت لأن يفكر في نفسه ، وفي ذلك اليوم المهول الذي يجعل الولدان شيئاً .

والخلاصة: إنقياد الناس لرغبات أنفسهم ، وكونهم سلسلي القياد لها

جعل بينهم وبين التفكير في الإستغفار حُجْبًا كثيرة .

لذلك أصبح الإنغال بلهو الدنيا سببًا رئيسيًّا من أسباب ترك الإستغفار .

ثالثًا: الغفلة عن أزوف الانتقال

ومن أسباب ترك الإستغفار الغفلة عن قرب الرحيل فمعلوم بالأصل أن القيامة قريبة ، وما مضى من الدنيا أكثر مما بقي فيها وذلك .

لقوله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعَرَّضُونَ ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عِذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظَرُ الْمَرءُ مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ ﴾^(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات

وفي اللغة لا يقال للشيء اقترب إلا إذا كانت المسافة بينه وبين نقطة الهدف أقل من المسافة بينه وبين نقطة انطلاقه ، وإذا قيل ذلك فإنه تجوز لا أكثر .

والمعنى المتحصل أن الساعة قريبة ، وحشر الناس أصبح وشيكًا . هذا بلحاظ الناس بشكل جمعي ، أما بلحاظ الفرد فأنقاله إلى دار الجزاء أقرب من ذلك عقلاً . لأنه مع ما تصرم من عمره لا يدرى متى يوافيته العجمام ، وهل يسعه است تمام ساعته التي هو فيها أم لا ؟ أو أن يتصل نفسه بالنفس اللاحقة أم لا ؟

(١) سورة القمر ، الآية : (١) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : (١) .

(٣) سورة النبأ ، الآية : (٤٠) .

(٤) سورة النجم ، الآية : (٥٧) .

فمع عرض المسألة على الموازين العقلية تكون قيمتها أقرب من قيمة الناس يوم المحشر بناء على ما قام الدليل عليه من أنه إذا مات ابن آدم قامت قيمته .

فعفلة الإنسان عن قرب رحيله ، وقرب حسابه هو الذي يجعله يشغل عن الإستغفار وأهميته ، كالطالب الذي يغفل عن قرب الامتحان فيلهم ويضيع وقته ولا يفتح عينيه إلا وقد فوجئ بساعة الامتحان فعندها يندم على عدم استعداده ومذاكرته ولو لم يغفل عن ساعة الامتحان لربما ذاكر دروسه واستعد لامتحانه . يقول أمير المؤمنين « أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت »^(١)

رابعاً: الشيطان والنفس

لكل إنسان عذاؤان أحدهما خارجي والآخر داخلي فالخارجي وهو الشيطان وجنته والداخلي وهو النفس ، ولقد رکز القرآن الكريم والسنّة الشريفة على تبيان هذا الأمر إلى الناس جميعاً حتى يكونوا على بيته من هذين العدوين الرئيسيين الذين هما عند كل إنسان ومن ثم يأخذ كل إنسان أهبه واستعداده لمحاربتهم والتخلص من كيدهما .

فحول الشيطان :

قال تعالى :

﴿ إن الشيطان لكم عدو مبين ﴾^(٢) .

﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾^(٣) .

﴿ إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾^(٤) .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ٨٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٢) .

(٣) سورة يوسف ، الآية : (٥) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : (٥٣) .

﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾^(١).

﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾^(٢).

إلى غير ذلك من الآيات.

وحول النفس :

قال تعالى :

﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربها﴾^(٣).

﴿وما أصابك من سينة فمن نفسك﴾^(٤).

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾^(٥).

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾^(٦).

إلى غير ذلك من الآيات:

فالآيات صريحة على أن كلاً من الشيطان والنفس عدو لهذا الإنسان يتعاونان عليه بغية هلاكه.

وكذلك وأشارت النصوص الصريحة عن الرسول (ص) وأهل بيته إلى هذين العدوين .

ففي نهج البلاغة خطبة رقم (٦٤) يقول أمير المؤمنين حول الشيطان:

«والشيطان موكل به - أي بالإنسان - يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها » .

(١) سورة فاطر ، الآية: (٦) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية: (٢٩) .

(٣) سورة يوسف ، الآية: (٥٣) .

(٤) سورة النساء ، الآية: (٧٩) .

(٥) سورة ق ، الآية: (١٦) .

(٦) سورة الحشر ، الآية: (٩) .

وفي الخطبة الغراء يقول أيضاً «أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر واحتاج بما نهج وحدّركم عدواً نفذ في الصدور خفياً ، ونفث في الآذان نجياً فأفضل وأردى ووعد فمني^(١) ، وزين سيئات الجرائم ، وهوّن موبقات العظام حتى إذا آسدرّج قريته ، وأستغلق رهيتها أنكر ما زين ، وأستعظم ما هون وحدّر ما أمن^(٢)» .

وقال أمير المؤمنين حول النفس:

«أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك فإن قدرت عليها كنت على غيرها أقدر وإن عجزت عنها كنت عن غيرها أعجز» .

فتعاون هذين العدوين يشكل سبيلاً رئيسياً لإعراض الإنسان عن الإستغفار .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيطان ربما تمثل في الزوجة وربما تمثل في الصديق .

والشيطان يُعرف بآثاره فإذا طلب منك ولدك أو صديقك أو زوجتك مثلاً أموراً تخالف الدين فاعلم بأن الشيطان نفث في روّعهم بل ربما كان كل واحد منهم شيئاً .

ولا أريد منك إساءة الظن بولدك أو صديقك أو زوجتك لأن سوء الظن في الأصل منهي عنه ، غاية ما في الأمر أنني أردت أن أضعك أمام حقيقة إن جهلتها ربما ذقت الويلات ، ولم تلتفت إلى نفسك مع مرور الأيام إلا وأنت جندي من جنود الشيطان - لا سمح الله - تخدمه من حيث تشعر أو لا تشعر .

وإذا أردت أن تكون على يقين مما أشرت إليه فتدبر معي هذه الآيات:
قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم

(١) فمني: أي صور الأماني كذباً .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة: ٨٣ .

فاحذروهم ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلْتْ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا أَبْاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَمْ أَسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ^(٣) .

فهذه الآيات صريحة في إثبات صحة ما ذكرناه ، فإذا كان من الأزواج والأولاد من يمكن أن يكون لنا عدواً علينا أن نحذر منه فمن باب أولى أن يكون من الأصدقاء من يمكن أن يكون عدواً .

ولو تعمقنا أكثر للاحظنا أن لفظة (عدو) قيلت هناك في الشيطان ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ^(٤) .

وقيلت هنا في الأزواج والأولاد ﴿ إِنَّ مَنْ أَزْوَاجُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فاحذروهم ^(٥) .

فكلمتا (عدو) متساويان في المعنى في الآيتين وعباراتنا : ﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ^(٦) وَ ﴿ فَاحذروهم ^(٧) بينهما قاسم مشترك في المعنى أيضاً .

ولم يكن هذا الترتيب البديع إلا ليكشف لنا هذه الحقيقة .

كما أننا نلاحظ القرآن حينما يتحدث عن الشيطان يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبْلًا كَثِيرًا أَفْلَمْ تَكُونُوا تَعْقُلُونَ ^(٨) .

ثم يجعل سبحانه نفس هذه الصفة وهي (الإضلal) إلى أناس يقومون ويقطدون ويأكلون ويسربون ونجالسهم ونخالطهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَبَعُوا

(١) سورة التغابن ، الآية : (١٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (١٤٠) .

(٣) سورة التوبه ، الآية : (٢٣) .

(٤) سورة يس ، الآية : (٦٢) .

أهواه قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴿١﴾ .

فهؤلاء القوم الذين ﴿أضلوا كثيراً﴾ هم شياطين في واقعهم ولقد أشار القرآن كثيراً إلى شياطين الإنس . قال تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس . . .﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِنِهِمْ قَالُوا إِنَا مَعَكُم﴾ ﴿٣﴾ . واضح أنهم من الإنس .

وقال تعالى : ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ﴿٤﴾ .

ولا شك أن الله سبحانه أرشدنا إلى السبل التي بها نستطيع إدلال هذين العدوين وإخضاعهما في كتابه المحكم ، غير أن الناس هم الذين مكنوا هذين العدوين منهم وما آستبصروا حين بُصّروا وما آتعظوا حين عظوا وما آهتدوا حين هدوا .

وإلا ما الشيطان وما خطره ؟

وما النفس وما خطرها ؟

حتى يسيطرها على أشرف مخلوق على وجه البسيطة وهو الإنسان .

الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأرض والبحار كل أولئك مسخرات إليه . إنه حب التسافل والهبوط هو الذي مكّن هذين العدوين منه . ﴿وَمَا ظلمَنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥﴾ .

(١) سورة المائدة ، الآية : (٧٧) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١١٢) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٤) .

(٤) سورة الناس ، الآية : (٤ - ٦) .

(٥) سورة النحل ، الآية : (١١٨) .

خامساً: اليأس :

كذلك من أسباب ترك الإستغفار اليأس من رحمة الله وغفرانه ، وهذه الحالة يصاب بها الكثير من الذين عاقروا الكبار ورأوا أن بينهم وبين جادة النجاة مسافة بعيدة جداً ربما قدروها بالسنين الضوئية !!! فكيف يسعهم الإستغفار وترك شهواتهم وملذاتهم ، فيخسرون دنياهم وهم في الأصل على يقين من الخسارة في الآخرة ؟

إنهم يقولون إذا كان لا بد من خسارة الآخرة فإن الدنيا لا يسعنا خسارتها أيضاً ونحن قادرون على ربحها والتنعم فيها .

ولا شك أن الخطأ إذا كان مبنياً على خطأ أصبحت النتيجة خطأ مضاعفاً ، فليس بين الإنسان وبين طريق الجنة مسافة بعيدة مهما كثرت ذنوبه ما لم يكن مشركاً أو قاتلاً لمؤمن على وجه العمد^(١) ، إنه ربما في ساعة تفكير فقط سجل لنفسه السعادة والأبدية والدولة السرمدية وما عليه بعدها إلا إصلاح ما أفسدته .

كما أن المسلم غير لائق به ولا يصح له أن ييأس من رحمة الله وغفرانه ، لأن مسألة اليأس من صفات الكافرين قال تعالى : ﴿ وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّمَا يَيَأسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عَبْدِيِّ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾^(٣) .

وكي نتخلص من اليأس علينا أن نعرف على الأقل أن الله سبحانه أرحم بعبدة من الأم الحنون بوحيدها الذي لا تملك غيره .

(١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ النساء ، الآية : ٤٨ .

﴿ وَمَن يُقْتَلُ مُؤْمِنًا مَتَعْمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ النساء ، الآية : ٩٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٧ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

سادساً : تصور تأجيل الثواب

إن التصورات التي تراود الإنسان أحياناً في أن ثواب الإستغفار مؤجل إلى الآخرة حينما يضاف إليها حالة التشكيك التي تراود البعض في مسألة البعث والنشور ، ويضاف إليها أيضاً الحقيقة التي لا مفر من التصديق بها وهي أن النفس مجبرة على حب المنفعة المعجلة .

كل هذه الأمور حينما تجتمع على الإنسان يجعله يتراجع أميالاً عن الإستغفار ، بل يعرض عنه كلياً ، وبالتالي تراود ذهنه هذه المقوله: بيني وبين الآخرة دهر طويل وعمر مديد فكيف أبيع وجودي وحياتي بشيء مؤجل ، بل ولست على يقين من ثبوته فيكون حاله كمن قال « وما عاقل باع الوجود بدین »⁽¹⁾

فعلى أساس هذه التصورات تراه يضيع أوقاته في اللهو والراحة والرفاه لاهياً عما يراد به .

بينما الحق أن ثواب الإستغفار ومردوداته الحسنة ليست في الآخرة فقط بل وفي الدنيا أيضاً ، وقد أشرنا في الفصل الثاني إلى فوائد الإستغفار الدنيوية فراجع متاماً ومتفكراً .

سابعاً : التسويف

ينفذ الشيطان أحياناً إلى بعض من يريد إضلالهم عبر منفذ خطير وخاص كي لا يحدث عند هؤلاء شيء من ردة الفعل ، أو هزة تعيد لهم اليقظة والتفكير في أنفسهم ذلك المنفذ هو التسويف ، إذ ربما لو قال الشيطان لهم آتربوا الإستغفار من أساسه لم يجد منهم أذناً صاغية بل ربما أكتشفوا لأول وهلة خبث سريرته ، لذا يستخدم الشيطان أسلوب الخداع والتضليل والمغالطة فلعمري إنه ليحمل شهادة الإمتناز في كل ذلك .

(1) القائل عمر بن سعد .

إنه يلقي في روع هؤلاء أنه باحث عن مصلحتهم وحريص على سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولا يطلب منهم أكثر من أن يجمعوا بين الأمرين المشار لهما ضمناً :

أولهما : الترفيه والترويح عن النفس وإعطائها سؤلها و حاجتها .

وثانيهما : الإستغفار والإذابة إلى الله غير أنه يريد أن يكون الأمر الأول هو السابق والأمر الثاني هو المتأخر .

فهناك وقت طويل يمكن إيقاع الإستغفار والإذابة فيه ويبدأ يعيد إلى ذاكرة من يريد إصلاحهم قصص الكثير من أنعم الله عليهم بالغفرة في آخر حياتهم وكأنه يقول : أنظروا إلى أولئك كيف تمتعوا في الدنيا وتنقلوا من لذة إلى لذة غير مبالين بحرام أو حلال ومع ذلك ما خسروا الآخرة ، بل آستغفروا وتابوا في آخر أيامهم فغفر الله لهم وتاب عليهم وفازوا بلذة الدنيا والآخرة ، فأصبحوا أحسن حالاً من فاز بإحدى الدارين فقط دون الثانية .

وهذه مغالطة تمكّن الشيطان وبمعية أعوانه من أشرنا إليهم في السبب الرابع من هذه الأسباب تمكناً من زرعها في أذهان الكثير من الناس .

بل لو قلنا في أذهان أكثر الناس ربما لم نكن مخطئين ولا مجانيين .

والردّ تفصيلاً على هذه المغالطة لا يسعه هذا المختصر غير أننا نشير ولو إجمالاً فنقول :

أ - نحن لا نسلم أبداً في أن التنقل من لذة إلى لذة ومن متعة إلى متعة دون مراعاة للحلال والحرام يعتبر فوزاً بسعادة الدنيا . لأنه أي سعادة دنيوية يجدها العاصي وهو يرى نفسه منبوذاً في المجتمع إذا حضر ناد من نواديهم أعرضوا عنه أو نظروا إليه شزاراً ؟ كما أنه أي سعادة هذه وهو أسير في قبضة غرائزه وشهواته لا يسعه التخلص من ذلك ؟ فهل السعادة في الحرية أم في العبودية والأسر ؟

أم هل سعادة الدنيا في أن ينتقل شارب الخمر أو متعاطي المخدرات مثلاً من مستشفى إلى آخر ومن سجن إلى غيره ومن مشكلة إلى مثلها وهكذا ؟

ب - إن الشيطان يذكر لأتباعه قصص الذين سوفوا الإستغفار والتوبة ثم تداركتهم رحمة الله . فلماذا لم يذكر لهم مئات القصص بل آلافها بأسماء شخصياتها من الذين لم تداركتهم رحمة الله فأصبحوا وقود جهنم وبئس المصير .

ج - من ذا الذي يسعه أن يعطي الإنسان العاصي ضماناً لأن يبقى إلى ثمانين أو ما حولها من السنين كي يستغفر ربه ويتبّع من ذنبه ويقبل استغفاره وتوبته وتقال عثرته ؟

أو ليس في آلاف الموتى من الذين فارقوا الدنيا في ريعان شبابهم ما يكفي لأخذ العبرة والعظة ؟

كما أنه ليس كل من تاب واستغفر قبل الله توبته واستغفاره وليس كل من طلب إقالة العترة أقيمت عترته فتأمل لأن ذلك لا يتم إلا بشرطه وشروطه وأنى وكيف تتوفر كل تلك الشروط بين عشية وضحاها !!؟

د - إن الإنسان ليعصي ثم يعصي ثم يعصي فتصبح المعصية جزءاً من كيانه يصعب عليه التخلص منها . فإذا كان الإنسان ضعيفاً أمام التخلص من وساوس الشيطان قبل انحرافه فكيف لا يكون ضعيفاً أمام التخلص من سلاسل الشيطان التي قيده بها بعد أن أصبحت الجريمة جزءاً منه ، وبعد أن طبع على قلبه وبعد أن سلمه الشيطان شهادة تقدير على تفنته في اقتراف المآثم وارتكاب الجرائم .

لقد كتب أمير المؤمنين إلى بعض أصحابه : « فتدرك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد فإنما هلاك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون » .

ومنشأ التسويف طول الأمل وطول الأمل منشأ الجهل بحقيقة النفس

والحياة وسِنَن الكون بمختلف الأبعاد .

قال أمير المؤمنين « لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ويرجّي التسوية بطول الأمل »^(١) .

وقال مولانا زين العابدين في المناجات : « . . . وأعني بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والأمال عمرى » .

ثامناً: التغافل عن دقة الحساب

من أسباب ترك الإستغفار والإعراض عنه مسألة التغافل عن الحساب الدقيق يوم يقوم الناس لرب العالمين .

حيث تصل السذاجة بالبعض إلى درجة أنه يتقلّل من ذنب إلى ذنب ومن جريمة إلى أخرى ، ولا يحدث نفسه حتى باسم الإستغفار فضلاً عن معناه ، وإذا ما قيل له إستغفر الله وحاسب نفسك وأصلاح ما أفسدت قال : « رحمة الله واسعة ، وعفوه قديم ومحفرته تشمل حتى كبار المجرمين فإننا وأمثالنا أحق أن تشملنا رحمة الله ويسعنا عفوه » . ثم تجده يردد هذا الحديث : « حسن الظن بالله ثمن الجنة »^(٢) وكأنه لا حساب ولا عقاب ولا تطايير كتب ولا نصب موازين ولا هول مطلع ولا عرض على جهنم ولا شيء من كل ذلك ، فما على الإنسان حتى يدخل الجنة إلا أن يحسن الظن بالله ويُثْقَلُ بأن الله سيدخله الجنة فإنه يجد أمنيته ، ويدخل الجنة من أوسع أبوابها ، وليس مهمًا أن يعرف حقيقة حسن الظن أو حقيقة تلك الثقة وشروط توفرهما وإمكانية توفرهما عند المذنبين أو عدمها إلى غير ذلك ، وهذا خطأ فادح وفهم مهلك ، فحسن الظن بالله شيء حسن وجميل ، ودليل إيمان . ولكن لحسن الظن بالله مبرراته وشروطه .

أما أن يعصي الإنسان ويعاشر الجرائم ويقول (الله سيعذر لي) فهذا القول إما مغالطة يستعملها لتبرير جرائمه وهو يعلم في قرارة نفسه أنه بعيد عن

(١) غرر الحكم : رقم ١٠٥١٥ .

(٢) آمالي الطوسي : ص ٣٨٩ .

المغفرة . أو أنه نوع من السذاجة والخبار .

قال أمير المؤمنين : « لا تكن من يرجو الآخرة بغير العمل »^(١) .

وقال الإمام الصادق في وصيته لعبد الله بن جنديب : « يا بن جنديب يهلك المتتكل على عمله ولا ينجو المتجرى على الذنب ، الواثق برحمة ربه ! قلت فمن ينجو قال الذين هم بين الرجاء والخوف كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العذاب »^(٢) .

وكيف كان ، تجد هذه الفكرة محلها المناسب في أوسع الكثيرون من المسلمين الذي أخذوا الدين على أساس التسامح المطلق فكل شيء تهواه أنفسهم ، لا بد أن يجدوا له وجه تسامح من الله . لذا تجد البعض يملأ عينيه من الحرام ويقول : الله غفور رحيم ويتهانون بصلاته وصومه وحججه وبكل ما أوجبه الله عليه ، ويقول : الله غفور رحيم ! وهكذا . . . ولو تدبر هؤلاء قليلاً في هذه الآيات :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يُرَهِ ﴾^(٣) .

﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بَهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(٤) .

﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَهَا الْكِتَابُ لَا يَغْاَدِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(٥) .

لعلموا أن حالة التغفل هذه أوقفتهم على شفا جُرف هار من العذاب حيث لا بد من العرض على الله ، ولا بد أن تجد كل نفس ما قدّمت وأخرت من شيء الأعمال وخيرها وقليلها وكثيرها وصغرتها وكبيرها .

(١) غرر الحكم : رقم ١٠٥١٥ .

(٢) تحف العقول : ص ٢٢٢ باب في وصية الصادق (ع) لابن جنديب .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٨) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : (٤٧) .

(٥) سورة الكهف ، الآية : (٤٩) .

المبحث الثالث

ما هي سبل العودة للتمسك بالإستغفار؟

فيما سبق حيث كان الحديث عن أبرز الأسباب التي جعلت الكثير من الناس يتربكون الإستغفار أشرنا في خضم ذلك إلى شيء من طرق العلاج لأصل المشكلة وها نحن في هذا المبحث نشير بإذنه تعالى إلى أبرز النقاط المهمة التي يمكننا على ضوئها العودة للتمسك بهذا الأمان ولعل هذه النقاط تتدخل مع بعضها البعض غير أن تفصيلها يحوي فائدة لا تنكر ، فأهم سبل العودة للتمسك بالإستغفار ما يلي :

أولاً : التفكير

« التفكير يدعو إلى البر والعمل به »^(١) هذا ما قاله أمير المؤمنين وهو كاشف عن أن التفكير سلم نجاة وسبيل هدى ، فمن تفكير في نفسه وروحه أيقن بأن له مدبراً ، ومن تفكير في عظمة مدبره لم يجرؤ على معصيته ، ومن تفكير في الدنيا وزوالها أخذ حذر منها وتعامل معها كما يتعامل مع الحياة الرقطاء اللين مسها والقاتل سمها . أو كتعامله مع العجينة لا يأخذ منها إلا مضطراً وقدر الحاجة فقط ومن تفكير في حال الأمم الماضية وكيف فنيت وبماذا فنيت ؟

(١) البحار: ج ٦٨ ص ٣٢٢ باب التفكير والاعتبار والاتعاظ بالعبر ٥ .

وتفكر في عاقبة المذنبين وكيفية هلاكهم تورع عن فعل ما كانوا يعلمون
ومن تفكر في الموت وقربه تهيأ له قبل نزوله ، ومن تفكر في النار وعذابها باهتمامه إلى التخلص منها ، ومن تفكر في الجنان ورياضتها اجتهد في تحصيلها
فالتفكير حياة القلوب ، ومويقظها من السبات .

قال أمير المؤمنين « نَبِّه بالتفكير قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق ا
ربك »^(١) .

وقال الإمام الحسن بن علي : « أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكير فـ
التفكير أبو كل خير وأمه »^(٢) .

فبالتفكير يمكن معالجة كل الأسباب السابقة التي جعلت أكثر النـاءـ
يتكون الإستغفار ، ويفررون منه .
فمن تفكـرـ نجا من الهلاـكـ فيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ .

بل إن من أسباب هلاك من هلك من الأولين أنهم لا يفكرون ولو فـ
لـاهـتـدـواـ ، ولو آهـتـدـواـ لـأـطـاعـواـ ولو أـطـاعـواـ لـنجـواـ .

قال رسول الله (ص) : « إن التفكـرـ حـيـاـ قـلـبـ الـبـصـيرـ كـمـاـ يـمـشـيـ المسـتـ
في الظلمـاتـ بـالـنـورـ يـحـسـنـ التـخـلـصـ وـيـقـلـ التـرـبـصـ »^(٣) .

وقال أمير المؤمنين : « من تـفـكـرـ أـبـصـرـ »^(٤) .

من هنا أصبح التفكـرـ أـكـبـرـ عـبـادـةـ ، بل ما عبد الله بمثل التـفـكـيرـ .

قال أمير المؤمنين : « لا عبادة كالتفكير في صنعة الله عز وجل »^(٥)

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٥ باب التفكـرـ .

(٢) ميزان الحكمـةـ : ج ٧ ص ٥٤٠ .

(٣) البحـارـ : ج ٨٩ ص ١٧ بـابـ فـضـلـ الـقـرـآنـ وـإـعـجـازـهـ ح ١٧ .

(٤) نهج البلاغـةـ : الكتاب ٣١ .

(٥) البحـارـ : ج ٦٨ ص ٣٢٤ بـابـ التـفـكـرـ وـالـاعـتـارـ . . . ح ١١

وقال الإمام الصادق: « ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكير في أمر الله ». .

وقال أيضاً: « تفكير ساعة خير من عبادة سنة »^(١) .

وقال أيضاً: « كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه التفكير والإعتبار »^(٢) .

وسئللت أم أبي ذر عن عبادة أبي ذر فقالت: « كان نهاره أجمع يتفكر في ناحية عن الناس »^(٣) .

نعم إنه يتفكر في الكون وفي نفسه وفي حال الأمم الماضية وفي سبل النجاة . وفي كيفية التعامل مع هذه الدنيا الفانية وفي ضيق القبر ووحشته وفي هول المطلع وفي ساعة النشور وفي العرض على جهنم و

ففكره عبادة وأنفاسه عبادة وجلوسه عبادة ، وقيامه عبادة واضطجاعه على فراشه عبادة ، لذلك لا تراه متشغلاً بغير عبادة قيل له ذات مرة: لماذا لا تعالج عينيك ؟ فقال: شغلني عن علاجهما العظيمتان الجنة والنار^(٤) .

وقال أمير المؤمنين: « ولو فكروا في عظيم القدرة وجسم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخفقوا عذاب الحريق »^(٥) .

(١) البحار: ج ٦٨ ص ٣٢٧ باب التفكير والإعتبار . . . ح ٢٢ .

(٢) البحار: ج ٦٨ ص ٣٢٣ باب التفكير والإعتبار . . . ح ٦ .

(٣) ميزان الحكم: ج ٧ ص ٥٤٢ .

(٤) (وليس المعنى المراد: أن الإنسان إذا أصيبت عيناه بمرض لا يعالجهما، بل قد يكون العلاج واجباً أيضاً ، إنما المعنى المراد أن أبا ذر وصل به الورع والإيمان والخوف والرجاء إلى درجة شغلته عن التفكير في علاج عينيه حيث أن الجرح يسكنه الذي هو آلم منه) .

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥ .

وعجبت ممن يعاقر الجرائم ويترك الواجبات ولا يفكر في الإستغفار وفي محاسبة نفسه معللاً ذلك بأنه يشك في أن لهذا الكون مدبراً ويشك في صدق الأنبياء ، وما جاؤوا به من الله سبحانه .

ومبرر تعجبي أن الواحد من هؤلاء لو أخبره شخص مجهول مثلاً عند تركه طعامه في البيت أنه نفثت فيه حيّة وألقت سمها فيه وكان ذلك المجهول يحتمل أن يكون صادقاً ويحتمل أن يكون كاذباً فإنك تجد ذلك الشخص يترك الطعام لا محالة ولا يأكل منه شيئاً ولو كان أللذ الأطعمة عنده ، وترأه يبرر تركه لطعامه بقوله: إن كان المخبر كاذباً لم يفتني سوى هذا الطعام ، وإن كان صادقاً نجوت من موت محتم .

وهذا المنطق صحيح لأنه آت من وحي العقل حيث أنه أخذ الحيطه والحدر كي لا يخسر حياته ، لكن من حقنا أن نقول لم لا يأخذ الحيطه والحدر من النار والعقاب أيضاً في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويقول نفس المقوله إن كان ما جاء به الأنبياء والرسل كذباً لم يخسر (١) سوى لذات بسيطة في هذه الدنيا ، وجهد بسيط في أمور الصلاة والصيام وغيرها من العبادات لا أكثر .

وإن كان ما جاؤوا به صدقاً فويل لي من عذاب النار ، وغضب الجبار وويل لي من سورات الحميم وزفرات الجحيم ، وويل لي من حيات جهنم وعقاربها ، وويل لي من طول العذاب ومدته وصعوبته وشدة بل ذلك هو

(١) عبرنا بكلمة أخسر نزولاً عند فكر منكري الله والبعث وإلا فالحق أننا لا نسلم أن ذلك خسارة وإن لم يكن هناك بعث ونشر فاللذات البسيطة والمترورة والمحرمة أكثرها إنما حرم لأنها تضر الإنسان كما أن الجهد المبذول للصلوة والصيام يكفي به فائدة أنه روض جسم الإنسان وجعله يعيش حياة هائنة سعيدة ، إلى غير ذلك من الفوائد الصحية التي لا سبيل لإنكارها .

الخسران المبين .

لكن ماذا تقول لمن أصبح فكره في إجازة طويلة ؟

إنه لمن المؤسف جداً أن يفر الناس من التفكير فيما يعود عليهم بسعادة الدنيا والأخرة فرارهم من الأسد .

ولعلك تسأل عن سبب هذا الفرار ؟

فنقول والله العالم لسبعين هامين :

١ - الفكر النافع سواء في النفس أو في حال الأمم الماضية أو في الموت وسكتراته أو في القبر وعذابه أو في القيامة وأهوالها أو في الصراط ومزالق دحشه وأهواويل زله ، أو فيما أعده هذا الإنسان لآخرته إلى غير ذلك ، كل هذا فكر لداغ مؤلم للقلب تنفر منه النفس غالباً ما لم تُرُوض ، حيث أنها تتلذذ بالتفكير في أمور الدنيا على سبيل التفريج والإستراحة .

٢ - أساس التفكير شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات والإنسان غالباً له في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة فهو مشغول بتدبير حيلته والتفكير يعكر عليه صفو شهواته ولذائذه .

ولنا أن نقول لهذا الإنسان ما يلي :

أ - إذا كنت تتالم وتفر من التفكير والتحدث في أمر سكترات الموت وعذاب القبر وهو المطلع وسوء الحساب وعذاب النار فيكيف إذا رأيت ذلك رأي العين وواقعته ، ولم تكن قد أخذت لذلك أهبتك واستعدادك ؟

ب - إذا كان التفكير يفوت عليك بعض لذات الدنيا ، ويعكر عليك صفو بعض لذائذها فاعلم بأن فوات لذات الآخرة وشهواتها وخيراتها وحورها وجنانها أشد وأعظم .

و قبل أن أنتقل إلى النقطة الثانية من نقاط سبل العودة إلى الإستغفار ،
 علينا أن نعرف أمرتين هامين :

١ - إن هناك فرقاً بين التفكير والخيال . فالتفكير هو البحث عن العلم واليقين وعلى أساس مبادئ معلومة للوصول إلى معرفة حقيقة الأمر المجهول . بينما الخيال : يقود صاحبه إلى الجهل والتصورات الفاسدة والأوهام الباطلة ولا يصل بصاحبها إلى أي هدف ونتيجة .

٢ - حتى يكون تفكيرنا صحيحاً علينا أن نخرج من الجهل المركب كي لا يكون تفكيرنا منطلقاً من روابط خاطئة ، فنضل الطريق . بل علينا أن نعرف أننا جاهلون بأمور كثيرة ، بل لكل شيء باستثناء أمور بسيطة تعلمناها وهي لا تساوي من العلم إلا بمقدار ما تحمله الإبرة من البحر العملاق ، بل أقل من ذلك !

ثم علينا أن لا ننسى أننا ما خلقنا علماء قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
بِطْوَنَ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾^(١) .

فإذا استشكل علينا أمر وجب علينا أن نحمله على جهالتنا لأنها هي الأصل .

قال أمير المؤمنين : في نهج البلاغة في وصيته رقم (٣١) : « و آعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو الميت وأن المفتني هو المعيد ، وأن المبتلي هو المعافي وأن الدنيا لم تكن ل تستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والإبتلاء ، والجزاء في المعاد أو ما شابه مما لا تعلم ، فإن أشكال عليك شيء من ذلك فآحمله على جهالتك فإنك أول ما خلقت به جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتغير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك » .

(١) سورة النحل ، الآية : ٧٨ .

ثانياً: العلم بمكانة الإستغفار

إذا كان الجهل بأهمية الإستغفار ويكونه أماناً لأهل الأرض هو الذي جعل الأكثرون من الناس يتذكرونه فإن العلم بأهميته ومكانته ، ويكونه الحصن والحرز لهذا الإنسان هو الطريق الطبيعي للعودة إليه والتمسك بأزمته .

إذا علم الإنسان أن كل ما يصيبه من مصائب الدنيا هو نتيجة الذنوب والمعاصي ، ونتيجة إصراره عليها وعدم استغفاره منها وعرض هذا العلم على عقله ، فإنه بلا شك سيلتفت إلى أهمية العودة إلى الإستغفار .

ألا ترى أن العلماء الربانيين هم أكثر الناس خوفاً من الله ؟

قال تعالى: «إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخررون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً»^(١) .

أما كيف يمكننا العلم بمكانة الإستغفار وأهميته فهناك عدة طرق منها:

١ - دراسة تاريخ الأمم الماضية لمعرفة أن سبب هلاكها هو ترك الإستغفار .

٢ - دراسة القرآن الكريم خاصة السور التي تشير إلى أهمية الإستغفار ، وأخص بالذكر سورة هود ، فلقد تكرر الأمر بالإستغفار فيها مراراً ، وأوضحت هذه السورة من فوائد الإستغفار الشيء الكثير .

٣ - مطالعة ما جاء في كتب الحديث عن أهمية الإستغفار من الروايات الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته الطاهرين .

٤ - مجالسة أهل العلم والذين الذين يكون النظر إلى وجوههم عبادة وهم الذين عليهم سماء السوخار ، تعلوا وجوههم عبرة الخاسعين إذا نظرت إليهم تذكرت الآخرة ، فلقد سئل أحد أئمتنا عليهم السلام : هل النظر إلى وجه العالم

(١) سورة الإسراء ، الآيات: (١٠٩ - ١٠٧) .

عبادة ؟ فأجاب : النظر إلى وجه العالم الذي يذكرك بالأخرة عبادة .

٥ - السؤال عن أهمية الإستغفار ، فإن السؤال مفتاح العلم والمعرفة فلقد

ورد الحديث الشريف: « جعل العلم في بيت وجعل مفتاحه السؤال »^(١) .

فإذا جلست مع عالم فافتقم فرصة جلوسك معه .

قال رسول الإنسانية محمد (ص) في حديث ما معناه: إذا مررت برياض الجنة فارتعوا ، قيل يا رسول الله (ص): وما رياض الجنة ؟ قال مجالس العلماء إذا مررت بها فأسألاها ألا وإن في السؤال يربح أربعة السائل والمجيب والسامع لهما والمحب لهم جميعاً .

إلى غير ذلك من الطرق التي ليس همنا الآن حصرها وإنما الإشارة إليها فقط .

ثالثا: الإلتفات إلى أهمية الوقت

إن للوقت خصائص مهمةً لو تدبرناها وتفكرنا فيها طويلاً لربما سلكنا درب الرشد ، وعانقنا الإستغفار بعد أن طلقناه ثلاثةً ومن تلك الخصائص :

١ - إنه أغلى وأنفس ما يملكه الإنسان بل هو رأس ماله الحقيقي يقول الشاعر:

يا تاجر الروح قل لي فيما تتجه ورأس مالك من معبودك العُمرُ

ما فائدة مال بلا عمر ؟

فلو قيل لك تخير بين أمرين بين أن يبقى من عمرك مائة عام وتعيش عيشة الكفاف (أي الكفاية) وبين أن لا يبقى من عمرك سوى يوم واحد لكن لك من الأراضي خمسون أرضاً ومن الأموال ما يقارب أموال قارون كثرة ، فائي الأمرين

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٠ باب سؤال العالم وتذكرة .

تفضل؟ خاصة إذا كنت عالماً بما ينتظر الإنسان بعد موته من الشدائـد العظام
التي أهونها (الموت) وما بعد أعظم وأدهى !!

٢ - سرعة انقضائه: كل يوم يمر على ابن آدم يقربه إلى أجله ، وينقضي ذلك اليوم ويأتي يوم آخر ثم ينقضي وهكذا تتصرم أيام ابن آدم من حيث يدرى أو لا يدرى بسرعة كبيرة ربما لا يلتفت إليها في أكثر الأحيان إلا في ساعة الإحتضار .

يقول الشاعر :

على سفر يفنيه باليوم والشهر بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر	ما المراء إلا راكب ظهر عمره يبيت ويضحي كل يوم وليلة
--	--

ويقول الشاعر :

أليس ورائنا لقى الحمام؟ وتحسب أن سعيك للتمام!	رويدك ليس عيشك للتمام ولدت فرحت تسعى نحو نقص
--	---

ويقول أمير المؤمنين: « ما أسرع الساعات في اليوم ، وما أسرع الأيام في الشهر ، وما أسرع الشهور في السنة وما أسرع السنين في العمر »^(١) .

ويقول الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر في وصيته لهشام بن الحكم : « يا هشام لورأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل »^(٢) .

يعني لو كشف لك عن الغطاء ورأيت سرعة مسير الأجل لأذهلتكم تلك السرعة عن آمالك . فلننذر آجالنا بأعمالنا ، فإن الوقت لا يتضمننا كي نفرغ لأنفسنا لقد علّق أحد العلماء في مكتبه لوحة فنية مكتوب فيها (والليل والنهار

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٨ .

(٢) تحف العقول : ص ٢٩٤ وصية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام .

يعلمان فيك فاعمل فيهما) وكان يستلهم من هذه العبارة روح النشاط والعزمية .

٣ - عدم توقفه: إذا كان الإنسان يشتغل نهاراً وينام ليلاً فإن الوقت لا يعرف إسماً للراحة أو النوم ، إنه لا يمكن أن يغفل لحظة واحدة عن استمرارية تصرمه وانقضائه .

٤ - يأخذ الإنسان إلى أرذل العمر لو فرض بقاوه: تمر الأيام والليالي ويحسب الإنسان أن ذلك المرور عنوان سعادته غالباً عن أن تلك الأيام تقوده إلى حالة التنكس في الخلق فتحول شبابه إلى هرم ، فصحته إلى سقم ، وقوته إلى الضعف والعدم .

يقول أمير المؤمنين : « فهل ينتظر أهل بضاعة الشاب إلا حوانى الهرم وأهل غضارة الصحة إلا نوازل السقم وأهل مدة البقاء إلا آونة الإنتهاء » (١) .

يقول الشاعر :

أرى عمري مؤذنًا بالذهب تمر لياليه مر السحاب
وتفجئني بيض أيامه فتسرب مني سواد الشباب

فالشاب ينتظر الهرم وال الصحيح يتنتظر السقم والمعمر يتنتظر العدم كل ذلك مع فرض بقاء الإنسان إلى أن يكون كهلاً . وإن الموت لا يفرق بين صغير وكبير ، أو بين شاب وكهل ، فمن أنقضت أيامه أصابته سهام المنية .

فهذه بعض خصائص الوقت يجدر بنا أن نطيل التفكير فيها ، فإن تفكرنا فيها وقراءتنا لما وراء السطور يقوداننا إلى الهدى وال بصيرة وإلى الإنابة والإستغفار .

وعلى هذا الأساس يلزم التفرغ وعدم إضاعة العمر في الفراغ القاتل أو

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ .

في اللهو والعصيان أو في أمور لا تعود على آخرتنا بالنفع يقول الشاعر مخاطباً الإنسان:

أعددت للطاعات عمرًا ثانٍ؟
العمر بالعصيان تنفقه فهل
قد بعت جهلاً لذة الرضوان
وبلذة الدنيا المشوبة بالأذى

رابعاً: تحدي نفسك تتغلب على شيطانك

للتغلب على العدوين الملازمين للإنسان وهما الشيطان والنفس يجب معرفة أن النفس هي قرينة الشيطان وشريكه في الجريمة وهي طريقه المشروع الذي ينفذ منه إلى الإنسان .

كما قال أمير المؤمنين: « حتى إذا آسدرج قرينته ، وأستغلق رهيتها أنكر ما زين »^(١) .

وحيث أن الشيطان لا يرى شخصه وإنما يُعرف بآثاره وليس الكل قادرًا على أن يتعرف على آثاره لذا يمكن الإستدلال على وجوده عن طريق قرينته وشريكه .

فكن دائمًا مراقباً لنفسك ، مخالفًا لها ، متبوعاً رشد عقلك ، فإذا تحيرت في أمر لا تدرى هل تفعله أو لا تفعله فأعرضه على نفسك فإذا أمرتك بفعله فأتركه وإذا أمرتك بتركه فافعله ، ففعلك هذا مع حملك نفسك على ما تكره هو المسمى بالترويض .

إذا تحديت نفسك وهوها تكون قد أغفلت على الشيطان منفذه وقطعت الإتصال بينه وبين قرينته . فلا يجد للوصول إليك حولاً ولا قوة .

من هنا قال أمير المؤمنين: « فإن قدرت عليها - يعني النفس - كنت على غيرها أقدر وإن عجزت عنها كنت عن غيرها أعجز » .

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣

خامساً: تذكر خسارة الدنيا

مشكلة كثير من الناس أنهم لا يكتشفون خسارة الدنيا وقبحها إلا إذا جارت عليهم أيامها وليلتها ، وصبت عليهم سيل مصائبها والأمها . حيث أن للدنيا إقبالاً وإدباراً . فإذا أقبلت على المرء أغارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

لذا تجد الإنسان في حالة صحته وشبابه ، ينتقل من ذنب إلى ذنب ويتنفسن في أنواع المعاشي والذنوب فإذا أصابه مرض خطير مثلاً وظن أن لا ملجأ له سوى الله عاد إليه رشده وأتضح له قبح منهجه وبدأ يستغفر الله من أعماقه .

لقد أوحى الله سبحانه إلى نبيه داود: « يا داود الدنيا جيفة وطلابها كلاب » .

فلو نظر العاقل إلى الدنيا لرأى حلوها مشوباً بمرها ، وفرحها مختلطًا بحزنها . ولئن وجد الإنسان الراحة فيها يوماً فإن الهموم والغموم والمصائب والمتابع تخييم عليه أيامًا .

وأنظر إلى أهل الدنيا وتأمل أحوالهم فهذا مشغول بمرضه وذاك يعاني من شدة فقره وآخر يئن لقرب حتفه ، ورابع يبكي لفقد أحبه ، وهكذا

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة خطبة (٩٩): « أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى فميت يُبكي وآخر يُعزّى ، وصربيع مبتلى وعائد يعود ، وآخر بنفسه يوجد ، وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمحظوظ عنه »

فلمَّاً إذن بعد كل هذا نرْكَن إلى الدنيا مع أننا ما خلقنا لها ، وإنما خلقنا لدار البقاء ؟

ولماذا نجعلها ونجعل ما فيها من الحطام واللذائذ الفانية والمنقضية شاغلاً لنا عما ينتظرنَا من الحساب الدقيق بين يدي من لا تخفي عليه خافية ؟

أو ليس الأخرى بنا أن نتخد الدنيا مزرعة الآخرة ونكثر فيها من الإستغفار
والإئابة إلى الله ؟

أما كيف نتذكر ذلك فأمر في غاية السهولة لأن ما يجري على الإنسان في
أغلب أيام الدنيا يكفي لتذكيره بخاستها . ونعم العون على ذلك زيارة
المرضى ، والتفكير في أحوالهم ، والجلوس مع من فجعتهم الدنيا بأحبتهم ،
والتفكير في حال من فارقوا الدنيا في ريعان شبابهم وخلفوا لهم يتامي يُبكي
لحالهم .

وكذلك التفكير في حال أولياء الله العظماء كيف جارت عليهم الدنيا
فحرمتهم من الطعام أيامًا كما حصل ذلك لرسول الله (ص) ومن الماء كذلك
كما حصل ذلك لولده الحسين بن علي ، يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة
خطبة (١٦٠) « ولقد كان في رسول الله (ص) ما يدلّك على مساويء الدنيا
وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزوّيت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر
بعقله : أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال أهانه فقد كذب والله العظيم
بالإفك العظيم ، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان بذلك غيره حيث بسط
الدنيا له وزواها عن أقرب الناس إليه »

وكذلك العودة إلى كتاب الله وأحاديث الرسول (ص) وأهل بيته ووصاياتهم
ومواعظهم فإن التفكير في هذه الأمور يكشف للإنسان الليب قبح الدنيا
 وخاستها وجورها .

سادساً: تذكر مرحلة ما بعد الموت

من المعلوم أن مرحلة ما بعد الموت أعظم وأدهى من الموت نفسه مع ما
فيه من شدة التزعزع الذي يصعب تصوره .

فتذكر القبر وأهواله وعذابه وضيقه وضنكه ووحدة الإنسان ووحشته فيه
وتتجسد الأعمال السيئة إلى حيات وقارب كالبغال تلدغه فيه صباحاً ومساءً ،
ويلاقي فيه مع ذلك أصناف العذاب الآخرة ، وإلى يوم يبعثون .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بُرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ ﴾^(١) .

وكذلك تذكر هول المطلع وخروج الناس إلى النشور ، عليهم لبوس الإستكانة وضرع الإسلام والذلة قد خشعت أصواتهم وأرعدت أسماعهم لزبرة^(٢) الداعي وفر وقئد المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وأصبح لكل واحد منهم شأن لا يسعه معه أن يفكر في شأن غيره ولو كان فلانة كبده !! .

وتذكر عقبات القيمة حيث أن هناك خمسين عقبة يقف الإنسان عند كل عقبة ألف سنة وذلك تصديق قوله تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^(٣) .

وكذلك تذكر ما هو أعظم من ذلك وهو سورات الحميم وزفرات الجحيم .

تذكر تلك النار التي تنضح الأكباد والكللي .

تذكر تلك النار التي يقول عنها الرسول (ص) في وصيته لأبي ذر الغفارى « ولو أن دلواً صبّت من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جمامج من مغربها ، ولو زفت جهنم زفة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسلاً إلا خرّ جاثياً على ركبتيه يقول ربّ نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق يقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسني »^(٤) .

فإن تذكر الإنسان لتلك المواقف المخيفة دافع له للتمسك بحبل النجاة وهو الإستغفار خاصة إذا تذكر بأن بدنه ضعيف عن احتمال جمرة واحدة من نار الدنيا

(١) سورة المؤمنون ، الآية: (١٠٠) .

(٢) زبرة الداعي صوته .

(٣) سورة المعارج ، الآية: (٤) .

(٤) البحار: ج ٧٤ ص ٧٢ باب مواعظ النبي (ص) ح ٣ .

سابعاً: الإستقامة

قدِيمًا قالوا: من السهل أن تصل إلى القمة ، ولكن من الصعب أن تثبت في القمة . ونحن بدورنا نقول: ربما يكون من السهل أن يكتشف الإنسان ضلال طريقه ويعود إلى الإستغفار . لكن من الصعب أن يبقى ثابتاً على هداه وذلك لأن للقلوب إقبالاً وإدباراً فلربما في حال إدبارها يغتنم الشيطان فرصته فيزين للإنسان المستغفر ترك طريقته . . . فيتأثر بذلك الوساوس التي لا يراها ، ومن ثم يزيغ قلبه .

لذا يكون لزاماً على كل مؤمن أن يتعاهد إيمانه كما يتعاهد الفلاح غرسته بالماء كي لا يعتريها الذبول ، وبالساتر حتى لا تؤثر عليها الرياح العاتية .

والإستقامة وإن كانت صعبة ، لكنها ليست مستحيلة . ويمكن تحقيقها والحفظ عليها عبر النقاط التالية :

- ١ - التصميم على الثبات لأنه ما ضعف بدن عما قويت عليه النية .
- ٢ - تعود الخير وإن كرهت ذلك النفس لأن الخير عادة والشر عادة .
- ٣ - التذكر الدائم للآثار السلبية لترك الإستغفار . سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة .
- ٤ - تذكر فوائد الإستغفار لأن استعراض الفوائد من شأنه أن يشجع الإنسان على الإستقامة .
- ٥ - الإستعانة بالله سبحانه وتعالى قبل كل شيء .

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة في وصيته (٣١): « وأبدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة باليهك والرغبة إليه في توفيقك ».

ويقول الإمام موسى بن جعفر في وصيته لهشام بن الحكم: « يا هشام إن الله جلّ وعز حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب حيث علموا أن القلوب تزيغ وتعود

إلى عماها ورداها»^(١).

٦ - الإبتعاد عن مجالس السوء وأهلهـا .

٧ - المبادرة إلى العمل الصالح من هذه الساعة فنحن قد لا ينقصنا عزم وتصميم وحب للعمل الصالح ولكنه تنقصنا روح المبادرة إلى ذلك .

فهلا جلسنا معاً تحت منبر أمير المؤمنين لنتهلل من فيض علمه حيث يقول : « العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، والإستقامة الإستقامة ، ثم الصبر الصبر ، والورع الورع ! إن لكم نهاية فأنتهوا إلى نهايتكم وإن لكم علماً^(٢) فآهتدوا بعلمكم ، وإن للإسلام غاية فآنتموا إلى غايتها وآخرجو إلى الله بما آفترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه ، أنا شاهد لكم ، وحجيج^(٣) يوم القيمة عنكم ألا وإن القدر السابق قد وقع ، والقضاء الماضي قد تورّد^(٤) ، وإنني متكلم بعدة^(٥) الله وحجته قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كَتَسْمَ بِهَا تَوْعِدُونَ ﴾ وقد قلت « ربنا الله » فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ، ثم لا تمرقوا منها ، ولا تبتدعوا فيها ، ولا تخالفوا عنها فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة »^(٦) .

قال تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٧) .

(١) الكافي : ج ١ ص ١٨ كتاب العقل والجهل.

(٢) العلم يريد به القرآن .

(٣) حجيج : من حج إذا أقنع بحجته .

(٤) أي ورد شيئاً بعد شيء .

(٥) علة الله : أي وعده .

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ .

(٧) سورة التكوير ، الآيات : (٢٦ - ٢٩) .

الخاتمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

اللَّهُمَّ آرِزْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ ، وَبَعْدَ الْمُعْصِيَةِ ، وَصَدَقَ النِّيَةِ ، وَعِرْفَانَ
الْحَرَمَةِ ،

وَأَكْرَمْنَا بِالْهُدَى وَالْإِسْتِقَامَةِ ، وَسَدَّدْنَا سَبِيلَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ ،
وَأَمَلَّا قَلْوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمُعْرِفَةِ ، وَطَهَرْنَا بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشَّبَهَةِ ،
وَأَكْفَفْنَا يَدِينَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسُّرْقَةِ ، وَأَغْضَضْنَا أَبْصَارَنَا عَنِ الْفَجُورِ
وَالخِيَانَةِ ،

وَاسْدَدْنَا أَسْمَاعَنَا عَنِ الْلُّغُوِ وَالْغَيْبَةِ ،

وَتَفَضَّلْ عَلَى عِلْمَائِنَا بِالْزَهْدِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْجَهَدِ
وَالرَّغْبَةِ ،

وَعَلَى الْمُسْتَمِعِينَ بِالْإِتَّابَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ،

وَعَلَى مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ بِالشَّفَاءِ وَالرَّاحَةِ وَعَلَى مُوتَاهِمِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ،
وَعَلَى مَشَايخِنَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ ، وَعَلَى الشَّيَّابِ بِالْأَنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ،

وعلى النساء بالحياء والعفة ، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة ،

وعلى القراء بالصبر والقناعة ،

بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

وصل اللهم على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأنبياء
الميمانين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الحمد	٥
الإهداء	٧
تقديم	٩
مقدمة الطبعة الثانية	١١
المقدمة	١٣
الفصل الأول	
معنى الإستغفار	١٩
الإستغفار من ماذا؟	١٩
آثار الذنوب	٢٠
قسوة القلب	٢٠
الذنوب تغير النعم	٢١
الذنوب آفة العلم	٢٤
قصبة	٢٥
الذنوب تمنع إستجابة الدعاء	٢٥
الذنوب تنزل النقم وتورث البلاء	٢٦
الذنوب تسلب لذة المناجاة	٣٢

٣٣	قصيدة قصيرة
٣٣	الذنوب تهتك العصم
٣٥	الذنوب تقطع الرجاء
٣٥	الذنوب تعجل الفناء
٣٨	الذنوب تجلب الوحشة
٣٩	الذنوب تورث الذل
٤٠	الذنوب تمحق البركة
٤١	الذنوب وعداب القبر
٤١	قصيدة
٤٢	قصيدة أخرى
٤٣	الذنوب تقود إلى جهنم

الفصل الثاني

٥١	لماذا الإستغفار؟
٥٣	فروائد الإستغفار
٥٣	الإستغفار يطيل الأعمار
٥٥	الإستغفار يفتح أبواب الرزق
٥٩	إستجابة الدعاء
٦٠	الإستغفار ونعمة البنين
٦٣	القوة البدنية والإيمانية
٦٤	الإستغفار يكشف الهموم والغموم والبلايا
٦٥	الإستغفار يقطع وتين الشيطان
٦٧	الإستغفار يستر القبائح
٦٩	الإستغفار يبدل السيئة حسنة
٦٩	الإستغفار يجعلورين القلوب
٧١	الإستغفار يساقط الذنوب

النجاة من النار ودخول الجنة ٧١
الفصل الثالث

المبحث الأول: الكيفية الخاطئة للإستغفار ٧٧ .. .
المبحث الثاني: ما هي الكيفية الصحيحة للإستغفار؟ ٧٩ .. .
أولاً تحقيق دعائم الإستغفار ٨١ .. .
الندم على ما مضى ٨١ .. .
العزم الصادق على ترك العود إلى الذنب ٨٥ .. .
رد مظالم العباد ٨٦ .. .
قصة ٩٠ .. .
تأدية حقوق الفرائض المضيعة ٩٤ .. .
تطهير البدن من الحرام ٩٩ .. .
قصة ١٠١ .. .
الصبر على ألم الطاعة ١٠٦ .. .
دع ضميرك يجيب ١٠٨ .. .
ثانياً: الإستغفار بآدابه ١١١ .. .
الغسل ١١١ .. .
الصلاوة ١١٣ .. .
الصدقة ١١٥ .. .
حسن الظن بالله ١١٧ .. .
الإستغفار بالسر ١١٩ .. .
قصة ١٢٠ .. .
تكرار الإستغفار والإكثار منه ١٢١ .. .
الغفو عن الناس ١٢٣ .. .
الاعتراف بأنه لا غافر للذنوب إلا الله ١٢٤ .. .
الاعتراف بعصيان الله بنعمه ١٢٦ .. .

الفصل الرابع

المبحث الأول: وقت الإستغفار	١٣٩
عند السحر	١٤١
ليالي الجمع	١٤٥
قبل النوم	١٤٨
عند صيام الديكة	١٤٩
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب	١٥٠
أوقات الصلوات	١٥٢
في ركعة الوتر	١٥٣
عند نزول الغيث	١٥٥
ليالي وأيام رمضان المبارك	١٥٦
الاستغفار قبل الموت	١٥٨
المبحث الثاني مكان الإستغفار	١٦١
الخلوات	١٦١
عند الحطيم	١٦٤
عند الملزم	١٦٥
عرفات	١٦٦
المشعر الحرام ومنى	١٦٩
عند إسطوانة أبي لبابة	١٧١
الأسواق	١٧٢
مواضع نزول النصر	١٧٣

الفصل الخامس

المبحث الأول: هل نحن عقلاً أم مجانين؟	١٧٧
المبحث الثاني : ما هي أسباب ترك الإستغفار؟	١٨٣
أولاً: الجهل بأهمية الإستغفار	١٨٣
ثانياً: الإنشغال بلهو الدنيا	١٨٤

ثالثاً: الغفلة عن أزوف الإنقال	١٨٦
رابعاً: الشيطان والنفس	١٨٧
خامساً: اليأس	١٩٢
سادساً: تصور تأجيل الثواب	١٩٣
سابعاً: التسويف	١٩٣
ثامناً: التغافل عن دقة الحساب	١٩٦
المبحث الثالث: ما هي سبل العودة للتمسك بالإستغفار	١٩٩
أولاً: التفكير	١٩٩
ثانياً: العلم بمكانة الإستغفار	٢٠٥
ثالثاً: الالتفات إلى أهمية الوقت	٢٠٦
رابعاً: تحدي نفسك تتغلب على شيطانك	٢٠٩
خامساً: تذكر خسامة الدنيا	٢١٠
سادساً: تذكر مرحلة ما بعد الموت	٢١١
سابعاً: الإستقامة	٢١٣
الخاتمة	٢١٥

تم الفسح لهذا الكتاب من
وزارة الإعلام - الرياض

بموجب خطاب رقم ٦٢٢٧/م بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٣

تم الإنتهاء من كتابة هذه السطور
ليلة الثلاثاء ١٩ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ

بعونه تعالى

فإنطلاقاً من الواقعين، حاولت بعثة تعاوني، بعثت هذا المنشور بطرقها جميعها من حلقة التهديات العليا ونذكر من هم دوّنوه لكي، أعد المنشورة، وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول:

فهي الفصل الأول: تطرقت الى ايمان الاستعفار ومن ماذ
يكون، ثم سلطت الضوء على آثار المذهب التميمي والآخرية، حيث أن
الاستعفار يمكن منها:

وفي الفصل الثاني : وبعد الاجابة على سؤال : لماذا الاستغفار
قد ثبت عن شأنه الاستغفار ، التي لا يكتب لها منها

وفي الفصل الثالث : استعرضت الكلمة الماء الماء التي يستخدمها الكثيرون من الناس في طريقة استغفارهم ثم أوضحت الكلمة الصحيحة لاستغفار ذاك أداهناه وأدائه وشهادة

ومن الفصل الرابع : أثیرت الى الأوقات والأماكن المفضلة للإستعفار بعد أن أوضحت أن الإستغفار مطلوب في كل وقت وعى كل مكان.

أما بالنسبة للنصل الملامس والآخر فقد يبعث في ثلاثة

- ١ - هل تعلم عقلاً أم محاجنة؟
 - ٢ - أسباب ترك الاستفهام.
 - ٣ - سبل العودة إلى الاستفهام.

ـ هذه الفصل الخامسة وإن كانت حسب رأيها كلها مهمة غير أن الفصل الثالث هو الأهم من حيث أنه قلب الكتاب ووجه

Digitized by srujanika@gmail.com